المجلد الرابع والعشرون من مسالك الابصا ١٧/ع

الجزء الرابع والعشرون

من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار



تذييل
عدة العمري ابن حجر الكبير

الجزء الرابع والعشرون



بسم الله الرحمن الرحيم على الله توكلت

وهذا ذكر من تنبه من اهل البيت وملك ملكا وان كان القليل المنقص والحقير المنغص وكيف يرثون الارض وما ترك جدهم لهم تراثا او تعطف عليهم الدنيا وقد طلقها ابوهم ثلثا وما يضرهم ان يكون لغيرهم الدنيا ولهم الاخرة وفيهم النبوة الدايمة وليسوا اهم الدول الدايرة واول ما نبدا بالحسنيين ثم بالحسينيين ثم من تعلق بهما فدول الحسنيين اولها وفيها ممن تقدم في النسب ذكرهم

ذكر دولة المهدي

محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب تقدم ذكره في موضعه من النسب وكان يلقب النفس الزكيه وكان ابو جعفر المنصور قد بايعه في الدولة الاموية واعطاه يمينه وامطاه في عقد المبايعة يمينه وكان برا تقيا طاهرا زكيا ولهذا كان يسمى النفس الزكيه ولم يقدر له ظهور في تلك الايام الاول ولا على عهد السفاح فلما قبض المنصور على ابيه خرج عليه بالمدينة واحتج عليه بمبايعته المتقدمه ودارت بينهم كتب يدعيه في اقامة الحجة وكان المنصور فيها الالد الخصم والاشد عقدا لا ينفصم وكان محمد بن عبد الله ابدا شردلا بيه جمل فعدا جماعه خلفه فلم يلحقه احد سواه فامسك بذنبه فلم يزل يجاذبه حتى انقلع فرجع بالذنب في يده وكان يطلب الخلافه ايام بني اميه ويزعم انه المهدي المبشر به وكان يقايه في العلم والزهد والشجاعه واقام سنين مستترا في جبال طي مرة يرعى الغنم ومرة يعمل في المهن وامسك المنصور اباه وعمه

وطايفه من اهله لاحضاره واحضار اخيه ابرهيم محمد وامعرفتهما بحبسهم عليهم ويقال ان المنصور كان قد بايع اباه عبد الله ومحمدا ابنه بعده وكانت له جاريه معها ابن له صغير فوقع ولده في حال تشتته فردى نفسه من الجبل فقال فيه ابوه

منخرق الخفين يشكو الوجى تنكبه اطراف مرو حداد
شرده الخوف وازرى به كذاك من يكره حر الجلاد
قد كان في الموت له راحه والموت حتم في رقاب العباد

رواها ابن مسكويه وقد رويت لغيره ولما اتاه جيش المنصور تقدمه عيسى بن موسى خندق عليه الخندق النبوي وكان يبرز ويرتجز وهو يقول

لا عار في الغلب على الغلاب والليث لا يخشى من الذباب

فلما راى تضاد امره اقال الناس بيعته وكسر ذا الفقار وكان قد صار اليه واحرق الكتب التي كانت ترد عليه بالبيعة خوفا عليهم من المنصور ثم قاتل حتى قتل عند احجار الزيت وحز راسه وحمل الى المنصور وقال المنصور لاسحق بن مسلم العقيلي وكان ذا تجربة لاكم وتدريب له فهم اشر علي في خارجي علي قال صف لي الرجل فقال رجل من ولد فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو علم وزهد وورع قال من تبعه قال ولد علي وجعفر وعقيل وعمر بن الخطاب والزبير بن العوام وساير قريش واولاد الانصار قال صف لي البلاد التي خرج بها فقال بلد ليس فيه زرع ولا ضرع ولا تجاره واسعه قال يا امير المومنين اشحن البصرة

بالرجال فقال المنصور هذا شيخ قد خرف اساله عن خارجي بالمدينة
فيقول اشحن البصرة بالرجال فلم يكن الا يسير حتى اتاه الخبر
بخروج ابرهيم بن عبد الله بالبصرة فقال المنصور علي بالعقيلي
فذكره بما كان قال ثم قال له هل كان عندك من هذا علم قال لا
ولكني لما ذكرت خروج رجل اذا اخرج مثله لم يتخلف عنه احد
ثم ذكرت البلد الذي خرج به فاذا هو لا يحتمل الجيوش فعلمت انه
سيطلب غير بلده فتفكرت في مصر فوجدتها مضبوطة وفي الشام
والكوفة فوجدتهما كذلك ثم فكرت في البصرة فوجدتها خالية
فخفت عليها فقال له المنصور احسنت وقد خرج بها اخوه فما الراي
في صاحب المدينة قال ارمه بمثله اذا قال انا ابن بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الاخر انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال المنصور لعيسى بن موسى اما ان اخرج اليه او انت فقال بل انا
افديك بنفسي فخرج فنصر عليه كما تقدم ذكره

ذكر دولة اخيه ابرهيم بن عبد الله بن الحسن

وكان خروجه بالبصرة وكانت لعيسى ابن موسى عليه النصرة
وكان بيده حسام وبيده صمصام بقلب قلب ولسان لبيب عارضته
حلب وحبل يدق على الكيد ويقوى على الابد لولا افراط شغفه
بالنسا وكلفه بذوات السنا وما اقتفاه من سنة مصعب بن
الزبير في المغالات في مهورهن وبذل بوارق السيوف لا يماض
ثغورهن والا فقد كان طعم علقم اذا غضب ومسار رقم اذا وثب
ومن كنوز المطالب انه كان يتلو اخيه في شدة البدن والعبادة

العزلة وطلب العلم وهو اشعر من اخيه وظهرت له شجاعة
وطول صبر على الاغتراب برا وبحرا حتى انه دخل على المنصور
في هيئة متنصح وقد اخفى شكله وقال له ما لي عندك ان جئتك بابرهيم
ابن عبد الله فوعده باحسان جزيل فطلب منه ان يكتب الى ولاة
البحر الفارسي بالاعانة في مقاصده حيث توجه فكتب له الكتب
واوصى الولاة به فتمكن بذلك من الهرب وبث الدعوة الى ان احكم
امره ثم اتى البصرة حتى انطل بناء بغداد واعد الجهازات للهرب
الى خراسان لما راى من افراط اقبال الناس عليه واعراضهم
عنه الى ان هزمه عيسى بن موسى وقتله في المعركة فعاد المنصور
الى بناء مدينته وقال الان عرفت راسي انه لي ولم يخطب له بامير
المومنين الا بعد مقتل اخيه وكان خروجه وخروج اخيه
في سنة خمس واربعين ومايه ومن كتاب تجارب الامم انه
قاسى شدايد في اختفايه حتى انه اكل على موايد المنصور ووجد
في بيت مال البصرة الفي الف درهم فتقوى بها وصارت له
فارس والاهواز وكان الملتقى بينه وبين جيش المنصور على باخمرا
من بلاد الكوفة فانهزم حميد بن قحطبة وناشده عيسى بن موسى
في الثبات فلم يثبت ولم يبق معه الا ثلثه واتفق من الحديث الغريب
ان المنهزمين من جيش المنصور لقوا قدامهم نهرا لم يقدروا على
خوضه فرجعوا فظن اصحاب ابرهيم انهم قد ردوا عليهم فانهزموا
بعد ان حصلوا على الظفر ومن شعره قوله في رقية بنت الذبياح
العثمانية وكان قد تزوج بها وكان كلفا بها قوله

رقيبة همم النفس لا ذقت فقدها انا ذو شوق لها وهي حاضره
وقالوا غدت شغلا له عن اموره ولو ابصروها لم يردوا معاذره

وقوله وقد اعتل اخوه

سكون فعم السقم من كان مومنا كما عم خلق الله نايلك الغمر
فيا ليتني كنت العليل ولم علبلا وكان السقم ولك الاجر

وقوله في رثا اخيه

ابا المنازل ما هلك الفوارس من يفجع بمثلك في الدنيا فقد فجعا
الله يعلم اني لو خشيتهم او انس القلب من تلقايهم فزعا
لم يقتلوك ولم اسلم اخي لهم حتى نعيش جميعا او نموت معا

وقوله فيه

سابكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فان بها ما يدرك الواتر الوترا
وانا اناس لا تفيض دموعنا على هالك منا وان قصم الظهرا
ولسنا كمن يبكي اخاه بعبرة يعصرها من جفن مقلته عصرا
ولكنني اشفي فوادي بغارة تلهب في قطري كتايبها جمرا

ومن نثره قوله وقد قيل له لقد نهكت في النسا حب النسا سنة سنه لم يعطل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ادراك الظفر ولم يحل بينه وبين بلوغ الوطر وان اعجز الناس من قعدت به لذات الدنيا عن البلوغ الى مراقي العليا وانقصهم من جمع بين ادراك لذاته والفوز بالبلوغ الى غاياته عقد الله عنا السنة العوام واغمد عنهم سيوفنا بالطاعة وحسن الايتام وقوله في خطبة خطبها يوم عيد اللهم انك اليوم ذكرا ابنا بابا بهم

فاذكرنا

فاذكرنا عندك محمد صلى الله عليه وسلم يا حافظ الابا في الابنا احفظ ذرية نبيك قال فلم يقلها حتى اشتد بكا الناس وقوله وقد قيل حين اشرف على القتل الانقر واما مك فارس والاهواز وهما تحت طاعتك فقال من فر من اهل بيتي حتى افرا تريدون ان اكون اول من فتح هذا الباب على الفاطميين لا والله ان خلقنا الا لسل السيوف وشق الصفوف وتجرع الحتوف والمعاد الى الله وهو اعدل الحاكمين وقوله كل منطق ليس فيه ذكر فهو لغو وكل نظر ليس فيه عبرة فهو غفلة وكل سكوت ليس فيه تفكر فهو سهو فطوبى لمن كان منطقه ذكرا ونظره عبرا وسكوته تفكرا ووسعه بيته وبكى على خطيئته وسلم المسلمون منه

ذكر دول بني طبا طبا

ومنهم الايمة باليمن وليس منهم بغير اليمن الا الخارج بالكوفة وهو المبدا بذكره

محمد بن ابرهيم العلوي

يعرف بهذا وهو ابو عبد الله محمد بن ابرهيم طبا طبا ابن اسمعيل ابن ابرهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب بويع بالكوفة يوم الخميس العاشر من جمادى الاولى سنة تسع وتسعين ومية وكان امام صدق لو قام وعمام ودق لو دام ازهد من اويس واحلم من قيس واكرم من حاتم واشجع من قاسم واشبه باباه من الغراب بالغراب وفي انابه من الذباب بالذباب عليه من سيما سلفه شمايل ومن نقابا سيف جده ذي الفقار مثله الا انه لم يعلق حمايل الا انه كان غرا شابا بروق شبابه مغري ما غركته الايام

عرك الاذى بهم ولا عرفته كيف يخادع اللئيم حتى يحذر من يأمن
ويتشاءم بمن يتيمن فلا يدخل عليه داخل ولا يغتاله من داخل
قال الطبري ووافاه في ذلك اليوم ابو السرايا السري
ابن منصور ولقبه الاصفر فقام بحربه وتدبيره وكان سبب
قيامه ومبايعة اهل الكوفة اياه ان المامون عزل طاهر
بن الحسين عما كان اليه من اعمال البلدان التي افتتحها وصرفها
الى الحسن بن سهل فتحدث الناس بان ابن سهل غلب على المامون
وحجر عليه واستبد بالامور فهاجت الفتنة بالامصار وكان
اول من خرج وثار ابن طباطبا فبايعه اهل الكوفة واستوسق
له امرها واتته الوفود وكثرت له الجموع وكان عامل الكوفة
من قبل سليمن بن جعفر وخليفته عليها خالد بن محجن الدولي فلما
سمع بن سهل بثورة ابن طباطبا كتب الى سليمن المذكور يعنفه
ويضعفه وجهز جيشا من عشرة الاف فارس وراجل
وامر عليهم زهير بن المسيب وامره بقتال بن طباطبا فسار
زهير بجيوشه حتى نزل قرية شاهي قريبا من الكوفة
فخرج اليه محمد بن طباطبا ومعه ابو السرايا واقتتلوا
قتالا شديدا اذا ابو ابيه جندلا وحديدا ثم انهزم زهير
هزيمة شنيعة واستباح ابن طباطبا عسكره جميعه واخذ
ما كان معه من مال وسلاح وكراع ثم ان ابا السرايا ندم على
اقامة بن طباطبا فسمه فاصبح ميتا ومن كنوز المطالب انه مرض
واتاه ابو السرايا يعوده وقال له اوصني فاوصاه وصية بليغة

وذكرها

وذكرها وذكر له شعرا منه قوله

اينقص حقنا في كل وقت على قرب وياخذه البعيد
فيا ليت التقرب كان بعدا ولم تجمع مناسبنا الجدود

قال الشريف الغرناطي ثم قام بعده رجل من بني الحسين يأتي
ذكره ان شاء الله تعالى وقال مولف كنوز المطالب وقد ذكر
الحسن المثنى فذكر منهم ابرهيم الغمر قال ولقب بهذا لسعة
جوده وكان فيمن حمل مصفدا بالحديد من المدينة الى الانبار
وكان يقول لاخويه عبد الله والحسن اعوذ بالله من مني طمس
منايا تمنينا ذهاب بني امية واستبشرنا بسلطان بني العباس ولم
يكن قد انتهت بنا الحال الى ما نحن عليه والعقب منه في ابنه اسمعيل
الديباج ولقب بهذا لجماله كما لقب محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان
وكذلك كان يقال لمحمد بن عبد الله بن الحسن والعقب منه في رجلين وهما
ابرهيم طباطبا والحسن ج فاما طباطبا ففي سنة كان طلب الامامة
والنباهة والعلم والشعر والادب وذكر سنه فقال اصل هذه
الشجرة ابو محمد القاسم الرسي بن طباطبا والرس ضيعة كانت له
بالمدينة لم يسمح له المنصور بالمقام بها كفافا من العيش حتى طلبه
ففر الى السند وقال

لم يروه ما اراق البغي من دمنا في كل ارض ولم يقصر من الطلب
وليس يشفي غليلا في حشاه سوى الا نرى فوقها ابنا لبنت نبي

وكتب صاحب السند الى المنصور يخبره انه وجد في بعض خانات
المولتان مكتوبا يقول القاسم بن ابرهيم طباطبا العلوي

انتهت الى هذا الموضع بعد ان منشب حتى اشعلت الدم وقد
قلت

عيني منهل يصفو فيروي ظميه اطال صداها المنهل المتكدر
عسى جابر العظم الكسير بلطفه سيرتاح للعظم الكسير فيجبر
عسى صور امسى لها الجور دافنا سيبعثها عدل يجي وينشر
عسى الله لا ييأس من الله انه يسير عليه ما يعز ويعسر

فكتب اليه المنصور قد فهمت كتابك وانا وعلي واهله كما قيل

تحاول اذلاك العزيز لانه بدانا بظلم واستمرت مرايره

ومما انشد مولف الكنوز للقاسم بن طباطبا قوله

ارقت لبارق ما زال يسري وسلمى تبسم ام عمرو
فلم يترك وعيشك لي دموعا باجفاني ولا قلبا بصدري

قال والعقب منه في ثمانية اولاهم بالتقدم الحسين الزاهد ومن نسله ائمة صعدة قلت هم الائمة باليمن الى زماننا واصل شجرتهم المباركة الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا خطب له بامير المومنين في حال ابيه وكان يقال له في الدعاء على المنبر اللهم اهد لطاعتك واقم بالعدل في بريتك الامام الهادي امير المومنين يحيى بن الامير الزاهد العالم الحسين بن ابي محمد القاسم ثمرة الشجرة النبوية وبركة الذرية الفاطمية وبويع بصعدة لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وثمانين ومائتين والخليفة اذ ذاك المعتضد وكان اول ما عرف من ادبه وعلمه من شرف مطلبه ان اهديت اليه جارية تليق به

فقال

كفى لحاظك لبس هذا وفتنها بل وقت كل مهند وسنان
اطاعن الاساد في غاباتها باسنة ورد مرابض الغزلان

ثم اعادها الى سيدها وقال له هذه بضاعتك ردت اليك وهذا انظير ما رمته من العابد في احد ابياتها وله مصنفات في الفقه وادب طايل قال وهو يخطب من كمال ايمانك ان يكون ماموما لرجل اجتمعت فيه شروط الامامة التي اولها النسب العلوي ثم استخفا من قبلنا الايمان وقوة عن جدنا صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها فكيف لا تقدم قريش ابناء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم غمطوهم حقهم ومنعوهم فيئهم وتقدموا بهم عليهم وله شعر منه قوله

بني حسن اني نقضت بثاركم وثار كتاب الله والحق والسنن
وصيرت نفسي للحوادث عرضة وغبت عن الاخوان والاهل والوطن
لادرك ثارا او لاقمع ظالما اشد على الاسلام من عابد الوثن
فان يك خيرا فهو خير لكلكم وان يكن الاخرى فاني ذو محن

وتوفي بصعدة في ذي الحجة سنة ثمان وماتين

وولي بعده ابنه محمد المرتضى وكان خطيبا شاعرا ولما قام بالامر اضطرب عليه الناس ومن شعره قوله

كدر الورد علينا الصدر فعلام بدل صفوا وكدر
ايها الامة عودي للهدى ودعي عنك احاديث السمر
عد مني البيض والسمر معا وتهدلت زنادي بسهر
لاجرن على اعدائنا نار حرب بضرام وشرر

توفي في عاشورا سنه عشرين وثلثمايه • وولي بعده اخوه
احمد الناصر بن الهادي وله شعر فايق منه
قوله يخاطب اسعد بن يعفر الحيى (؟) ملك صنعا

• اعاشق هند شف قلبي المهند به الحرب عني المعالي تشيد •
• اذا جمعت قحطان اسباب مجدها فيكفي معدا في المعالي محمد •
• به استعبدت اقنالها في بلادها واصبح فيها خالق الخلق يعبد •
• وسرنا لها في خال عشر ووحده فصرنا على كرسي صعده نصعد •
• فان رجعوا للحق قلنا بانا الدين الهدي وجه ومنهم لنا يد •
• ولكن ابوا الا لجاجا وقد راوا ابانا عليهم كل حين تسود •
• ولا منبر الا لنا فيه خطبه ولا عقد ملك دوننا الدهر يعقد •

وتوفي في صفر سنه ثلث وعشرين وثلثمايه • وولي بعده ابنه
الحسين المنتجب ومات سنه تسع وعشرين وثلثمايه • وولي
بعده اخوه القاسم المختار بن الناصر • وقتله ابو القسم
بن الضحاك الهمداني في شوال سنه اربع واربعين • وثلثمايه
وولي بعده اخوه محمد الهادي ثم اخوه العباس المرشد ثم استولي
عليهم بنو احمز الاتي ذكرهم وشردوا هاولاء الي جبل
قطابه باليمن ولم يزل لهم به امام قايم وبنو احمز يحاربهم
حتى قام منهم احمد بن الحسين المرطي سنه خمس واربعين وستمايه
واخذ صعده كرسي ابايه واذهب دوله بني حمزه واستولي على قريب
عشر بن حصنا وخطب خطبه عاب فيها بني العباس لتعطيلهم الحج على
سعة مالهم وملكهم ثم قال وانا لا نملك الا هذه الرقعه

القربيه

القربيه وقد علت همتنا لان نقيم منازل الاسلام ونعزم على
الحج في هذا العام فاستعدوا له كل الاستعداد فاحتاج المظفر
بن رسول صاحب اليمن الى مداراته وكتب الى المستعصم تحوكه
على اقامة الحج وله شعر منه قوله

• ولقد اقول لهم غداة المنحنى والخيل تعثر في القنا المتحطم •
• انا احمد ساقيم سنه احمد ورصانة بن الحطيم وزمزم •

ذكر دوله القايم بالمدينه ابي عبد الله

محمد بن الحسن بن محمد بن ابرهيم بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسن
بن علي بن ابي طالب ثار بالمدينه وتغلب عليها وبويع بها وسود
السيره واسا في قبح الافعال مسيره وقتل كثيرا من اهل
المدينه وسبي نساها ونهب اموالها واظهر الفسق والفجور
وانواع اللهو وشرب الخمور وتظاهر بهذه الفضايح في مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهارا وزني فيه وماخفي استتارا
واباد الناس بالسيف والجوع ودنس شرف تلك البقعه ولم يبر
في ايامه صلاة قايمه في المسجد يودى نافله ولا فرضا ولا من يذكر
الصاحبين رضي الله عنهما الا بالا برضي فضاق الخلق به ذرعا
ولم يطيقوا له دفعا فغزاه المعتمد فظفر به وقتله وكانت مدته
في هذا النسق سنه واشهرا فسبحان من لا يعجل بمواخذه من احرى
وفي الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا اخذه لم يكد يفلته ولهذا كل
ظالم لم يطرقه صحى ان لم يبيته ذكر دوله السفاك اسمعيل
ابن يوسف بن ابرهيم بن موسي الجون ذكر مولف الكنوز وحل في ذكره

الزمور قال كان يلقب نفسه السفاك و يرضى هذا الاسم لنفسه
و يقول ابتديت دولة بني العباس بالسفاح و يبتدى دوله بني علي
بالسفاك وكان رجل و نزل في اكناف الحجاز و ثار في جموع جمعها
وجنود معه اطمعها و زحف علي المدينه ليطرد عنها ولاه المعتز
فحوها فاتى مكة وملكها و خطب لنفسه بالخلافه و سفك الدما و منع
الحجاج الوقوف ووقف بالمازمين و قال من برا من العين و سب بني العباس
و بني اميه خلي و الا فا لسيف و قيل له اسرفت في قتل المسلمين فقال لو
اعتقدت انهم مسلمون لما قتلتهم ثم كان ينشد شعرا منه

بنوا العباس لوابي بسيفي قتلت جميعهم لم اشف نفسي

ذكر دولة المكيين ومنهم اهل الينبع

و سنذكر من ابن نمي اصلهم و هم من ولد ابي الكرام عبد الله بن موسى الجون
بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى وكان عبد الله هذا له صيت بالحرمين
فلما حج الرشيد وزار ابصر ميل الناس اليه فحل حقده هذا عليه ثم لما
اتى الرشيد قبر النبي صلى الله عليه وسلم قال كالمنكر على رؤوس الاشهاد
السلام عليك يا ابن عم فعارضه لوقته ابو الكرام وقال السلام عليك
يا ابه فكاد الرشيد يتميز من الغيظ وقال بهذا ارتكبنا من بني علي ما
ارتكبناه ثم طرده فمات لا يعرف له مكان و من بنيه الكراميون و منهم
الصالحيون و صالح و ابنه شاعران جليلان فاما صالح ابن ابي الكرام
فهو الجوال و سمي بهذا لانه جال اقطار الارض لخوفه و نشا بالمدينه
و الامامه في راسه و الدعاه تاتيه و لم يمكنه الخروج فجمع العرب فخرج
بخراسان فحمل الى الاسود فلما دخل عليه لامه قال ما حملك على الخروج

علي وانت القايل

اذا كان عندي قوت يوم وليلة وخمر تقضي هم قلبي اذا اجتمع
فلست تراني سايلا عن خليفة ولا عن وزير للخليفة ما صنع

ثم حبسه واما ابنه محمد بن صالح فهو شاعر مذكور و بطل
مشهور وكان يعرف بالاعرابي للزومه البادية ومن شعره
طرب الفواد فعاداه احزانه وكان قد اخذ ايام المتوكل
لخروجه فحبس ثم اطلق عن شفاعة الفتح بن خاقان وما كتب به من حبسه
الى امراته قوله

لو ان المنايا تشترى لاشتريتها لام حميد بالغلا على عمد
ولكن بي ابي اعيش بغبطة وقد منت ان تحظى بها احد بعدي

وسياتي ان شاء الله تعالى ذكره في الشعرا وفي هولاء الصالحيين
ملك مواردت معانه وقد ذكرناه موضعه ومنهم السليمانيون
من ولد سليمان بن ابي الكرام المذكور ومنهم الهواشم من ولد ابي هاشم
محمد بن الحسين بن محمد الاكبر بن موسى الثاني بن ابي الكرام ومن هولاء
السليمانيين والهواشم ملوك مكه والينبع ومنهم اعني بني ابي
الكرام العمقيون من ولد علي العمقي بن احمد بن ابي الكرام ومنهم
الحراسون من ولد القاسم والحسن ابني محمد بن ابي الكرام ومنهم
الاحمديون من ولد احمد بن موسى الجون ومنهم الادريسيون
من ولد ادريس ابن ابي الكرام وقد ذكرنا ومنهم المترفيون من ولد
علي المترف بن احمد بن ابي الكرام ومنهم القائليون من ولد القائل بن سليمان
بن عبد الله الكامل ومنهم المصحفيون من ولد المصحفي بن سليمان المذكور

ومنهم الحنطليون من ولد ابي حنظله ابرهيم بن يحيى بن عبد الله
الكامل **فاما اصحاب الدول**
من السليمانين والهواشم فنذكرهم **فاما السليمانيون**
فاول مذكور من امرائهم **ابو عزيز قتاده بن ادريس** بن مطاعن
بن عبد الكريم بن محمد بن موسى بن عيسى بن سليمان المذكور وهو اساس
البيت جوار البيت المحرم وسمى المجد بفنا الحرم المكرم وقال
الشريف الادريسي النسابه لا اعرف من يساوى اباعزيز في النقد
الى ابي طالب ورث دولة الهواشم وليس منهم الامن جهة النسا
وكلهم الى ابي الكرام وساد الكراسي وملك معظم الحجاز واقتني
مماليك من الاتراك رماه اذل بهم العرب وذكر الدجاني ان
العرب لما فتكت بالركب العراقي سنة ثلث وستمايه بنجد بين
الحرمين كتب الامام الناصر الى ابي عزيز كتابا بخط بن زناده
منه وغير خفي عن سمعك وان خفي عن بصرك ذلك الاجام رده في
كل ارام بكل دبمد وغيث بني حرب بين الحرمين حين عموا قلب كل محرم
بالعميم فما يجب هذا اباعزيز فقال

بازام فيت بكل زم كما عموا فؤادي بالعميم
وفي وادي العقيق راو اعوقي كاحوصلوعي بالحطيم

ثم بدت الوحشه بين ابي عزيز والناصر واسرها البغاه فلما اتى امير
الركب اليه بالخلع سامه التوجه معه فقال له حتي انظر ثم رحله فانشد

ولي كف ضرغام اصول ببطشها واشري بها بين الورى وابيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها وفي بطنها للمجدبين ربيع

الجعلها

الجعلها تحت الوحي ثم اسعى لها خلاصا اني اذن لرفيع
وما انا الا المسك في كل بلده يضوع واما عندكم فيضيع

فقال له امير الركب هذا لا ابلغه عنك واشار عليه بتجهيز ولده
في مشايخ من الشرفاء يدخلون بغداد واكفانهم بايديهم منشوره
وسيوفهم مسلوله ويقبلون العتبه ويتوسلون برسول الله صلى
الله عليه وسلم في الصفح فلما دخلوا على هذه الهيئة والخلائق تضج بالبكا
تعوملوا بكل حسني فلما بلغ ذلك اباعزيز كان يقول لعن الله اول راي
عند الغضب وتوفي ابو عزيز في عز سلطانه بمكه سنه سبع عشره
وستمايه وكانت مدته نحو تسع عشرة سنه وهي السنه التي استولى
فيها المسعود بن الكامل على مكه وفي مبتها امامه امامتها **حسن ابن
عزيز** وكان قد واطى جاريه لابيه حتي ادخلته اليه فخنقه واعانته
الجاريه لانها كانت قد طمعت منه بمال وعداها وامال مجدها
وخرج فقعد مكان ابيه والقلوب منه نافره والنفوس له عن البغضا
سافره واكب عليه اخوه راجح بن ابي عزيز ووجوه الاشراف
امير الركب العراقي حين قدم وقال كل منهم بما علم تغلق ابواب
مكه وجمع للامتناع ثم انسل من الجمع فريدا وانسل من جناح بني ابيه
في البر المقفر طريدا واتى بغداد فمرض بها وكان لا يزال يرى اباه
يرد دابه في منامه ويضع يده في خناقه فينتبه مذعورا ويسمعه
من معه في البيت يصيح وهو كالمختنط ويقول بالله لا تفعل ومات سنه
ثلاث وعشرين وستمايه وقام بعده اخوه **راجح بن ابي عزيز**
وكان لوفور عقله راجحا ولحسن فعله حيث ثم ناجحا اخذ نفسه

بسلوك الطاعة ولزوم الجماعة ثم ولي ابو سعيد **الحسين بن علي بن ابي عزيز** وكان جوادا ابيا شهما وفيا اديبا نصيحا عرسا ثم اتي دمشق **جماز** بن حسن بن ابي عزيز وابوه حسن المتقدم الذكر وقد طمح في راسه طلب ملك ابيه بعد كلام شجر بينه وبين اقربه وكان قد احمل على ابن عمه ابي سعيد الحسين بن علي بن ابي عزيز وكان قد امتد الي امره مكه وطلب من الناصر بن العزيز ان يجهزه بمال وعسكر ليخطب له بمكه فامطله حتى ضجر ثم بعثه مع الركب فافسد حال ابن عمه ابي سعيد ثم آل الامر الى انه وثب عليه فقتله واستولى على مكة وخطب بها للناصر سنه احدى وخمسين وستمايه ثم كان يقول كنت اود لي ملك ابي سعيد مثل قوله

الى الخيف من وادي منى والمحصب احن بقلب فوق جمر مقلب
واشتاق من ارض الحجون معالما ببطحايها والشوق مذ كنت مذهبي
وبي رشا احلى بقلبي من الغنى لدى قلب ذي بخل مجرب

واما الهواشم فاول مذكور منهم **محمد بن جعفر بن ابي هاشم** وهو سيد سادة ورأس سيادة ومنفذ راي لم يعدم سداده ومسدد سهم لم يخط حظه سعاده قال ابن الحصين دخل مكة سنه اربع وخمسين واربعمايه والفتنة قايمة بين الحسنيين والسليمانيين منهم ولم يكن للسليمانيين راس يقوم بهم بعد الامير شكر فتقدم محمد بن جعفر واوقع بين بني سليمن واستولت الهواشم على مكة وطردوا السليمانيين الى اليمن واستقل بالامر

وخطب

وبها
ثاني كراس من
مسالك الامصار

وخطب للمستنصر للفاطمي ثم خطب للقايم العباسي وابدل بياض الشعار الفاطمي بسواد الشعار العباسي وقال وهو يخطب الحمد لله الذي هدانا اهل بيته للراي المصيب وعوض بيته بلبسه السواد بعد لبسه المشيب وامال قلوبنا الى الطاعة ومتابعه امام الجماعه ثم تكلم بعد هذا بما يناسب فلما انتهى قام محمد بن ابرهيم الاسدي امام قبه العباس وانشد شعرا منه

بني العباس عاد الامر فيكم وارث ابيكم اضحى مقيما
فزمزم ليس تروي غير نال مديحكم ونحن لكم القديما

فاظهر له القبول ثم طلبه خفيه وقال له ما يدخلك بين بني فاطمه وبني العباس ثم طرده ثم هجم المدينه واخذها وخطب للقايم بها وسمي امير الحرمين وتوفي سنه سبع وثمانين واربع مايه وكانت مدته ثلثا وثلثين سنه ثم قام **بعده ابنه قاسم** قال مولف الكنوز فزاد في الاضطراب في الخطبة على ابيه وقطع مدته بما اشال الله محنته فيه ومات سنه ثمان عشرة وخمس مايه بعد عمر متع به في التصرف والتقلب بلغ احدى وثلثين سنه ثم قام بعده ابنه **ابو فليته** فاحسن السياسه واحسن في الرياسه واسقط

المظالم واسخط بمراضي الله الظالم وكان جوادا الا انه
وشجاعا غير غافل عما يجب وقال يوما اعلموا يا بني حسن اني
وجدت الرقاب ثلثا رقبه ملكتها بالمن ورقبه ملكتها بالصنع
ورقبه لم يسع فيها الا بالسيف فقالوا والله انك لاعرف بما تقول
وتفعل وتوفي قتيلا بسكاكين الباطنيه سنه ست وخمسين وخمس مايه
ومدته عشرون سنه ثم قام بعده **ابنه عيسى** وكان صديقا للملك
الناصر بن ايوب صداقه لا تنفصم عراها ولا يوقظ اكراها وفي ايامه
كان اخذ الاسطول صاحب الكرك الفرنجي الذي قصد ماردة الله بغيظه
دونه واخذ ونحر من فيه بخمر العقبه حيث نحر البدر ثم عزله الامام
الناصر لتقصيره في خدمة امه لما حجت وولي **اخاه المكثر**
ولم يتقدم في اهل بيته اجل منه ولا اجلا سنا فيما يوثر عنه هذا
على قصر مدته وتخاذل زمانه وبني قلعه مكه على جبل ابي قبيس قال
الرنجاني كان ذا شهامه بعيد الصيت والغور وشعره كثير ومن
حر الكلام قوله

لا تفضحن اخا يريد لنفسه ما لا تريد ولا تعاد قد يرا
الا اذا ابصرته متجنيا فاركب له حد الحسام طريرا

وتوفي

وتوفي سنه تسع وثمانين وخمس مايه قال الرنجاني وبموته
انقرض ملك الهواشم وصار في بني مطاعن من السليمانين المذكورين
من قبل هاولا ممن بني داود بن الحسن المثنى وهم اول من ملك
ثم الهواشم ثم السليمانيون • واول قايم من بني داود **الناهض
بامر الله** محمد بن سليمن بن داود نهض الملك ادركه وبلد ملكه
ظهر بالحجاز وخطب لنفسه بالامامه بالموسم على روس الاشهاد
وقال الحمد لله الذي اعاد الحق الى نظامه وابرز هر الايمان من
كمامه وكمل دعوة خيرة الرسل باسباطه لبني اعمامه صلى الله عليه
وعلى اله الطاهرين وكف عنهم بركته ايدي المعتدين وجعلها
كلمة باقية في عقبه الى يوم الدين

• لاطلبن بسيفي ما كان للحق دينا •
• واسطون بقوم بغوا وجاروا علينا •
• يعدون كل بلاء من العراق الينا •

ثم ابو الفتوح الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان
كان جميل الوفا جليل القدر في الوفا كتب اليه القادر سنه
احدى وثمانين وثلثمايه بولايه مكه فانفذ كتابه الى العزيز فوقع له
العزيز بولايه مكه وارسل اليه بمال وخلع للشرفاء فحضرتهم عند

الكعبه وقسم فيهم المال ۰ وقال عند ما البس الكعبه الكسوة البيضا
الحمد لله يا بني فاطمه الزهراء واصحاب السنه الغرا على ان زين
بيته بملبسه السرور بعد لبسه الحزن وجعل ملك الحرمين لبني
بنت رسوله من بني الحسين وبني الحسن فارضى الفريقين واتصلت
امارته واتاه كتاب الحاكم بالبراة ممن غصب وصي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ميراثه في الخلافة ومنع فاطمه الزهرا بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم حقها في فدك فغضب ابو الفتوح وقال قوم قام
بهم منار الإسلام بعد نبيه عليه السلام يذكرهم بما لا يجب اهكذا فعلت
النصارى بالحواريين بل جعلوا قبر كل واحد منهم مزارا ۰ الحج وعباده
والله لو امرني ان العن قوما على غير الملة لما ارتضيت ان اكون لعانا
ووالله ان من حقوق جدنا علي ابن ابي طالب وصفه بالعجز فام بهذا
وخطب على روس العلويه فقام اليه رجل منهم وقال ايها الامير
هذا مقال من يجب عليه ان لا يرجع عما قاله قال صدقت ثم شرع
في مباينه الحاكم واتاه الوزير ابو القسم فحرضه على طلب الخلافه
فخطب لنفسه بها وتلقب بالراشد واتى الرمله فبايعه بنو الجراح
امراطي ودعي امير المومنين فما زال الحاكم يحتال على العرب بالرغبه والرهبه
حتى انفردوا عنه فرجع الى مكه ولم يجد بدا من اعادة الخطبه للحاكم

فقيل

فقيل له اترضى بان تكون تابعا بعد ان كنت متبوعا فقال ما احب
احد الحياه في عافيه الا ترضى ببعض الدرجه وامتد عمره الى سنه
ثلاثين واربعمايه وامارته مدتها ست واربعون سنه وهو القايل

۰ أهوى الكوس فيها الى السرور أسير ۰
۰ عجبت منها شموسا حففن بهن بدور ۰
۰ عجبت منها خدودا لاحت عليها ثغور ۰

حكي ان الوزير ابا القاسم كانت عنده محالكه ومواقفه فقال
يوما لابي الفتوح بمحضر الاشراف وامرا العرب ما رايت اشعر
منك في قولك وانشد هذه الابيات فخجل ابو الفتوح وعلم انه اراد
اعلامهم انه يشرب الخمر فقال لاحد حجابه علي بالمصحف فلما حضر
فتحه وقال وحق ما احتوى عليه ما شربتها قط ولا حضرت
عليها وتوحش لابي القسم وتفرس منه ولابي الفتوح شعر كثير
منه ما انشده الباخرزي في الدميه وهو

۰ وصلتني الهموم وصل هواك وجفاني الرقاد مثل جفاك ۰
۰ وحكى لي الرسول انك غضبي يا كفى الله شر ما هو حاكي ۰

ثم ولي بعده ابنه شكر وكان بطلا لا يثلمه الضراب ورمحا لا يحطمه
الحراب وجرت له خطوب ملك في اثناها المدينه وجمع بين الحرمين

ولما وقعت الحرب بينه وبين عمه من بني موسى الجون الذين كرهوا
المصريين وارادوا الخطبة لبني العباس وعاصرهم بنو الحسين
وبنو جعفر قال

بني عمنا الادنين فربا تاملوا غرائب ما ياتي به البغي في الاهل
نسيتم دماء بالمدينة اهدرت وما كان في الاسر والقتل
فبلوا لهم لا در دركم وعاطوهم كاس المودة والوصل
وخلوا بني بنت النبي بجانب ولا تقصروا حتى تزوا فوقه الشمل
وتاخذكم ايدي الشنان وتخرجوا من الحرم الشامي والحرم القتل
واما انا ما دام للسيف قائم فلا اشترى عز العشيرة بالذل
فلا ارتقي الا ذرى كل منبر ولا ارتضي الا الذي يرتضي مثلي
امهد للابناء ما يعرفونه واتبع اباء الذين مضوا قبلي

ثم لما خاف غلبة الرجال اسلم الحجاز ذاهبا الى مصر وقال

قوض خيامك عن ارض تضام بها وجانب الذل ان الذل مجتنب
وارحل اذا كانت الاوطان منقصة فالمندل العرف في ارجائه حطب

ولم يزل في خطوب وحروب تنوب الى ان مات في رمضان سنة ثلث
وخمسين واربعمائة ومدته نحو ثلاث وعشرين سنة وبه انقرضت
دولة الداووديين بالحجاز وفر اهل بيت الامارة منهم الى اليمن وبها

منهم

منهم أمرا

ذكر الدولة الطبرستانية

تداولها ستة رجال منهم ثلثة من بني الحسن وثلثة من بني
الحسين فاما الدولة الحسنية وهي كانت الاولى وبها اسست الوطاة
العلوية هنالك واولها

الداعي الى الحق

ابو محمد الحسن بن زيد بن محمد بن اسمعيل بن الحسن بن زيد الجواد بن
الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب وكان امضى من صارمه واخلع
للدعة من خاتمه نهض للملك حتى اخذه وامسك بطرف ردائه
وجيبه ومنى نفسه بالعراق وشمر لها اصبعه وفغر لاكلها
فاه وحرش سبعه وسل لها عزمة من حد باتكه واعمل فيها خدعة
ناسكه لا فاتكه حتى لولا ميل المقادير وان كل شي بتقدير لاطاحها
عن بني العباس وابترها واستهدلها ولبس عزها وخطب له
بالخلافة في اول خلافة المستعين سنة خمس ومايتين بالري والديلم
وكان مهيبا عظيم الخلق عطش يوما عطشة ففزع رجل وهو في المنارة
قائم يؤذن فوقع منها فمات وكان اقوى البغال لا يحمله اكثر من فرسخين
وعمل في اخر عمره بدنه كان يشق بطنه ويخرج منه الشحم ثم يخاط
وكان اول امره بالعراق في ضيق حال وكان كثيرا ما يسال عن البلاد
المنيعة الوعرة التي اهلها اهل سلامة وقبول لما يدعون اليه فدل على

بلاد الديلم وطبرستان فاتاها وفيها قوم لم يكونوا اسلموا
فاسلموا على يده وتمذهبوا بمذهبه حتى اسس التشيع هناك وكان
جوادا ممدحا وله شعر فايق ومنه قوله

وما نثر المشيب على الا مباشرة السيوف لدى الصفوف
فانت اذا رايت على شيبا فمكتسب من الوان السيوف

وله فطنة مليحة في الانتقاد على الشعرا وحكي ان رجلا من بني امية
اتى اليه وهو في مجلسه فسأله عن نسبه فقال له رجل من بني امية فقال
رجل من اهل المجلس لا اهلا بك ولا من انت منهم ثم لم يبق احد حتى
اخذ في سبه وسب بني امية وقال رجل دعني واياه فلاضربن عنقه
فقال الداعي الى الحق لبيس الجلسا انتم ثم التفت الى القايل وقال دعني واياه
وقال له يا هذا اتظنك بقتله تدرك ثارا من سلف لا والله لا على هذا
ولا علينا مما شجر بين اوليك ثم قال للاموي ايها الرجل ما ذا تريد
فقال وفا ديني وكفاف اهلي فقال حبا وكرامة كم دينك وكم كفاف
اهلك فقال الف دينار خمس مايه لهذا وخمس مايه لهذا فقال لكل منهما
الف دينار ثم امر له بالفي دينار فاخذها وكساه وحمله وجهزه
الى مامنه ثم قام بعده اخوه

القايم بالحق

ابو عبد الله محمد وكان ممن محمد ظهر بحلية تنسك ووقوف مع الحق وتمسك

وكان

وكان يهب على ضيق ذات يده ومضيق رقعة ملكه ويبلغ بذرا
والوفا ويرهب اعدا وصفوفا كان يغزوا وهو في الوطن ويسكن
وتحت سكونه حركات الفطن وكان قايما بالحق قليلا له وقايلا
في ظله لا يفارق ظلاله واوت الرعايا منه الى اب بن يميل على جوانبه وامام
عادل لا يبلغ عن الارض مطر سحايبه فكانما كانوا في ايامه لمنها في الحلم
ولاسيما في الاشهر الحرم هذا مع شراسة خلق وشكاسة غضب لا يحاب
لها افق بجناح من حضره وقد حضر ذلك الخلق الشرس والغضب اليبيس ان
نعب عنه وجهه مقدار حلب لقاح او محا الذي عن الاسماع وقد تخلت
تلك الغيابة المعارضة وهدات شقايق تلك الغمامة المعارضة وعاد
الى احسن خلقه واعاد باحسان تنبيه من اشاه حرفه وسعر تلك
الرياض الدمايث ويتضوع كالمسك في دمائث ومن كنوز المطالب
انه وصل الى الري في جموع عظيمة هال امرها وال الامر الى ان هزمه
كونكين صاحب الري ثم جلس كونكين لضرب اعناق الاسرى فوثب
منهم ديلمي على السياف فاستل سيفه من يده وعلاه به فقتله ومر هاربا
فلم يلحق وكونكين ينظر اليه ويضحك ثم هبت للقايم بالحق
سعادة ملك بها جرجان وبعض خراسان وظهرت شيعته في تلك
الاقطار ثم هزمه عسكر السامانية فقتلوه سنة ثمان وثمانين ومايتين

ثم كانت بعد حروب يطول شرحها وللفنايم هذا ادب ومن شعره

قوله

• ان يكن نالك الزمان بصرف اشد من نار عليك تجلت •

• فاخفض الجاش واصبر رويدا فالدرايا اذا تحلت تجلت •

ولما كسر اسر ابنه ابو الحسن زيد ولم يزل مكرما عند اسمعيل بن احمد الساماني وكتب اليه المكتفي بحمله اليه فدافعه وله شعر منه

قوله

• ولقد تقول عصابه ملحونه منوضنا ما خلفت لغير جهنم •

• من لم يسب بني النبي محمد ويرى قتالهم فليس بمسلم •

• عجبا لامة حزبا لحقوننا ونجبرنا منهم رجال الديلم •

وتوفي ببخارا سنه اربع عشر وثلثمايه • ثم قام بعد برهة ابن ابنه المهدي ابو محمد الحسن بن زيد بن محمد القايم بالحق وقام من بني الحسين من ناوته وذان لحربه وداومه واستجرت بينهما حروب وخطوب على ضروب • صرح فيها السيف وما ورى • وروي فيها السهم كبد قوسه الحري وتصاول بينهما الفحلان وكاد ان يتصرعا وتناضل النضلان وما بقي الا ان ينقطعا ثم دالت الدوله للقايم من بني الحسين وقال القايل ما بعد غايب نقل الى القلب من العين وذلك بعد حروب

تلاقى بها مرج البحرين ومرج الحديد على البحرين وذبحت الرجال ذبح الغنم واشارت اطراف الرماح بالعنم ومرت الاعلام على كل شاهق كالعلم وحلقت حوافر الخيل وجود الارض كالعدم ثم تولى البيت الحسني باحسان اساهم مصابهم والهاهم عن عظيم ما اصابهم واجرى لكل منهم ما كان له في دولتهم الماضيه ولم يبق منهم الا راض او راضيه وسنذكر دوله هولاء الحسنيين مع بني اعمامهم ومن شعبه هولاء الحسنيين الذين ذكرناهم فرقه ثمانيه ما هذا موضع ذكرهم وانشد له البيهقي هجا في اهل الري وانشد له في الغزل قوله

• كفى لحاظك ايها الرشا سهام رمت الفواد وكان ليس يرام •

• ما دل مثلي قط منذ خلق الورى الا لمثلك والغرام امام •

ذكر دوله الاخيضريين

وهم من ولد ابرهيم بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى وهم قوم توارثوا الامامه باليمامه ولم تلم بي من تفصيل اخبارهم المامه وصار لهم بغم وقاشان ذكرنا به ووصف ملشا به

ذكر دوله الادارسه ببلاد المغرب

واول من هبت له بها ريح وشبت مصابيح حتى وسعت بجح قصبها وونبت بقايا بني اميه نصبها وملك الارض حتى حصلت لعسها هو ادريس المغرب بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن ابي طالب واليه تنتسب الادارسه

وهو الجد الاكبر والعقاب المحلق في الجو الاكدر حلق فانتهز
فرصته وحصل قنصه وقد تقدم ذكر دولة المغرب وبعدا
عن من وقعه فخ وقال

غربت كي اعرب في ثورة اشفي بها كل فتى ثائر
لا خير في للعيش لمن يغتدي في الارض جارا الاذى جائر
والارض ما وسعها ربها الا لينذ وهمه السائر
لا بلغت لي مهجة سؤلها ان لم اوف الكيل للقادر

فسار حتى اتى بلاد البربر فتابعوه وبايعوه فقال فيهم

واصبحت في شماء بالغرب عند من يذبون عني بالمعقفة الملد
دعوني لما ضيعني اقاربي وما اطرحوا ما كان اوصى به جدي

فلم يزل الرشيد يستطلع علمه حتى علمه فدس عليه حجاما سمه في
سنون استن به فسقطت اسنانه ومات في سنة ثمانين ومائة
وعمره ثمانية وخمسون سنة والى سلسة هذه اشار اشجع السلمي
في قوله

اتظن يا ادريس انك مفلت كيد الخلافة او يقيك حذار
هيهات الا ان تكون ببلدة لا يهتدي فيها اليك نهار

ثم قام بعده ادريس بن ادريس وهو العزيز الذي خذل ودس عليه
الكيد حتى قتل وكان قد علا امره واضا جمعه ونظم ثغور افريقيه

وكان

وكان موبدا لحده لامه راشد مولى ابيه وهلول بن عبد الله راس
ثقاته فعمل ابرهيم بن الاغلب على راشد حتى هلك واستفسد باطن
هلول وقال

الم تر اني بالكيد اودت راشدا واني باخرى لابن ادريس راصد
تناوله عزمي على ناي داره بمخترمة في طيهن المكايد

ثم لم تزل مكايد ابن الاغلب تدب اليه وتضع حتى قتله ثقاته وبعثوا
راسه اليه فبعثه الى الرشيد فكتب لابن الاغلب بافريقية فتوارثها
بنوه ولادريس المثنى شعر

بان الاحبة واستبدلت بعدهم هما مقيما وشملا غير مجتمع
وما استرحت الى ياس لتسليني الاحوال لي باسي الى الطمع
وكيف يصبر من صمت اصابعه على وساوس هم غير منقطع
اذا الهموم توافت بعدها انها عادت عليه بكاس مر الجزع

وترك ادريس عشرة بنين كان كل واحد منهم يخالف الاخر وينازعه
سلطانه وكان اجلهم القاسم وفي القاسميين معظم الامامة وكان

القاسم بن ادريس

القاسم بعد ابيه خطب له ببلد سبتة
وما يليه وجرت بينه وبين عمال بني امية حروب وبساهم
هو واباهم عمران كروب واليه ينسب الحوطيون شرفا فاس

والكوبون وبنو فنون حله كوميه واشهرهم في القديم
جنون بن ابي العيش عيسى بن جنون بن محمد بن القاسم صاحب بصره
احفرب وكان له خمسه وعشرون ذكرا منهم الحسن الاعور
وادعي النبوه في بلاد البربر وعظم امره فيهم وذكر ابن حيان
وقايعه مع عسكر المستنصر الاموي حتى امتنع بحصن الكرم
وبويع المستنصر ثم ال الامر الى انه وفد على المستنصر طايعا
بقرطبه واحتفل له المستنصر وتلقاه وجلس وانشدت الشعرا
ومنهم ابن شخيص وقال

اميه قد عادت بنو حسن لكم كما كان فيما قد مضى حين سلموا
فعودوا عليهم بالذي قد تعودوا من الحلم والرحمى فذلك اكرم

قال وكان معه جمع من الحسنيين فيهم صبي لم يبلغ الحلم فلما راي
ما عوملوا به من الاكرام بكي فقال بعض اقاربه ما يبكيك
وانت ترى هذه النعم فقال النعم في عزنا حيث كنا خير من هذه
النعم في دولنا اميه قال وافترقت الادارسه فرقتين
فالمحمديون من ولد محمد بن ادريس المثني مالوا الى ابن عمهم
المهدي عبيد الله فافريقيه والعمريون من ولد عمر بن ادريس
مالوا الى الناصر الاموي وكتب اليه رئيسهم كتابا قال فيه

وقد

وقد انعم الله علينا يا امير المومنين بان صرف همتك الى ناحيتنا
ووكل عزمك بعدونا ولقد كنا نتمني ذلك ونستبطئه منك الي
ثم الله عزمك وتيسر لك الى توفيقه مما نرجوا ان نرتقي فيه بك
الى افضل الخطط واشرف المنازل وقال فيه ان بلد البربر
تغلب عليه قوم ملكوا انفسهم من زمن عمر بن عبد العزيز وجرت
عادتهم بجحد السلاطين ودفع الايمه الى ان دخل اليهم جدنا ادريس
بن عبد الله هاربا من عبد الله الملقب بالمنصور بعد ان قتل اخويه
محمد وابرهيم وشرد اهلهم فلما صار اليهم جدنا واستجار
بهم اجاروه ودعوا حقه ووضعوا له ببلادهم فرضا من غير
ان يضبطهم ضبطا بسلطان وقد تناسلنا منه وفنا بعد وسلكنا
سبيله فالبربر الى اليوم علي عادتهم الاولي ان هممنا بتشديد
السلطان عليهم هربوا عنا ونفروا منا واتخذوا الحصون
علينا فمرة نذهب الى محاربتهم وتارة نعدل الى مداراتهم ولا نطمع
مع الايام في ضبطهم وكف عادتهم ونحن مستبشرون
بما خاطبنا به امير المومنين من انه قد فرغ اسبابه من الاندلس
وانه على عزم التوجه الى المشرق لرد ما كان لابايه ثم كتب في اخره
اليك امير المومنين رفعناها رووسا تروم الامن والمن والجاها

نفسا بنو العباس عن شرق ارضها وآل الحسين صلوا بقربانها
ولم يبق الان كراسيه باخلائها لا ابعد الله مثواها
ثم قدر الله ان كان خراب دوله بني اميه على ايديها وآلاء الادارسه
العمريين على ما هو مذكور في موضعه وكان السبب ان ولي علي ابن
حمود سبته وقبايل العدوه ملتففها تلقف الاكاس ⁂
وقال تلك الايام تداولها بين الناس لامر اراد بظهور الدوله الحموديه
واولها **دوله الناصر بن حمود** بن ميمون بن احمد بن
علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين
بن علي بن ابي طالب وقال الشريف ابو العباس احمد بن الحسن الحسني
الغرناطي هو علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن ابي العيش
بن عبيد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله بن الحسن
بن الحسن بن علي بن ابي طالب القرشي الهاشمي الطالبي الفاطمي
الادريسي السرعيني وهو الصحيح وميمون بن حمود هو ناسر عن
وامه البيضا القرشيه واسمها حبونه بنت عم ابيه ولد سنه
اربع وخمسين وثلثمايه كان هو واخوه القاسم من جند سليمن
بن الحكم فنهضا عليه فقتلاه في المحرم سنه تسع وثلس وثلثمايه
وانقطعت الدوله الامويه بالاندلس بقتله وخلا وسعها من

منيب

منيب اسله وبويع له يوم تغلبه بالبرابر على قرطبه وذلك
في يوم الجمعه الحادي والعشرين من المحرم سنه سبع واربعميه
ونقولنا الاول عن صاحب بلغه الظرفا والثاني عن الغرناطي
قال وتسمى بالناصر وتوفي قتيلا في حمام القصر بقرطبه صبيحه
يوم الاحد ثاني ذي القعده سنه ثمان واربعميه وهو ابن سبع
واربعين سنه وكانت مدته سنه واحدى عشر شهرا غير ايام
وكان لسمرا من تلقاعه لا ينظر شيا بعينه الا اسرعت الافه اليه
انتهى كلامه قلت وكان ظلوما غشوما سفاكا للدماء نهابا
للاموال منتهكا للمحرمات فاشتد على اهل قرطبه البلا فلزموا
البيوت وتغيبوا في المطامير وتعلقوا بذوايب الجبال الا اليسير
وانبسطت ايدي البربر على الخلق واتسع الخرق فاغلقت الحوانيت
وانقطعت الطرق والسابله حتى وثب عليه الصقالبه في الحمام
فعجلوا له الحمام فقتله الله باضعف خلقه في وسط داره باقرب
فتيانه من غير رويه ولا تدبير الا ما القى الله في نفوسهم
واجتمع في قتله ثلثه مرد من المقربين اليه كان قد عشق احدهم
وراوده عن نفسه فامتنع ورد عن نفسه ودفع فابى الا ان يعاجله
وذاك الا ان يجره اجر ما صنع فتقدم واحد منهم اسمه مبشر لضربه

على دماغه بلوب نحاس نصرعه وابتدره الاشبان لبلت
وعجب فوجوه بخناجرهم وقطعوه كادا الزاجرهم وكف الله
عاديته وصرف رايحه وغاديته وذلك يوم الاحد عنه ذي القعده
سنه ثمان واربع مايه ويوم قتلته وحوا وقتل وقتلوا ثم قام
اخوه المامون **المامون ابو محمد** القسم وبويع بعد اخيه وما
امدته العجز عن سدا واخيه قال الغرناطي وامه ام
اخيه البيضا وكان اسمر اعين الكحل مصفر الوجه خفيف
العارضين وقورا احسن السمت محسن التكلم والصمت حلبه التجارب
وحركته لبلوغ المارب وتسويغ المشارب كان باشبيليه فارسل
اليه بعد مقتل اخيه فجاء فعقدوا له البيعه يوم الثلثا ثاني عشر
ذي القعده سنه ثمان واربعمايه فاقام ثلث سنين واربعه اشهر
وعشرين يوما ثم خلعه ابن اخيه يحيي بن علي بن حمود وكان
سبب خلعه ان يحي بن علي كان ولي عهد ابيه وكان ابوه قد ولاه
المغرب فلما مات ابوه بقرطبه دعى البربر اخاه القسم بن حمود
وادخلوه القصر وبايعوه فانف ولي العهد يحي من ذلك ونظافر
هو واخوه ادريس واتفقا على ان يعبر يحي الى الاندلس طالبا
لحقه راغبا في التلطف له بحذقه فعبر البحر الى اشبيليه سنه

اربعه

اربعه عشر واربعمايه ثم سار الى قرطبه ففر منها القاسم المامون
ودخل يحيي قرطبه وبويع له بعهد ابيه وخطب له بها ثم اضطرب
عليه البربر ففر من قرطبه الي مالقه ورجع عمه القاسم الى قرطبه
وجددت له البيعه ثم رجع يحيي ففر امامه القسم من قرطبه الى
اشبيليه واقام بها الى ان اخرجه منها ابو القسم محمد بن عباد الى
شريش فملكها فاتاه يحيي وحاصره وظفر به وسجنه بها وتخلص
الامر ليحيى ذكر دوله **المعتل** ابي اسحق يحيي بن علي بن حمود
وقيل يكني بابي محمد وامه لبونه بنت محمد بن الحسن بن قنون الفاطميه
ولادته بقرطبه سنه ست وثمانين وثلثمايه وبويع له بقرطبه
بعد عمه القسم يوم السبت الثامن من ربيع الاخر سنه اربع عشره
واربع مايه وهو ابن تسع وعشرين سنه وخلع يوم الثلثا ثاني عشر
ذي القعده سنه خمس عشره واربعمايه وكانت مدته سنه وسبعه اشهر
ثم بويع عمه القاسم كما تقدم ذكره ثم رجع اليه يحيي وبويع واستوسق
له الامر ثم قتل عند قرمونه وترك فاكله السباع وشبعت
منه بطون لبيت بجباع قال الغرناطي وكان سمينا معكن البطن بارز
الندس في البياض خيرا من محدثه وعادت دوله بني اميه الى قرطبه
وفاضت في الاندلس وسيابي ذكر هذا في ذكرا وايل القروم الشمس

ذكر دولة المتأيد ابي العلى ادريس بن علي بن حمود وكان
ابوه قد ولاه سبتة واعمالها فلما مات اخوه المعتلي بادر بسبتة
ودعا الى نفسه على بغتة واخذ الناس بالبيعة فاخذتهم بغتة
واعطوه ايمانهم البتة وعبر البحر الى مالقة فاجتمع عليه اهلها
وبايعوه وعقدوا له على ولاية تابعوه وخطب له وخوطب
بالخلافة وتسمى بالمتأيد وبايعه اهل المرية ورندة والجزيرة
الخضراء وكان شهما سريا سمحا يقرى وياكرما معطاء عظيما
يوسع الناس عطا حسن الراي والسيرة بالرعية وقافا مع الاحكام
الشرعية ولم يزل على احسن احواله مستقلا ولطود ما
حمل مثقلا الى ان مات في السادس عشر من المحرم سنة احدى وثلثين
واربعمائة وجعل في تابوت وحمل الى سبتة فدفن بها وغيب كوكبه
الدري في تربها وكانت مدته اربع سنين وشهرا واياما ذكر
دولة القائم ابي زكريا يحيى بن ادريس بن علي بن حمود
بويع له بالخلافة في اليوم الذي مات فيه ابوه المتأيد وكان
غير مسدد ولا مسدد خفيف الحصا مجنون البادرة لا يضع سيفه
ولا عصاه طايش الشباب في حركاته طاير الاناة في سكناته
تقدم بتقديم وزرايه وكاتبه ابي جعفر بن ابي موسى يوم الاثنين

وسا
ثالث كراس من مسالك الابصار

سادس عشر المحرم سنة احدى وثلثين واربع مائة وتمت له
البيعة وخطب له بمالقة واعمالها وسائر اعمال ابيه وكان رايه
لا تعلو به قوادم ولا يفرع سن نادم فنازعه عمه الحسن فحاصره
حصارا ضيق عليه مهب انفاس الهوا وضيع صبره في طول الثوا
فطلب منه الصلح على انه يخلع ويبايعه ويسلم له منبر الخلافة
ولا ينازعه وذلك في جمادى الاولى من السنة المذكورة وكانت مدة
القائم اربعة اشهر الا اياما ثم بقي يحيى بن ادريس خاملا لا يرفع
له راس ولا يجتمع عليه ناس الى ان توفي في ربيع الاخر سنة اربع وثلثين
واربع مائة ذكر دولة المستنصر ابي محمد الحسن بن يحيى
المعتلي بن الناصر علي بن حمود صاحب سبتة لما وصله التابوت
باخيه ادريس دفنه من ساعته واخذ على البيعة ايدي جماعته
ثم ركب البحر في يومه الى مالقة فملكها وضبطها بعدما انخلع له
ابن اخيه يحيى القائم واستوزر كاتب اخيه ابي جعفر بن ابي موسى
بن نقيبة على اخيه في صدره منه يجدها ومحنة تقدمت له به لا يجحدها
فانه كان هو المقدم لابن اخيه فاسرها له في نفسه ضغينة حقدها
وبنته اقبرها له في باطنه والحدها وطاوله بها الى السنة الثالثة
ثم قتله وانزل به الحادثة وكان ذلك في يوم عيد الفطر سنة ثلاث

وثلثين واربعمية فاشام عدوه واسام من بارق المهند وعبده
بعد ان استخرج منه اموالا بسط عليه في المطالبة بها انواع العذاب
المهين وابو زله كوامن الداء الدفين ثم بايعه اهل اغرناطه وبلاد
اخرى من الاندلس وانقادت له بطاعة قلوبها وعقد نياتها التي
بين جنوبها فثبت المملكه وشد اواصرها ودفع ثغورها ومقاصرها
ورد كيد عدوها في نحره واغرق راكب شيخ الضر في بحره وعدل
في احوال الرعيه وجبي الاموال وقسمها بالسويه ثم توفي في
جمادي الاول سنه اربع وثلثين واربعمايه وكانت مدته اربع سنين
كانها يوم واحد لاسف الناس على قصر مدتها وطيبها واوقاتها التي
كانها غربت شمس النهار بغروبها ولم يترك من ورثته احدا الا اخا
صغيرا لا ولدا فاعتقله نجا الصقلبي وغلب مالقه واعمالها واستبد
بتدبير المملكه الى ان سخط بها فتبلا في دمه ووضع راسه الشامخ
تحت مواطي قدمه حكي ان بعض ندما المستنصر حضر اليه واليوم
قد طر الليل شاربه والاصيل قد كرع في الراح شاربه والشمس قد
اعتدلت ومايها سفر تتلوه والنهار قد تارب وحضر عود النجوم لسكوه
ندام عنده في جنة تنعم في قطوفها ومنه تكرم بصنوفها حتى اقبل الليل
ثم ذيله واطوله كالمح بالبصر وانعكد قد قرب بين العشا والسحر فما كان

باسرع

باسرع من ان اصبح وطرحت العين لحظها كل مطرح فلما اراد القيام
دعا بالصبوح فسقاه وقدراه بالوبه ووفاه فقال دامت لك الدنيا ودمت
لاهلها ثم ارتج عليه فقال المستنصر حتى تجود لهم بما تحويه فقام النديم
ثم قال ما بقيت اقول وهذه نيته صدق ظهرت وبارقه ترسكون لما بعدها
فقال له حسبك لقد ابلغت ثم امر له بالف دينار ودومه داس وحمله علي
بغله شهبا من مراكبه فمضى به سكرنا الى منزله مكررا له فضل تطوله ذكر دوله
اخيه العدل ابي العلى ادريس بن يحي بن علي بن حمود وهو الذي
سجنه نجا الصقلبي وعصمه من اصل جده النبي ونسبه الابوي
مشتق منه فعله الابي ومحلة الاصيل يعرف بعطائه الذهبي وكرمه
العلوي ينطق به لسان قراه اللهبي رايه تصحح طرف النجم السعيد
وراسه تدمي كل شي اتت عليه كالريح العقيم برفه لا خلف وعده
ولا وعيدا وافقه تمطر تارة فضه وذهبا وتارة حجاره
وحديده وبويع في اليوم الذي قتل به السطيفي وذلك ان
نجا لما اعتقل هذا العالي واستبد بالامر خرج مالقه في جنوده
واستخلف عليها رجلا من خاصته يعرف بالسطيفي وقصد
الجزيرة الخضرا ليقبض على محمد والحسن ابني القسم بن حمود
فلم يظفر بهما فرجع الي مالقه خايبا وقد خان جبينه وان ان يزور

نزي الارض دفينه فاعناله الليالي في حمايه بعض عبيد القاسم
بن حمود فقتله واحتز راسه ورفعه على عود واطيف به في تلك
البلاد كانه هدى برق لا يمل بالسعى وفيه طرف ثم ادخل مالقه
فثارت العامه على السطيفي فقتلوه هو ومن كان له معاضدا
ومثلوا منهما يدا وساعدا ونصبت روسهما وركبا على خشبتين
وركبا منهما مطيتين بوارك لا تسيرهما ولا يدني نوى مغربهما
الا انها من جذوع الرواحل لا تطوي بها المراحل او قواعد
عمد الا انها ليست ممدوده كانما عليها خشب مسنده فيدت
لهما من مربط النجار وتبطت بهما لما تجمع بينهما وبينها من قرب
النجار واخرج ادريس العالي من السجن وبويع يوم الخميس
سادس اخدى شهر جمادى سنه اربع وثلثين واربع مايه
ثم بويع باغرناطه وقرمونه وما بينهما من البلاد وانارت
بالعدل مشارق زمانه وانالت من الفضل بوارق احسانه
ثم امطرتهم ديمه دراكا وارتهم عن الثنايا فما استسقوا ابتساما
ولا اراكا قال الشريف الاغرناطي وكان عدلا خيرا لم يزل
على احسن الاحوال الى ان ثار عليه ابن عمه محمد المهدي فجرت بينهما
حروب كان الظهور فيها لابن عمه فانخلع له فسلم له الامر وذلك في

رجب سنه ثمان وثلثين واربعمايه وكانت مدته ثلاث سنين
وسته اشهر ومات بعد ذلك ذكر دولة المهدي ابي عبد الله
محمد بن ادريس المتايد بويع له بمالقه يوم خلع ابن اخيه العالي
وكان سنه المعالي وكانت بيعته في رجب سنه ثمان وثلثين
واربعمايه فتمت له الامور وتابعته البلاد فضبطها وكف عن اطرافها
جور العدى وشططها واحسن تدبيرها وكان سوسا نبيلا
رئيسا جليلا فطنا بالصواب لا يخطي مواقعه ولا يخلي من صفو المناهل
مشارعه اذكى قلبا من السراج واشف بصرا من الزجاج محصنا
للملك مسكنا للفتن موثرا للخير مثمرا للجاني معمرا للنواحي مصلحا
لامور الجند منجحا لمقاصد الامل كانت ايامه هادنه مطمينه لا تنجم
في دولته فتنه ولم يزل كذلك الى ان مات بمالقه سنه اربع واربعين
واربع مايه وكانت مدته ست سنين وسته اشهر وكلها محموده
ممدوحه ممنونه ممنوحه كانها اعياد او في جفون الزمن الوسنان
رقاد يبخل نداها ساكبا ويحل قدر دولتها فلا يمر بها السحاب
الا راحلا لا راكبا ذكر دوله الموفق ابي العلى ادريس بن علي
بن ادريس بن علي بن حمود بن اخي المهدي وكان ندى الندي يفوت
كرمه كل سخي وعلت زمانه كل دجي وعزم صارمه كل بخي لا ينبا

جوابه عن المصطرح ولا نال اهله سهوله الحسان ولا يسمح
الان الا قدار لم تسعده بطاوعتها ولم تبعده من احتذاب منازعتها
بويع سنه اربع واربعين واربعمايه ولم يخطب له خطيب ولا هتف
باسمه داع في بعيد ولا قريب وبقي اشهرا كان زمانه فيها بالطاعه
والعصيان مشهرا ثم ثار عليه ادريس العالي بن يحيى بن علي
بن حمود المخلوع المقدم ذكره فخلعه وقسى عليه كالليث القسور
وما خذ عنه واسترجع الملك ثم عادت دوله العالي وما تقنت
الا اياما ولياليا ثم اتاه الموت واجاب الصوت فنزل من منبر
منزل المقابر ثم كانت دوله المستعلي ابي عبد الله محمد بن ادريس
المتايد بن الناصر علي بن حمود وكان ممن يسود ولا يسود ويتساقط
ضعفا ويتقدم خلفا بويع سنه ست واربعين واربعمايه وخطب له
بمالقه والمريه ورنده وغيرها من البلاد فتمهد له الامر وما كاد
واراد التشبه بسيره ابيه فما اطاق ولا قدر ان يفتح بها فما ولا
يبتدله بها نطاق وضيق عليه باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطه
فقهره وخلعه وابتز ملكه وما جمعه وذلك في سنه تسع واربعين
واربعمايه وكانت مدته سنه واحده تنبه عيونها وهي راقده
ثم سار الى المريه قال الغرناطي فاقام بها سنه اذل من سايل

واحقر

واحقر من جاهل فاستدعاه اهل مليله ليملكوه فعبر اليهم
البحر فبايعوه في شوال سنه تسع وخمسين ثم تابعه بنو ورسدى
وقلوع جاره ونواحيها واقام بها ملكا الى اخر سنه ستين ومات
وكانت مدته بها سنتين وثلثه اشهر وانقرضت دولتهم وفني
ملكهم فسبحان من لا يفني ملكه بيده اخذ كل شي وتركه

ذكر دوله المهدي محمد بن تومرت

ويكنى بابي عبد الله وهو المدعو له على منابر الغرب وبافريقيه
خاصه الى الان تقول الخطبا الامام المعصوم المهدي المعلوم
وقال لي الامام ابو عبد الله محمد بن الصايغ القرشي انه ربما دعي
له الى اليوم على منابر الاندلس ولكن لا يزاد على قول المهدي المعلوم
وهو حسني من ولد الحسن بن علي عليهما السلام ولم اقف على نسبه الموصول
ولا عرفت فرعه البايع من اي الاصول وكان بن تومرت داهيه
لا يعد معويه بن ابي سفيان نزه ولا مثله المغيره بن شعبه يقصر
عنه دهاء عمرو وسميه بن العاصي في اخر الامر لو قيس به زياد
لما زاد او ابو جعفر المنصور لخاف على جعفر من مكايده الانداد
وكانت همته لا تحدثه بما دون النجم وعزمته لا يلين عودها
بالعجم اقصر بمفاصله من زرقا اليمامه واجرى على موسليه

من انو الغمامه وكان قد ساح في الارض وراى دنسها وشمر
ذيله لما عرف نجسها فاورد خيله المجرم وصعد ابنه البروج المشمخر
ونازع النجوم في رتبها ونصل سهامه بشهبها وافترس الاسد بالاسد
واقتبس جمر المريخ في سنان ذابله وقد وفد وكان قد قدم الصعيد
في الدوله العبيديه والرفض قد ملا الملا واعتلا العلى وعم
الديار المصريه حتى طبق مفاصلها وطرق بالبدعه السيئه
مواصلها فنزل بمسجد هناك فراى مكتوبا عليه لعن الله الصحابه رضوان
الله عليهم فنزله وهو من الحق نعلي براجله وود لو قدر ساور كاتبه وبعاجله
فكتب عليه • اري وفي النفس اشيا مخباه لالبس لها درعا وجلبابا •
• والله لو ظفرت كفي بعبتها ما كنت عن ضرب اعناق الورى ابي •
• حتى اطهر هذا الدين من نجس واوجب الحق للسادات ايجابا •
ثم قام وهو لا يهدى ولا يعرف اي بحر يجاوره ويبغدي ثم اتى
مكه وشهد الموسم بمنى وشاهد من فيه الغنا لا الغنى واخذ لعبه
من الزجاج المذهب ووضعها على جموع العقبه وقعد امامها وعينه
مرتقبه وبقي كلما مر به مار قال له هذه صوره فاكسرها فلا يجيبه
ويقول لعل لهذه صاحبا اذا كسرتها طالبني بثمنها الى ان مر به مغربي
من اهل الجبل الذي اوى اليه فلما قال له ما نابي ان كسرها وما تاني

فقال

فقال ابن تومرت هولاء اريد لسرعه تلقيهم لما يقال لهم بالقبول
وترك القايل لهم وما يقول وقضيته معروفه لم يخل منها مجالسه
جليس ولا موانسه انيس ولا اسمع مروس ولا دبيس لما فيهما من دقايق
التلطف في المراد والتوصل الى ما في النفس والتمني للاستعداد
قال مولف الكنوز كان ربعه قضيفا اسمر عظيم الهامة حديد النظر
كبير الاطراف شجاعا عالما مقبلا على العباده لا يصحبه من متاع الدنيا
الا عصى وركوه ومن الاشعار لابن العديم قال رحل الى المشرق ولقي
الغزالي واخذ معه فيما يرومه تصعه عليه وقال له لو كان هذا
امرا ممكنا لما سبقت اليه فلما خرج الغزالي لوداعه • قال ابن تومرت فيه
اخذت باعضادهم اذ ناوا وخلفك القوم اذ ودعوا •
فكم انت تنهى ولا تنتهي وتسمع وعظا ولا تسمع •
فيا حجر السحد حتى متى تسن الحديد ولا تقطع •
قال واقام بمكه مده يلاحظ مواطي اقدام رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويمثل طريقته وينسج على منواله فاخذ نفسه بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر وكان قد اطلع على الجفر وعلوم اهل البيت واتى مراكش
فراي زينب بنت امير المسلمين علي بن تاشفين وحولها جوار لها برفلن في
الحلي والحلل وهن حاسرات فانكر عليهن وضربهن بعصاه فلما بلغ هذا اباها

عقد له مجلسا وجمع فيه العلماء واحضره فتكلم بكلام اعجب به
ابن تاشفين فاشار عليه مالك بن وهيب بسجنه وقال هذا لا يجري
منه خير على الدولة فقام الوزير وقال هذا اضعف من ان يخاف منه
فخلصه الله منه فقال لاصحابه ان ابن وهيب لا يبرح يضرب الامثال
سالعلي حتى يبدو له راي اخر والراي ان يخشنهم بالجبل فصعدوا الى درن
وتابعه اصحابه على انه المهدي المبشر به وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة
فلما صعد الجبل واتى ذروته في ابنائهم فقال من ابن هذه الزرقة الرومية
في بيكم قالوا علوج ابن تاشفين بابدنا ياخذ النسا وينهب الاموال
ففتح هذا واكبر وامرهم بمنع ما كانوا يؤدونه وقتل من اباهم وظهرت على يده
خوارق يقول اولياؤه انها كرامات ويقول اعداؤه انها مخاريق مبير
في اهل الجبل المنافقين وقال قد عرفتهم بعين بكشف ثم اخذ يضرب عنق كل
ممثل عليه بالسعد وامر الجبل وطفق يغزوهم بلاد ابن تاشفين وكانت عليه
اوامره تطيب قلوب اصحابه وعرفهم ان الكرة لهم قلت لمطالب
وكان ابن تومرت واحد زمانه ومفرد عصره حتما وحزما وعزما
وجزما وعلما وعدلا لا يبدع ظلما ولا جورا الا ما يسمي في عيون
الحسد جورا ويدعي في رتق العوام ظلما مع الزهد والورع والقنع
والوسا لما اقتنع والعفاف وما تلبس منه وادرع وكان لا يهل

صاحبه

صاحبه ولا ابتسامه ولو تركه متغير الوجه ساحبه وله التصانيف
المفيدة النافعة لمن يعلم الجامعة في بعضها محاسن ما تقدم واستسعد
بالحرب اما بل استفحل واستبهم امره بالكتمان حتى استصح ثم حارب
لمتونه واستحوذ على ملكهم بلا مونه لكنه مات وما فتح بلدا شهيرا
ولا معقلا منيعا اتخذه ظهيرا وكان قد عهد الى عبد المومن
بن علي القيسي الكومي وكان اخص اصحابه المعتبر لصحابته واقرب
مكانهم منهم الى ظل سحابته وكان اذا راه مقبلا قال اماله واما متمثلا

• تكملت فيك اوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط •

• السن ضاحكة والكف مانحة والصدر متسع والوجه منبسط •

فاستخلفه الطيش وسمي باميرالمومنين وما هو من قريش وتداول بنو عبد المومن
ملكا سموه الخلافة وعظم شانهم وملكوا من حدود مصر الى البحر المحيط
في نهاية المغرب وجزيرة الاندلس وانما اجهد ابن تومرت نفسه
وركب الاخطار حتى سبب لهم هذا الملك العتيد ونظم لهم هذا السلك
الفريد اداعوا عنهم تلك السمعة التي احوجت السلطان صلاح الدين
رحمه الله الى انه كاتبهم واراد كاتبه الفاضل بان يخاطب قائمهم
اذ ذاك بامير المومنين فتابى عليه وامتنع وقال مثل هذا ما وقع
ولا يقع قال متى كتبنا لهم بهذا حتى قري الكتاب على منبر من منابر الغرب

العرب يجعلونا لهم خالعين ولهم لا لبني العباس طايعين واقتصر
على انه كتب نسخه الا موضع هذه الكلمه وخاطبهم وما اطلق ولا امسك
قلمه بل هو في الرتبه الوسطى لا يتمحص فيها انه اصاب ولا اخطا ثم توسل
الى صلاح الدين بان لا يكون الكتاب بخطه وقال له والخادم يستجير
هو ودينه بالمولى من هذا وكان مضمون الكتاب الاستنجاد بابن عبد
المومن وطلب الامداد على الفرنج بما يمكن ثم جهز على يد ابن منقذ
لما كان يعتقد فاستصرخ به وما هو بمصرخه ولا بواضع وزره ولا
مفرجه وان كان هذا انما هو موضع ذكر بني عبد المومن وانما ذكر ابن تومرت
اقتضاه وهو الذي سلمهم السيف واقتضاه فهذه مشاهير دول بني
الحسن بن على عليهما السلام سوى من تقدم ذكره فيما تقدم من ذكر ولد الحسن
او من لا يوبه اليه ولا امتد لملكه رسن وامراء مكه وهم امرا لا خلفا
ولا ملوك وما لذكرهم في هذه الطريق سلوك وسيأتي في ذكر مملكة
مصر والشام من التلميح عدهم ما فيه مقنع ولمن امال اليه صغوه مستمتع

فاما دول بني الحسين بن على كرم الله وجههما

منها دولة زيد بن على بن الحسين بن على وهو الخارج على هشام
ثم دولة ابنه يحيى الخارج على كثره وكلاهما قتل اما زيد فقتل وصلب
واما يحيى فقتل ثم احرق هو وجثه ابيه كما تقدم ذكره واما بقيه

دول الحسينيين فابعدها صيتا واقعدها بيتا ما كانت لنار الحرب
كبريا هي الدوله العبيديه التي طاولت الايام وجاولت عمر الدوام
واستولت على الغرب ومصر والشام والحجاز واليمن الى اطراف العراق
ولزت الدوله العباسيه منها بقرن الا انها غير حسنا وابتزت بصفحة
صقيل الا انها لبست بحسنا فاما المغرب الى اخر حدود مصر فما زعزع
لهم فيها سرير ولا نوزع لهم فيها الطاعه امير واما الحجاز واليمن والشام
فكانت تكون بينهم وبين الدوله العباسيه او الناجمين فيه دول الايام
ثم اصحت اليمن لدعاتهم وسهل ما استصعب لسعاتهم وكانوا في اول
الحال ملوكا استقلالا ثم غلب عليها الوزرا ورمت جبهها من الاعتلال
ونحن نذكر دول الحسينيين ممن اشتهر ونرى اي نجم ملكه وظهر
ولا اقول الا موجزا ولا اعد من اخبارهم الا نبا او بل ان اكون
منجزا وابدا بالدولة العبيديه وها انا اذكرها واصفها وان كنت
لا اسلكها واصف بعض ايامها وان لم يبق منها الا تذكرها وبالله
التوفيق ومنه المدد والهدى الى الجدد **ذكر الدوله العبيديه**
نشات بالغرب ثم كانت بمصر ولبث احقابا وعنت عتوا وعطلت
فيها الشرايع وبطلت الذرايع وشدد فيها على المحدثين والمورخين
وعلماء الانساب لئلا يظهر جرح نسبهم الدعي وزيف مذهبهم الغير شرعي

نصبوا علم الرفض ودعوا الناس الى هذا الشنار وادعوا انهم
اليه ولكنهم يهدون الى النار فلقد كانت ظلامات رفض وظلمات
بعضها فوق بعض على ان من رد في معتقدهم النظر علم انما غاب عنه
منهم اكثر مما حضر فانهم طايفه ممن يعتقد الحلول ويعتضد
بما لا يعتقد عليه من المعتقد الحلول ممن يقول بتناسخ الارواح
وتناسي بعض النفوس لهياكل الاشباح ولهم على زعمهم ايمة خفاء
وظهور وان الزمان في كل سبعه يدور وقد صنف القاضي ابو بكر
الباقلاني كتاب كشف الاسرار وهتك الاستار في سوء معتقدهم
ومرادهم ووقفت على سجلات وتواقيع عن بعض ايمتهم بعضها بخط
صلوات وبعضها باقطاع في الجنة او رفع درجات ولكن كلام الناس
فيهم يقنع باليسير ولا حاجة الى التفسير فاما نسبهم فللناس فيه
اختلاف كثير فاما هم فادعوا انهم من ولد اسمعيل بن جعفر الصادق
واما الناس فمنهم من افرط حتى قال انهم من ولد رجل خياط من بعض
عامه المسلمين وقال بعضهم كان الداعيه لهم داعيا لرجل
شريف من ال البيت مات وقد اجتمعت زمر الشيعه ولم يبق الا الظهور
فلم يمكنه اطلاعهم على موت ذلك الشريف لئلا ينفل عزايمهم وينفض جمعهم
فاخذ صبيا اراهم اياه وقال لهم ان الامام مات وهذا ابنه وقد اوصي

اليه

اليه ثم من قال ان ذلك الصبي ابن امراة كان الداعيه قد تزوج
بها وثبت في بغداد محضر بانهم ادعيا واتي به الي الشريفين المرتضي
والرضي الموسويين فابيا ان يشهدا فيه وكان هذا اقوى الحجج العديين
على دعواهم وكذلك لهم شهاده صريحه شهد بها الشريف الرضي في قوله

ما مقامي بارض بغداد رشد ونما الخليفه العلوي •
من ابوه ابي ودعواه دعواي ومن جده وجدي النبي •
البس الذل في ديار الاعادي وابن عمي له المكان العلي •
ان عرقي بعرقه سيد الناس جميعا محمد وعلي •

واما حجه الخصم عليهم فامتناع ال ابي طاهر من تزوج المعز ابي تميم
معد وكان السبب في خطبته اليهم انهم كانوا اعرق بيت في اهل مصر
شرفا فلما قدم المعز مصر انفذ اليه ورقه فيها

ان كنت من ابنا اهل العبا فاخطب الى ال ابي طاهر
فان زاك القوم لكفو لهم في باطن الامر وفي الظاهر

فخطب اليهم فاعتذروا اليه وقالوا انه لا يليق لنا فسكت على مضض
يتجرعه ولا يكاد يسيغه وجرض كان لا يتوقعه ولا يرتجيه ثم القبت

اليه بعدها اوراق فيها مذمه وعار وثلمه لا يعرف لها شعار
ومن جملة ما كتب له في بعضها

ان كنت فيما تدعي صادقاً فانسب لنا نفسك كالطايع •
فان انساب بني هاشم تقصر عنها طمع الطامع •
وان فيما تدعي عاجز فاذكر ابا بعد الاب الرابع •
اوفدع الانساب مستورة وادخل بنا في النسب الواسع •

فصعد المنبر واخذ في احدي يديه سيفاً وفي الاخري دينارا
ثم قال اما بعد فقد كتبت لنا مدينه يسل فيها عن نسبنا وهذا
نسبي واشار الي السيف وهذا حسبي واشار الى الدينار فمن
اقر بنسبي ادخلته في حسبي ومن لم يرد حسبي قتلته بنسبي والسلام
ثم نزل وكانوا يكرمون العربا ويبغون انعاماً يعم الناس
ويحضون الادبا معما كان فيهم من احتقاب افك واحتضاب
سيف يسفك واتخاذ شيعة تستنزل عقول الانام وتاخذ
بالالباب اخذ النعاس باعين النيام وقد ذهب بعض الناس
الى ان اهل هذه الدولة من بني ابي لهب بن عبد المطلب بن هاشم وقيل
بل هم من قريش وليسوا لهاشم وقيل بل هم من حمير ثم من صنهاجة
والخلاف فيهم كثير وها انا اذكر امر هولاء من اوله وكان ابتدا

أمرهم

امرهم على يد ابي عبد الله الشيعي الملقب بالمحتسب واسمه الحسين
ابن احمد بن محمد بن زكريا الداعي ببلاد المغرب والقايم بدولتهم
اصله من الكوفه وقيل من رامهرمز من كور الاهواز قال الشريف
ابو العباس احمد بن الحسن الحسني الغرناطي وكان رافضيا خبيثا
ذا عقل ودين صليب وعلم بارع وورع حادن كرهن على ورم وكان
له اخ اسمه احمد اسن منه واعلم واورع يقال له ابو العباس المخطوم
وكان بدو امره بمكه وتمامه بالكجان من بلاد كتامه حج فالتقى في
مكه بقوم من كتامه شيعة كانوا يتشيعون للحلواني داعيه
المغرب قبله بازيد من مايه سنه فلما سمعوا كلامه احبوه وتقربوا
اليه واتبعوه فخرج معهم الى بلادهم واحتل بلاد الكجان نصف
ربيع الاول سنه ثمانين ومايتين فقال لهم اين فج الاخيار فعجبوا
من علمه فقالوا له عند بني سكان فقال لهم نقصد وعندهم ننزل فلما
نادى المكان قال لهم هذا فج الاخيار وقال لهم موسى بن حريث من
ابن علمه ونحن ما ذكرناه لك فقال اسم الاخيار وبكم سمي فلما نزل
به تسامع به الناس ودخلوا اليه وكان يخبرهم بفضائل امير المومنين
علي بن ابي طالب والايمه من ولده عليهم السلام فكثر جمعه وجيش
جيشا وقاتل اهل افريقيه فافتتح مسيله ثم سطيف ثم طبنه ثم بلزمه

ثم دار ملوك ثم بحس ثم باغايه ثم قسطيله ثم قفصه ثم الاربس
وهرب زيادة الله بن الاغلب من رقاده فدخلها الشيعي يوم الاثنين
السادس والعشرين من جمادى الاخرة سنه ست وتسعين ومايتين
ثم جمع جموعه وعبا عساكره وخرج يريد سجلماسه يوم الخميس
العشرين من رمضان منها واستخلف على رقاده وسائر افريقيه اخاه
المخطوم وابا زاكي تمام بن معارك الانجاني وكان هذا ابو زاكي
تمام بن معارك اول من لاقى الشيعي فقال له ما اسمك يا فتى فقال تمام
بك يتم امورنا فما اسم ابيك قال معارك فقال الشيعي لكن بعد عرك عظيم
فلما اتى سجلماسه ارسل يقول لصاحبها اليسع بن مدرار انا ما جينا
لقتال ولكن لحاجة ولك الامان والبر والانعام فرمى اليسع الكتاب
وضرب اعناق محضريه فكتب اليه ثانيا ففعل كفعله الاول فيهما فناجزه
الحرب فانهزم اليسع ودخل المدينه مهزوما ثم خرج منها فارا
فدخلها الشيعي واخرج المهدي واطلق الخيل في طلب اليسع
فادركوه واخذوه هو ومن كان معه واتوه به فامر باليسع فضرب
بالسياط وطيف به في العسكر ثم امر به وبمن كان معه فضربت اعناقهم
وذلك في ذي الحجة من السنة المذكورة ثم اقعد المهدي واخذ له
البيعه على الناس وقدم به دار الملك رقاده فدخلها في جمادى الاخرة

سنه

سنه سبع وتسعين ومايتين واقام بها الى ان قتل هو واخوه
ابو العباس المخطوم قال وكان سبب قتلهما انهما ندما على اقامة
المهدي وارادا خلعه **قلت** ولنذكر هنا ما قاله الغرناطي وقد ذكر
فرق الشيعه بعد قتل الحسين عليه السلام فقال تفرقوا اربع فرق
هم الاصول علويه وفاطميه وحسنيه وحسينيه فالعلويه
رات الامامه في ولد علي عموما دون تخصيص وهم الكيسانيه وهم
القايلون بامامة محمد بن الحنفيه كما نبهنا عليه والفاطميه رات
الامامه في ولد الحسن والحسين ولدي فاطمه عليهما السلام وهم
الزيديه والحسنيه وهم الذين راوا الامامه في الحسن ثم في
ولده ثم في عبد الله بن الحسن بن الحسن والد ادريس صاحب المغرب
ثم في الادارسه بنيه ابدا والحسينيه وهم الذين راوا الامامه
في ولد الحسين ثم في ولده علي زين العابدين ثم في ولده محمد بن الباقر
ثم في ولده جعفر الصادق ثم افترقوا فرقا فرقه ان الامامه في ولده
موسى الكاظم ثم بعده في ولده علي الرضي ثم في ولده علي الجواد
ثم في ولده علي بن علي الهادي ثم في ولده الحسن العسكري ثم في ولده
محمد المنتظر وكان جنينا في بطن امه وهم الامامية وراى فرقه
ان الامامه في اسمعيل بن جعفر الصادق وهم الاسمعيليه واهل هذه

الدّوله منهم وها انا اذكرهم فاولهم هذا القايم بالمغرب
المهدي بالله ابو محمد عُبيد الله بن محمد بن جَعفر بن محمد بن اسمعيل
بن جعفر الصّادق بن محمد بن الباقر بن علي بن زين العابدين ابن
الحُسين بن علي بن ابي طالب وكان رجلاً عارما عارفا عالما النفر جابنا
من علم الاوايل واجاد في فن الروحاني وحذا شعبه من السّحر
واورثه بنيه وكان لايودع الا الايمة منهم وكان يشبه في امره
بالسفاح لقيامه بدوله اقامها بالصفاح لا بالصفاح وكان
ابو عبد الله الشيعي داعيته عينا بما يظهره من التعفف لايتعمق
في متاع الحياة الدنيا ولا يتعرض الي زايد عما يحتاج اليه مُدّة
مابجا وكان يجلس على اللبود وياكل الخشن من الطعام ويكتفي
بجاريةٍ واحدةٍ وغلام وكان يظهر مظاهر الزهّاد ويقف مع ظاهر
النساك على روس الاشهاد معاني باطنه من الدا الدّدي والمعتقد
البليس الرّدي والاعلان بالسّب والامعان في الطعن فيمن ذهب
واظهار الايمان وابطان الكفر وتمزيق اهل حلل الإسلام
بالناب والظفر مع عدل بسط بساطه وكان به تنور فكانما
حل من عقال نشاطه وكانت الكتب لاينفذ في ايامه الا باسم ولده
محمد القايم وكان لايسمي المهدي فيها وبعث دعاته الى الارض

وبثّ

رابع كراريس الكلم الابصار وبا

وبث فيها عقاربه وبعث اقاربه ونفث سمه من سوء الاعتقاد
اوما قاربه قال ... بن سعيد وعبيد الله المهدي اول خلفايهم
تشبه بالسفاح اول خلفا بني العبّاس فان السفاح خرج من
الحميمه بالشام طالبا للخلافة والسيف يقطر دما مراصد وابو
سلمه الخلال يوسس له الامر ويسد دعوته وعبيد الله المهدي
خرج من سلمية بالشام وفي راسه طلب الامر والعيون قد ذكيت
عليه وابو عبد الله الشيعي يسعى في تمهيد دولته وكلاهما تم له
الامر وبايعه صاحب دعوته وقتل عبيد الله ابا عبد الله الشيعي
القايم بدولته واصبح ابو سلمه مقتولاً في حضرة السفاح نسب اليه
قتله اليه قلت بل هو الصحيح انه دس عليه من قتله ونصب له
المكيده حتى ختله وذكر الشريف ابو العباس احمد بن الحسن الحسيني
العرناطي خلافا كثيرا في امر المهدي المذكور فتاركته ثم قال
ولد بسلميه وقيل ببغداد سنه ستين ومايتين وبويع له برقاده
يوم الخميس الموفي بعشرين من ربيع الاخر سنه سبع وتسعين ومايتين
وهو ابن سبع وثلثين سنه وهو باني المهديه وغيرها ولما ظهر
امر الشيعي القايم بالمغرب بدعوته جعل الخليفه عليه عيونا
بمصر فوقع المهدي بمصر في زي التجار بيد صاحبها عيسى النوسري

فقال له انت الذي طلبه امير المومنين فقال انما انا رجل تاجر
فاتق الله في دمي فخلى سبيله فخرج في قافلة يريد افريقية ثم انه
فقد كلبا كان يصيد به فرجع في طلبه وان كان صاحب مصر ندم
على تخليته فخرج في طلبه فاذا هو راجع في طلب كلبه فقال لو كان
هذا هو المطلوب لطلب النجاة لنفسه ولم يرجع في طلب كلب فانصرف
وتركه فسار حتى نزل طرابلس وكان زيادة الله بن الاغلب قد ارصد
عليه عيونا فخاف عبيد الله على نفسه فاخذ طريق قسطيلية حتى اتى
سجلماسة في يوم الاحد السابع من صفر سنة ست وتسعين ومايتين
ومعه ابنه ابو القسم محمد القايم فوشي به واش الى صاحبها اليسع بن مدرار
فاحضره بين يديه واستفهمه عن حاله فقال انا رجل تاجر فقال له لا انما
انت المهدي الذي يدعو اليه هذا الشيعي فاظهر البراءة منه وانكر ذلك
فجعله في دار ورسم عليه الارزاق وبلغ الشيعي خبره فبعث ابا زكي بمال
وطرف الملوك فاوصلها اليه مستخفيا وسلم عليه ثم رجع الى الشيعي
واعلمه بصحة الخبر فسار الى سجلماسة بجيوشه حتى استخرجه كما تقدم
ذكره ثم ما زال بلاده حتى تم امره وانقاد له الملك عنوة وركب من مناسم
الغارب والذروة والطاعة الناس رغبا ورهبا وتابعه الخلق والسيف
على عنق من ابى ثم ما برح جده يعلوا ووردُه يحلو حتى كان قايم دولة ساطرت

المعمور

المعمور وشارطت السنين لا الشهور ثم كان والد املاك وقاعدة
ممالك باهرت الافلاك ولولا علم الله السابق ولطفه لبلغت دولتهم اقصى
الشرق في مدتهما وعجلت الاية الكبرى بطلوع الشمس من مغربها ثم ابنه
القايم بالله ابو القاسم محمد وكان لا يرضى الا قايم السيف صاحبا
ولا يعدل عن الليل والخيل والبيدا مصاحبا بحزم لا ينقصف سمهريه ولا
تنفصي عن عاتقه مشرفيه وكان قد وجه الى بغداد قصيدة يفتخر بنسبه ويسمع
بها مبلغ صوته ويذكر فيها ما فتح من البلاد التي ملك وفتح سنابك جياده
في كلما سلك فاجابه الصولي بقصيدة على وزنها ورويها يغض بحسنها ووريها
وصبر القايم على ما قد طعنا بها وما حدلغا بها وكان منها • قوله •
• ولو كانت الدنيا مثالا لطاير لكان لكم منها حزتم الذنب •
وسيأتي ذكر هذا البيت في موضعه من الانصاف بين المشرق والمغرب
تحرك همة القايم على قصد جهة المشرق وقال والله لا ازال حتى
املك صدر الطاير وراسه ان قدرت والا اهلك دونه وكابد على مصر من
الحروب اهوالا وجاهد فيها رايه وانفق اموالا ومات ولم يطعم حصرها
ولا افنان طرفه سطر نصرتها مع كونه غاص في اطرافها وعام في بحرها
العباب وما اتحف بطرافها • ومولده بسلمية سنة ثمان ومايتين وبويع
له يوم ابيه وتوفي يوم الاحد ثالث عشر شوال سنة اربع وثلثين وثلثمية

وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وسبعة اشهر ثم ابنه **المنصور**
بالله ابو الطاهر اسمعيل وكان قد اوصى اليه ابوه بقصد مصر
واستصفائها واعداد الفراغ لقرب اصافيها فشغلته الفتن التي
ارتامت بافريقيه واستاصلت لولا عوارضها المستغنيه فانها
ثارت ثوايرها في كل قطر وطارت بوادرها في خلل السيوف البتر وكان
جهد المنصور ان يرقع خروقه ويحيط بابي الرماح فتوقه ولم تعد
همته قدر الاستصلاح ولم يطل عزمته على الدفع بالراح وكان اقصى
اجتهاده ان يذود عن حوضه الغرايب ويدود خوفا يخرج من
بين الصلب والترايب اشفاقا على ملكه من تجاذب الاطراف
وتجاذب الاطراف خشية ان ينتزع وحذرا من قاصد بسيفه
ان يروع قال ابن سعيد وهذا المنصور مشبه بالمنصور لان
كلا منهما اختلت عليه الدولة واضعفت عليه الحروب وكاد يسل
من الخلافة فهب له ريح النصر وتراجع له امره حتى لم يبق له مخالف
وحين بسط ما لم تسمه همة ملك اليه امر بان يكتب له اولاد قواده
واجناده وسائر رجاله وعبيده واهل بلاده وكساهم وكانوا
زهى مائة الف ثم فرق فيهم اموالا جزيلة وبدا بالختان [illegible] [illegible]
من ذي الحجة سنة اربعين وثلثمائة ودام الى سابع المحرم من السنة

المقبلة

المقبلة والجزر تنحر وسائر الذبائح والولائم تعمل ويقال انه
انفق نحو الف دينار في هذه الايام ولم تزل كصبي يوم القيروان وهو
يقابل ابا يزيد النكاري وقد ذكر حسن موقفه شاعره محمد بن الحرب فقال

ولم ار كالمنصور بالله ناصرا لدين واحمى منه ملكا وامنعا •
اقر يوم القيروان وقوفه وقد كادت الاكباد ان تتقطعا •
وابرز عن وجه من الصبر ابيض يقابل وجها للكريهة اسفعا •
اذا استقبل الابصار وهي طوامح ثناها فلم تستكمل اللحظ خشعا •

وولد بالمهدية سنة اثنتين وثلثمائة وولي وله اثنتان وثلثون سنة
وتوفي في يوم الجمعة سلخ شوال سنة احدى واربعين وثلثمائة
وله من العمر تسع وثلثون سنة وكانت ولايته سبعة اعوام ثم كانت
خلفاؤهم بمصر واولهم **المعز** لدين الله ابو تميم معد بن
ابي الطاهر اسمعيل المنصور وهو الذي ظفر بخطبة مصر وملكها
وحصل له خطوة ملكها وادركها ووصلت اليها جيوشه وحصلت
على معاقد سررها عروشه وقدم امامه القايد جوهر فاختط
له القاهرة وبنا له بها القصرين والى الان بعض اثارهما الظاهرة
وقسم بنا المدينة على من كان في جملة المعز من القبايل واتخذ الكافوري
بستانا تشرق به الجداول • وشرف المحافل وشرع ابواب المدينة ولم

يكمل لها سور يدور سطا فيها ولا اتام لها حدرا تستند اليه ظهور
اسوانها ثم مدت بعد ذلك التخطيط وادير بهسا سور اللبن المحيط
وذلك لما اناخت القرامطه بساحتها وامامت المعز وهو يعتقد ان
روحه فى راحتها ثم بني في الايام الصلاحيه السور الحجر الدابر وضرب
عليها مثله السابر ثم لما كمل القايد جوهر بناء ما شرع ام المعز
وموضعه استخلف المعز بالغرب بعض اشياعه وقدم مصر وقد
شرف صدر البر والبحر باتباعه واتى الاسكندريه وخيم بظاهرها
وخيم اسله المنصور نزار الاعلى زايرها وتلقاه اليها اهل مصر من
القواد والوزراء والقضاه والعلماء ووجوه الناس فسطهم بالايناس
وتلقاهم بالرحب والسعه وامرلهم بالخلع والادراك الموسعه ثم
سار حتى اتى مصر ودخل القاهره ونزل بقصره بها في يوم الثلثا
لسبع عشره ليله خلت من شعبان سنه ثمان وخمسين وثلثميه وتوفي
يوم الجمعه الحادي عشر من شهر ربيع الاخر سنه خمس وستين وثلثميه
وذكر بن الاثير ان ملك الروم كان ارسل الى المعز رسولا بالمهديه ثم
كان يتردد اليه فاتاه وهو بمصر في خلايه بعض الايام فقال له المعز
اتذكر اذ اتيتني رسولا وانا بالمهديه فقلت لك لتدخلن علي بمصر وانا خليفه
فقال له الرسول قد كان ذاك فقال له المعز ولتدخلن علي بغداد وانا خليفه

فقال

فقال له الرسول ان امنتني على نفسي ولم تغضب قلت للملك عندي فقال
له المعز قلت وانت امن فقال له لما بعثني الملك اليك ذلك العام واتيت من
عظمتك في عيني وكثره اصحابه ما كدت اموت منه ووصلت الى قصرك فرايت
عليه نورا عظم بصري ثم دخلت عليك فرايتك على سرير فظننتك خالقا
فلو قلت لي انك تعرج الى السماء لظننت ذلك ثم جيت اليك الان فما رايت من
ذلك شيا واشرفت على مدينتك فرايتها في عيني سودا مظلمه ودخلت
عليك فما وجدت لك من المهابه ما وجدته ذلك العام فقلت ذلك كان امرا
مقبلا وهذا امر مدبر ولا احالك الا صادقا ثم لبث بعدها ان اخذت المعز
الحمى ومات وقد كان المعز احتفر له سردابا وقال لاصحابه ان بيني وبين
الله عهدا واني ماض اليه وقد استخلفت عليكم ابني نزارا ثم بقي سنه في
السرداب ثم ظهر وهو متعلل ثم مات وكان قد اخذ المغاربه اذا راى سحابا
نزل واومى اليه بالسلام ظنا منه ان المعز فيه وكانت ولايته ثلثا وعشرين
اشهر وعشره ايام ثم ابنه العزيز بالله ابي المنصور نزار وكانت ايامه
ايام دعه وعوام سعه والناس فيها في هدو ولا يقلقل له مضجع
ولا ينبو به قلب ولا مسمع وما برح اهل مصر في كل حيل يضرب
بها المثل فيقول لما سلف من الايام كانها ايام العزيز لانه كان
لين الجانب نعمه حسن المنافب عن حسن للقاصد بعريه كمرم سجيته

سنه خمس وستين

بالندي الغمر وبهره في الندي هذه الخمر ووقفت على تاريخ
ضبط له ثمار اثبت في رسوم ما يحى من الرعايا مثل عدل امريه وظلم
بطله وامر اراح سيفه وانام بطله وتفسح العزيز في بلاده وتلوح
على العراق لتطأه سنابك جياده ودعي له على منابر الشام وذكر
على منابر المساجد وحيي بالسلام ولقبه لقب السلطان صلاح الدين
ابنه العزيز عثمان ترجيا ان يكون ايامه شبيهه بايامه في الرخا
والامان فكانت مثلها في الامان لا في الرخا ونظيرها في الامتنان
والسخا فان في ايام العزيز عثمان حدث بمصر غلا وارتفع السعر
وكان له غلا ثم عظم ايام عمه العادل مما ليس هذا موضع ذكره
ولا تشويش هذا التصنيف بنكره قال ابن سعيد وسفرته من افريقيه
الى مصر وما ظهر منه من حسن التدبير وهبوب النصر والحزم في الاستيلا
كسفرة المامون من خراسان الى بغداد قال الروذباري في تاريخه
حضرت الخطبه للحاكم بن العزيز في اول جمعة فما قدر احد يفهم ما يقول
الخطيب لضجيج الناس وبكائهم على العزيز لانه كان محسنا الى الخاص
والعام شاملا بالبر للقريب والبعيد مبذول البذل بالكرم مسبل الذيل
بالفضل كثير العفو قليل الانتقام عوادا بالجميل مدنيا الى الحق غير
متظاهر بما يذم ولا داع الى ما يكره وتوفي سنه ست وثمانين وثلثمايه

وولد بالمهديه يوم الخميس الرابع عشر من المحرم سنه اربع واربعين
وثلثمايه وولي العهد بمصر يوم الخميس عاشر ربيع الاخرة سنه خمس
وستين وثلثمايه وولي الخلافة في اليوم الثاني وله اثنان واربعون
سنة وثمانيه اشهر واربعه عشره يوما وكانت مده خلافته احد
وعشرون سنة وخمسة اشهر ونصف شهر ثم ابنه الحاكم بامر الله
ابو علي المنصور ولي وكان صغيرا واوتي ملكا كبيرا ولما طلب للبيعة
كان قد صعد شجرة جميز في داره بالقصر يلعب فيها مع الصغار فانزل
واهبط عن منكبه الصغار وملك وما كلف حمله الطراد ولا جشمها المغار
ثم كبر وظهرت منه امور ينكرها العاقل ويكرهها الناقل لكره ما كان
عليه امره من الاختلال وفكره السقيم من الاعتلال فانه كان في كل حين
يحدث حكما محدثا وعلما كاتما كان به محدثا فانه كان مع افراطه في
التهور وخباطه في اموره التي تدل على عدم التصور ربما حدث بانواع من
الحدثان وتكلم باسجاع مثل سجع الكهان وعبدة الاوثان وبالغ مدة
في الكبريا ثم بقي مدة لا يانف من مخالطة الادنيا وكان يركب حمارا له
ويدور وقدامه عبدان بايديهما حربتان ويشق القاهره ومصر ويخالط
العامه ويخرج الى الحاجر ويطلع الى الجبل ثم يمارد العبدين ويسار
وحده ويغاب اليوم واليومين والمده ثم يلاقيه الموكب الى مكان يكون قد

واعد اليه العبدين في وقت يوقته وميعاد لا يفوته ثم كشف الغطا
وباح وقال علوه واستراح وادعى فيه الالوهيه وقال مقالة فرعون
ونصب نفسه للناس طاغوتا واخذ بعض الناس بالقول اخذا مغويا
وامر بعض اشياعه بان يحتال له في اظهار هذه المقاله وضم اليه قوما من
الرجال الضاله فاتى ذلك الداعيه الشيطان الرجيم وامر بان يكتب بسم الله
الحاكم الرحمن الرحيم وامر بان يكتب ويجري في هذا من الفتن ما ذهبت به
نفايس ونفوس وانتهبت به اموال وروس ودارت به دواير سعود
ونحوس واما بن نعيم وبوس مما هو مثل التواريخ وتتفضح له غرر
الدري والتمارنخ تبارك الله وتعالى جده وتقدس اسمه عما يقول الظالمون
ويجهل الجهال او يقول العالمون ثم لما عظم البلايه فيه فاقموا سقمه
به الملك او تسافر خافت اخته امه العزيز المعروفه بست الملك ان
يقفر سهم دست الملك فتلطفت في تلك الحيله واكمنت له رجالا
حتى قتلته غيله وكان قد خرج في بعض مخارجه وتفرد في نواحي
حلوان وطلب جهه ير لا يانس بها انس ولا عين من الحيوان ثم طالت
غيبته وخالف عادته في تلافاته في الوقت الذي كان يوقته فتعهد
المكان الذي واعد فيه للملتقى وتفقد الى يوم اللقا ووجد
هناك حماره وجبابه مزروره كانها عليه وما فككت ازرارها الا ان

فيها

فيها اثار ضربات بالسكاكين ولا عليها دم ولا اثر لوث سين فقال
الناس مات وقال اهل شيعته غاب دهوات فلت والي يومنا هذا
واظن والى يوم النشور ثم من يقول بغيبه الحاكم وانه لابد ان يرجع
ويكون له ظهور وفيما بين البقاع وسروت امم تدين بهذا الدين وتعتقد
الوهيه ذاك اللعين وكان الحاكم كريما سفاكا لا يمنع مورده عن
الظما ولا مهندة عن الظما لكنه في جميع اموره تارات ومره في
اختلاف الاحوال يتقدبها العبارات ومرة في اختلاف الاحوال
تعددها العبارات قال مولف الكنوز ما معناه وفي سنه ثلاث وتسعين
ابتدا به الماليخوليا بالحاكم فاظهر التناقض في افعاله واحدث قتل اوليايه
وصار الامر لا يزداد الا شده والناس الا ادبارا واشتد النواميس
الاسماعيليه لا يرد عليه زاد مر يوما في موكبه ومعه قاضي قضاته الحسين
بن علي بن النعمان بالمكان الذي يباع فيه الحطب وفيه من الحطب ما لا يحصى
كثره فوقف وامر ان يوقد بالنار ثم امر بالقاضي فانزل عن دابته وهو غافل
لا يدري ثم رمى به في تلك النار حتى هلك ومر الحاكم كانه لم يصنع شيا
واذا اخلط السودا به حتى ادعى ما ليس للبشر وقيل اصنافا من الخلق حتى
قتل محمد العكبري صاحب الرصد الحاكمي وكان شديد الاختصاص به ونادي
باباحه دما المنجمين وقال انهم كفار ثم امر بقتل الشعرا وقال هم افه الملك

وممن قتل منهم المقداد بن الحسن الكلبي من بيت الامارة بصقلية وكان
جدهم ابنة العزيز وشاعره وله فيه المدائح المحبرة والقصائد
المشهورة ومما قال فيه امام سوح تاج التجار نواقب مفرقه واعتدل
بعز التراب اذا ما مشا عليه فيكرمه القبل ◦
وكان السبب في قتله وولعه بالشعراء ◦ ان هذا الكلبي كان يدل على العزيز
لما يعلمه من كرم اخلاقه وسعة بذله فيسمح فيما يقوله فقال
اما وسرار حلفة لو حلفتها على الماء لم اشربه وهو نمير ◦
لقد خبت من معروفه وحرمته واني الى معروفه لفقير ◦
فبلغها اعداوه سمع العزيز فقال ما نحب والله ان نحرم ولا يليق ان نخيب
ووجه له في الوقت بما اغناه ووجد به فوق ما كان في مناه وكذلك سمع
انه قال ◦ الحمد لله حتى الحر اعودي في دولة انا فيها شاعر الملك ◦
فنقلت الى العزيز وتحت لديه ليعرى به فامر بان تجرى عليه راتب
جليل باسمه في كل يوم ثم كان الامان سيفقده ويزيده على ما يعهده فذكرت
يوم محاسن اثار العزيز والحاكم صغير يسمع مجلسه اقاويل هذا الشاعر
وتجاوز العزيز وكرمه ◦ فاسرها الحاكم في نفسه ضغنا عليه وعلى الشعرا
ثم مر هذا ذات يوم مخاطره فقال ما قال وفعل ما فعل ◦ ثم في سنة
خمس وتسعين قتل علي بن الحسين والدا الوزير ابي القسم المغربي واهل بيته

وكانوا

وكانوا سبعة قبضهم وهم قعود يتلون القران وضرب اعناقهم وصلبهم
حبل المقطم ولم يخلص منهم الا الوزير ابو القسم على الصورة المعلومة الاتية
في ترجمته وقال في مراثيهم اشعارا كثيرة منها قوله
اذا كنت تهوى ان ترى الطف ثانيا فقف دون مصر في عراص المقطم ◦
تجد من رجال المغربي عصابة مسربلة بعد الدسني بالدم ◦
فكم تركوا محراب ذكر معطلا وكم ختمة من بعدهم لم تتمم ◦
وادى امره الى انه هم بقتل اخته فسعرت به تشرعن بقتل عليه وكانت له
اصحاب اخبار ينقل اليه اخبار الخاص والعام والقريب والبعيد
فقتل خلقا بسعاياتهم ثم اطلع على خيانتهم وانهم صيروا هذا معيشة لهم
فقتلهم عن اخرهم وابطل بعدهم السعاة واذكا العيون وولد
بمصر في ليلة الخميس الثامن والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وسبعين
وثلثمية وولي بعهد من ابيه وبويع يوم الخميس سلخ رمضان سنة ست
وثمانين وثلثمية وله احد عشر سنة وكانت خلافته الى ان فقد خمسا
وعشرين سنة قال صاحب بلغة الظرفا وسبب عدمه انه خرج في ليلة
الاثنين السابع والعشرين من شوال بعد ان طاف ليلته كلها على رسمه
واصبح عند قبر الفقاعي ثم توجه الى شرقي حلوان ومعه ركابيان فاعاد
احدهما مع تسعة من العرب السويديين وامرهم بجائزة ثم اعاد الركابي

الاخر ولما عاد ذكر انه خلفه عند القبر والمقصبة وبقي الناس على
رسمهم يخرجون يلتمسون رجوعه بدواب الموكب كل خميس الى سلخ
الشهر المذكور ثم خرج يوم الاحد ثاني ذي القعده مظفر صاحب المظله
وحطي الصقلبي ونسيم متولي الستر وابن سبكتكين التركي صاحب الرمح
وماضي القرشي مع جماعة كلهم من خواص دولته فبلغوا دير القصير
والموضع المعروف بحلوان ثم امعنوا في الدخول في الجبل فبيناهم كذلك
اذ بصروا بالحمار الذي كان راكبه على قرنة الجبل فبيناهم كذلك اذ بصروا
بالحمار الذي كان راكبه وقد ضربت يداه بالسيف فاثر فيهما وعليه سرجه
ولجامه فتبع الاثر فاذا اثر الحمار في الارض واثر راجل خلفه
وراجل قدامه فما برحوا في طلب الاثر الى ان انتهوا الى البركه التي في
شرقي حلوان فنزلها راجل من الرجاله فوجد فيها ثيابه وهي سبع
جبب وجدت مزررة لم تحل وفيها اثر السكاكين فاخذها ماضي وجاء
بها الى القصر فلم يشك في قتله قلت ـــــ وقد قيل ان اخته لما
خافت على ذهاب الملك لاختلال الاحوال به رتبت له رجالا لما
خافت تقتله ثم رتبت رجالا لتقتل قتلته ثم رتبت رجالا لتقتل قتله
القتله هكذا سبعه ادوار ليخفى قتله ويخفى وكانت امراة حصيفه وافرة
العقل ذات الهلاك في الاعضا تقطعت عضوا لحفظ ساير الاعضا

ثم ا

ثم ابنه الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي وكان صغيرا
فقدمته عمته وارادت ان تحفظ لابيه نعمته فبدات به قبل كار بسه
ورعت للحي حق ميته ثم كان له الاسم ولها التصرف الوافر القسم وكانت
ذات راي سوس وحفظ لما تدبر وتسوس فقامت قيام اردشير
ونهضت نهوض خاقان صاحب السرير وافكرت فكر بلقيس وفعلت
ما يعجز عنه ابليس حتى مشت الامور ومرت اخلاف الدهور ثم كان
الظاهر من ذوي السياسات المحموده والرياسات المشهوده والمنافسات
على الهمم التي افنت ماله وابقت جوده قال مولف الكنوز كان
حسن السيره كريم النفس الا انه تخلى بلذاته وولي حاكي التدبر
صوره وكانت الامور ولا سيد عمته ست الملك وهي التي عدلت
بالخلافه اليه عن ولي العهد ابي هاشم العباس ابن داود بن المهدي
وجي اليه ابي هاشم فبايع والسيف على راسه ثم حبس وكان اخر
العهد به وكان تشاور بالخلافه الى عبد الرحيم بن الياس بن احمد بن
المهدي فادخل عليه الشهود وهو يتشحط في دمايه فاستشهد عليه
انه فعل ذلك بنفسه ثم قضى نحبه واستبد ابن دواس وعمار بن محمد
الوزير وهما عن راي ست الملك حتى خرج من القصر خصي بسيف
مسلول فدعا بوجوه الدوله والوزرا فاقعد ابن دواس الى جانبه

فقال امر مولانا ان يقتل بهذا السيف فاني مولانا الحاكم فنادوه
بالسمع والطاعة ثم صبه على ابن دواس فلم يختلف اثنان ومفردة الوزير
بالامور والخاطر معمور به ثم استدعي به للعيان وقد دبت له في دهليز
القصر من قبله وتحدث حسن بن موسى الكاتب والامر لست الملك ولسانها
ويدها ابو القسم علي بن احمد الجرجرائي الاقطع داهية الارض عم اسعل
للامانات وعمر حتى وزر للمستنصر وولد بمصر يوم الاربعا لعشر خلون
من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمية بويع له يوم عيد النحر سنة
احدى عشرة واربعمائة وله من العمر ست سنة وكانت خلافته ستة عشر
سنة قال صاحب بلغة الظرفا كانت خمسة عشر سنة وثمانية اشهر
الا اياما ثم ابنه **المستنصر بالله** ابو تميم معد بن الظاهر وهو الذي
تناوبت احواله وتناوبت افراحه واهواله وطالت مدته فكانت
ستين سنة وسوغت ستين سنة وستين حسنة ولم يسمع بمثلها
لخليفة ولا لملك مشهور في هذه الملة ولا امتدت لاخر ممن كان بعده
ولا قبله وكاد في وقت يملك الارض كلها ويكفل البلاد واهلها وخطب
له ببغداد وكان نصيبه اوفال واعداد حتى كان بعد مع الاسكندر ويحسب
انه نبغ في جمع ثم ضعف امره الى ان كاد لا تطيعه امه ولا صاحب يرجع
الصدا كلمته وكان كالطيف له وجود ولا حقيقة له وكالعدم هو شي وما

وتوفي ليلة النصف من شعبان سنة سبع وعشرين واربعمية

قدر

فلا راحد ان يسله ولما ملكت له بغداد ونسخ راياته البياض السواد
قال ابو دلف الخزرجي **يقول**

دار السلام مسا بدعوة ابن الرسول جا النهار وولى ظلام تلك الدخول
ما ان رايت خضابا حاله في النصول نور من الله وافى يدي لكل جهول

وجا الحسن بن الصباح القايم بالدعوة النزارية من خراسان في زي
التجار ودخل عليه بعد مدة ماثله وقال له في اخر كلامه من ولي
عهد المسلمين فقال ولدي نزار فمضى بن الصباح الى بلاد العجم واقام
الدعوة التي دامت الى عصرنا هذا وقامت بعد ذلك بالشام بقلاع الدعوة
قال بن سعيد انه جاوز في امد الخلافة ستين سنة ولم يبلغ
هذه المدة خليفة بالمشرق وكانت له من خزاين الاموال وعظم
الامر ونفوذه واتساع الخطبة ومنبرها على اقطار المشرق
والمغرب ما يطول ذكره ثم انعكس عليه ذلك فانتقصت البلاد منه
واضطرمت الفتن بحضرته بالقاهرة وافتقر وضعف امره وآل
حاله الى ان قال لشخص من خواصه طالبه بشي والله لقد اصبحت لا ينفذ
لي امر الا من كان في الى باب قصري ولا املك مالا الا ما تراه علي ويحيي
ورايت بخط قاضي القضاة ابي العباس احمد بن خلكان ان المستنصر
كان في الخلافة قد صار لا يملك الا فرسا واحدا وفنيت دوابه ودواب الناس

وكان اذا اراد الركوب استعار الركوب بغله صاحب ديوان الانشا ليركبها حايل المظله معه قال صاحب بلغه الظرفا وولد سادس عشر جمادي الاخره سنه عشرين واربعمايه وبويع له في نصف شعبان سنه سبع وعشرين واربعمايه وهو في سن التمييز وتوفي ليله الخميس الثامن عشر من ذي الحجه سنه سبع وثمانين واربعمايه وله من العمر تسع وستون سنه وخمسة اشهر ثم ابنه **المستعلي** ابو القسم احمد وكان مستعليا بدل نسبه لا باصل نسبه قيل انه دعي في اولئك الادعيا ومدخول النسب في اولئك الاشقيا قيل في امه فنو لا وان كان لا يصرح بمثله ولا يلوح به الا السحر من فتح بغله وكان الحجر عليه مضروبا والبس بسم ولا سفيه ومصرورا وله من الملك عوما بكفيه لكنه لغلبة الوزرا وعدم تصبيرته في دفع الضرا وولد في العشرين من المحرم سنه سبع وستين واربعمايه وتوفي في صفر سنه خمس وتسعين واربعمايه وكانت ولايته سبع سنين كانما كانت بانواع الصواب ومنين ثم ابنه **الامر باحكام الله** ابو علي المنصور ولي وهو ابن خمس

وبويع وما انزل ابوه الرمس وقام بدولته الافضل بن امير الجيوش وزير ابيه وكان هو وزيره والذي يربيه وكان ابا برا الا انه اي ان يبك عنه حجرا ولم يزل يربيه على الشهامه ويربيه بترشيه للامامه

الي

الي ان اسند ساعده فرماه اصابه من حيث لا يرى فاصماه وكان الامر اسمر شديد السمره شهما لا تجد له يجمع على الهمه بل العزمه لا يبعد عليه منال مهما رام نال وكان الافضل مده وزارته له قد عامل الرعيه باحسان وابور اياته فيما يروق من الاستحسان وكان من قلوب الرعايا لمحل لا نوي فيه غيره ولا حل فلما مات وجدت لفقده وجدت في البكا عليه والوقوف على لحده وخلف من خزاين الاموال المملوه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبه اولوا القوه وكذلك وجد له من الحيوان وحلى النسا ما لو كرر شف به الليل لجاد كابه المسا وعلى من حسن اهتمامه بعمارة الارض وتعلقها بيدك البدار وشبقها بما الابرال ولاه الاعمال منه على جانب الحذار انه استجلب اردبين قمحا غريب الزريعه اراد ان يجعلهما للاختبار الذريعه فاجرهما حتى فرغ اوان الزرع ولم يبق لارض بحران فرع ثم بعث بالاردبين احدهما الى الصعيد والثاني الى اسفل مصر وكتب الى والي كل عمل منهما بان يبدر اردبه ويستكمل زرعه ولا يوخر منه حبه فاجابه احدهما بانه قد فعل واجابه الاخر بانه اجتهد على تحصيل ارض فارغه لبدارها فما حصل فعرف اهتمام الاول بتعليق عمله واهمال الثاني حتى وجد ذلك الاردب مكانا من معطله فانعم على الاول وشكره وقبض على الثاني وسمره ثم لما مات وزر الامر

المامون بن البطايحي واقامه وفوض اليه الزعامه وكان هو المتقلد
بالتفويض وبه يحرك الامر بزجر وبعض وهو براجع في الامر الامر
ويرجع الي ما يامره ويستامر والامر يركب وينزل ويتصيد ويحلي
عن موضعه وينفرد وكان يتحدث في امور ما يكون وما يتجدد من الحركات
والسكون وحكى بعض من كان له به اجتماع انه اراه كتابا فيه صور
مصوره مسات مختلفه وفيها صوره قد قتل وهو علي فرس اشهب
والقي الى جانب جسرا كهيئة ثم قال لي اتعرف هذه الصوره فقلت لا
فقال بل تعرف هذه صورتي وما اظنه الا قد ان الوقت فما مضت سنة
حتى رايت الامر راكبا الحمره علي فرس اشهب مارا مع الجسر كانه ذلك
المصور ثم تفرد وانقطع عنه الموكب فخرج عليه جماعه رجال في سلاح
كانوا قد تعدوا علي قتله فرقبوه حتى تفرد عند جسر الحبس وقطعوه باسيافهم
قال الحاكي فعجبت حتى كنت فيمن وقف عليه علي تلك الصوره ما اخطا
منها شيا وحكى ان الامر ساهو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ نعد مهم
نمر رجل علي باب بستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاه ماء
فسقاه فلما شرب قال يا امير المومنين قد اطمعني في السوال فان راي
ان يكرمني بنزوله لاضيفه فقال ويحك معي الموكب فقال ولتكن
يا امير المومنين فنزل فاخرج الرجل ما به بساط وما به نطع وما به
وساده

خامس كراس من مسالك الابصار

وسادة وفرشها فصارت مد البصر ثم اخرج ما به طبق طعام
وما به طبق بوارد وما به طبق فاكهه وما به جام حلوي وما به
زبدية اشربه سكريه كلها فبهت الامر ثم قال له ايها الرجل
خبرك عجب فهل علمت بهذا فاعتددت له فقال لا والله يا امير المومنين
وانما انا رجل تاجر من رعيتك لي ما به حظيه فلما اكرمني امير
المومنين بنزوله عندي اخذت من كل واحده شيا من فرشها ومن
اكلها وشربها ولكل واحده في كل يوم طبق طعام وطبق بوارد وطبق
فاكهه وجام حلوي وزبديه شراب فسجد الامر شكرا وقال الحمد
لله الذي في رعايانا من يسع حاله هذا ثم امر له بما في بيت المال
من الدراهم ضرب تلك السنه وكان ثلثه الاف الف وسبع مايه
الف درهم ثم لم يركب حتى احضرها فاعطاها للرجل وقال له استعن
بهذه على حالك ومروتك ثم ركب وانصرف • ومن الكنوز قال
وحكا بانه مع البدويه التي عشقها وتزوج بها عند اهل مصر
شبهه بالحواف قال بن القوطي هي العاليه وكانت قد وصفت للامر
فرآها بزي العرب حتى راها ثم ارسل خاطبا لها الي اهلها وتزوج بها
فلما وصلت اليه صعب عليها فراق الدرسا الها بالجزيره البنا المعروف
بالهودج وكانت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه تعرف بابن مياح

فكتبت اليه

يا ابن صباح اليك المشتكي من مليك بعد كم قد ملكا
كنت في حي مطاعا امرا نايلا ما شيت منكم مدركا
فانا الان بقصر موصد لا ارى الا حبيسا ممسكا
كم شيبنا باغصان اللوى حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى حيثما شا طليق سلكا

فكتبت اليها

بنت عمي والتي عدبتها بالهوى حتى علا واحتنكا
نحت بالشكوى وعندي ضعفها لو غدا ينفع منا المشتكي
مالك الامر اليه يشتكي هالك وهو الذي قد اهلكا
شان داود غدا في عصرنا مبديا بالبيه ما ملكا

فبلغت الامر فقال لولا انه اسا الادب في البيت الرابع لرددها الى حيها وزوجته بها وولد الامر يوم الثلثا ثالث عشر المحرم سنه تسعين واربعمايه وقتل يوم الثلثا ثالث ذي القعده سنه اربع وعشرين وخمس مايه وله من العمر اربع وثلثون سنه وكانت خلافته تسعا وعشرين سنه ولم يعقب ثم ابن عمه **الحافظ** لدين الله ابو الميمون عبد المجيد بن ابي القاسم محمد بن المستنصر معد وابوه لم يل وعلى كاهل المنبر لم يعتل وبويع له في اليوم الذي مات فيه الامر

بولايه

بولايه العهد ولم يصرح له بالخلافة لينظروا رايهم فيما بعد واستولى على ملكه ابو على احمد بن الافضل بن امير الجيوش وارتقى منه مرتقا عليا وكان اماميا لا اسماعيليا فاسقط اسم الحافظ عن المنابر ودعى لايمة الامامية والمهدي المنتظر واري الاسماعيلية الموت كل شرب عنصر ثم تقدم الى المؤذنين بان لا يذكر احد منهم ال اسمعيل في الاذان ويبطلوا ما كان زاد فيه من قولهم محمد وعلى خير البشر ثم قتل احمد بن الافضل ورجع الامر الى الحافظ وسلم الملك منه الى الحافظ وبويع البيعه العامه وصرح له باسم الخلافه ولقب ذلك اليوم بالحافظ وسلم عليه بامير المومنين وهو اول يوم لقب بهذا اللقب وسلم عليه ذلك السلم وانجز له منه المنه المرتقب وكان الحافظ لا قدر عنده لمال ولا صدر بعض بامال لانه كان نسابق يداه الامل سداه كل عمل بما نعل له كل كثير المواهب ويصغر كثير النعم الدواهب ولما استقل اعاد الدعوة الاسماعيليه وشد حبلها المنكث ودوى سم العوالها المنبعث وازال دعوة الامامية وما طبب سميه الاسميه ومن الكنوز قال كان موصوفا بالبطش والتيقظ حتى انه سطا على ولده وولي عهده قال وللشعرا فيه امداح فيها غلو لا يحل سماعه ولا روايته وكان لهم يعاق في مدته وجعل لهم

صنّاعا ورواتب وانزلهم في مراتب على قدر اقدارهم قال القوطي
كان شديد المنافسة لا يريد لاحد قولا غيره قال وهمّ بما رده الله دونه
من نقل ساكن المدينة الشريفة زادها الله شرفا فخسف الله من جهز
لذلك في سراديب الارض حفروه وقيل بل هلكوا بريح خرجت عليهم وانشد
امثله مما قيل فيه اكثرها لابي الحسن الاخفش المغربي واوزنها قوله

فترى الناس جميعا خلقوا من ضلال وهو من نور الهدى
فادخلوا الباب وقولوا حطة سمع الله لمن قد حمدا

وولد في سنة سبع وستين واربعمائة ومات في نصف جمادى الاخرة في
زيادته سنة ثلاث وقيل اربع واربعين وخمسمائة وكان في سنة موته
قد بلغ النيل في زيادته الحديد فطولع بذلك فقال اعدوا لي الاكفان
ثم اخرج كتابا عنده من كتب الحدثان فيه اذا وصل الماء الى
الباب الحديد فليتجهز الى الله الامام عبد المجيد وكان الامر
هكذا لم يلبث ان مات ثم ابنه الظافر بامر الله ابو
الطاهر اسمعيل وكناه مولف الكنوز ابا منصور وهكذا
اكناه الجليس في شعر ذكره فيه وكان في مبتغى الشباب
مغرى بمتعة الشباب مولعا بحب الاحداث وموضعا لا يبالي بعزم
الاحداث ووزر له علي بن السلار وحمله اوفى اثقاله وقلده طوق

اعماله

اعماله وسوغه فوق ما في احتماله ثم قتله على يد ابن امراته عباس
بن تميم الصنهاجي واستبد له عوضه والقى اليه امر الملك وفوضه
ثم كلف الظافر بابن وزيره وشغف به شغفا حل في شغاف
ضميره فكان لا يرى السرور الا في بدانانه ولا الراحة الا
في الوحدة ومعاناته ثم حفر سردابا بين داريهما وكانا فيه
يلتقيان ويفعلان ما يفعلان وشاع خبرهما وبقي الوزير
منكس الراس لا يرفع طرفا حياء ولا يجد الدنيا عليه الا ظلاما
لا صبيا فاعمل في اغتياله الحيل واسرع اليه وما طالت به الطيل
وتوصل اليه بابنه فقتله واتخذ ذلك السرداب موضع دفنه
ومن الكنوز انه لما تم لعباس الامر في قتل الظافر ركب الى
الى القصور وقال بلغني ان اخوي الظافر يوسف وجبريل وابن
اخيه ابا البقا بن حسن بن الحافظ قتلوه بمواطاة مفلح زمام القصر
ثم احضرهم وضرب اعناقهم وحمل من القصر ما اراد ولم يخف
عن الناس ايضا من تعلاته وصنعت المراثي فيهم واستنجد بابن رزيك
وهو منية بن خصيب وممن كتب اليه في هذا الجليس بن الحباب وحكى
ان عباسا جلس للمنادمة فلما اخذت الكاس منه قال لنا لمن يعتقد امامة
هؤلاء ويقول انه لا يكون امام لابو صيه والله لو قتلت الظافر

ولا علم عنده بذلك حتى يوصي ولقد استعرضت اثاره كالنعم اهانة
ودجا وقدمت هذا الملقب بالفايز وعمره خمس سنين وعلى يد سا
ذهبت دولتهم بالمغرب وكذلك تذهب بالمشرق نقتله الله وقتل ولده
بالطافر وكان قتله في نصف المحرم سنة تسع واربعين وخمس مائة
ومدة خلافته خمس سنين وستة اشهر وايام ثم ابنه **الفايز**
بنصر الله ابو القسم عيسى وكان لا يجب الى غاية فلوصا ولا عبسا لا
يخرج به ولا بوسي ولا زجر بطير سعودا ولا نحوسا وبويع بعد
ابيه وتطلب الوزير عباس بن تميم قاتله وسن شفاره وقصد مقاتله
فمرت قدامه تقتله الفرنج وطلب النجاة فلم ينج واستوزر الفايز
ابا الغارات طلايع بن رزيك وخاطبه بالتمليك وسماه الملك الصالح
وانزله منه بمكانة لا يوثر فيها قدح القادح وكان اسم الملك
وهو المالك الحايز وله لا لغيره الامر الجايز والغنى والفناء
وسواه العاجز وكان الفايز معه كالظل كيف ما مشى سعه وكالجليس
مهما قال يسمعه اطوع له من الشراك واسرع من وثبه الظبي
في الاشراك وكان ابن رزيك من اجل وزرا تلك الدولة واسبغهم
انعاما لا يقصر طوله وكان عارفا بالادب مكرما لاهله منعما عليهم
بغايض سجاله وله شعر لا يوخر جواد قريحته ولا يشم دخان الندا الا

من

من زنجته ولا ينفجر المعاني الا من فجر صبيحته ولا تصاب المفاصل
الا بصقال صفحته وقد في زمانه الفقيه عمارة اليماني وتوله
ما يرتجيه من غاية الاماني وفيه يقول

دعوا كل برق شمتم غير بارق يلوح على الفسطاط بارق نشره
وزوروا المقام الصالحي فكل من على الارض ينسي ذكره عند ذكره
ولا تجعلوا مقصودكم طلب الغنى فتجنوا على مجد المقام وفخره
ولكن سلوا منه العلى تظفروا بها فكل امرئ يرجى على قدر قدره
واراده الصالح على الدخول في مذهبهم للدخول وراوده من يلزمه
به ان يقول وكتب اليه

قل للفقيه عمارة يا خير من اضحى يؤلف خطبة وخطابا
اقبل الينا لا تحد عن هدينا فلحطه وادخل علينا البابا
تجد الايمة شافعين ولا تجد الا الدنيا سنة وكتابا
وعلى ان يعلوا محلك في الورى واذا شفعت الي كنت مجابا
وتعجل الالاف وهي ثلثة ذهبا وحقك لا تعد ثوابا
وكان الفقيه عمارة شافعي المذهب لا يحول عنه ولا يذهب فكتب
اليه ما يدل على حسن معتقده وتقص ذلك الزخرف من يده
يا خير املاك الزمان نصابا حاشاك من هذا الخطاب خطابا

لكن اذا ما اخربت علما وكم معمور معتقدي فصار خرابا

فاسدد يديك على تدبير مودتي وامنن علي وسد هذا البابا

فسكت عنه لسانا كراهية وسكن مثل هذا القول واشباهه وبقي
غارا بني رزيك الى رتبتهم واتبس على مباينته لمذهبهم واتى يوما
الى حضرة الصالح بن رزيك فاسدى اليه صنيعا فقبل يده ثم خرج
فراى يوسيله من قبل يده ومجده فقال ــــــــ

ملك اذا قابلت نور جبينه فارقته والنور فوق جبيني

واذا لثمت يمينه وخرجت من ابوابه لثم الملوك يميني

ولما طال بعمارة العمر وذاق طعم عيشها المر ورثى بني رزيك بمراثي
عوتب عليها فقال ابياتا ثم انشد

زالت ليالي بني رزيك وانصرمت والحمد والذم فيها غير منصرم

كان صالحهم يوما وعادلهم في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم

ولم يكونوا عدوا الا ان جانبهم وانما غرقوا في سيلك العرم

فلو ذكرت فمي بدمهم لم يرض بركك الا ان يبيد فمي

ولو ذكرت لياليهم ونضرتها وحسنها لم يكن بالدهر من قدم

ثم ابن عمه العاضد لدين الله ابو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ
عبد المجيد بويع له بعد الفايز سنة خمس وخمسين وخمسمايه ولم يلي

ابوه

ابوه الخلافة ولا دارت في خلده ولا كان يطمعها تصل اليه ولا
الى ولده وبايعه الناس وهو طفل لا قدر عليه ولا كفل وقام
بامره الصالح طلايع وقرر له المصالح الروابع ودام على مراعاة
حاله وبهايته في التدبير بغاية العمل عليه في التدبير وقيل ان العاضد
لما فعل كان كالمعاضد حتى امكنت له المنايا كمون الشجاع ووثب
عليه وثبة الاسد المفترس اذا جاع وغالته حيث لا يقدر على الارتجاع
ولا يقدر على الانتجاع ولبدت له في دهليز قصره وفي موضع حصره
فقتل في الدهليز وقيل من ابن اني في هذا الكلف الحرير وما اتى الا
من ذلك الكلف ولا لحقه لولا تلك الحماة التلف ولا حط طايره الا
من موضع اسف واظهر عليه العاضد واهل بيته الاسف وكمدوا
لديه كيف انخسف ثم استوزر العاضد ابنه رزيك بن طلايع
ولقبه بالملك العادل وقال هذا لهذا يعادل ثم قتل رزيك
بعد سنتين وكان هو وابوه بالتشبه الى ملوكهما حسنتين لا سيئتين
فانهما كانا ممن يتوسع في العطايا ويترفع عن المواخذة بالخطايا
وكان قتله بايدي العرب لما اخرجه شاور قريبا من القاهرة واسف
العاضد عليه وخاف ان يتكلم ان تكلم فوزر شاور ولقب امير الجيوش
وكان داهية تلالا للعروش ولالا للعزايم ولم يخل العروش فلا ابا

للدول علا با على الملوك والحول الا انه كان قصير الباع في الدفاع
حقير الرباع في البقاع لكنه كان ذا كيد يغضب اشراكه ويلقي
له عما امنه وشراكه لم يخف نقيصه تنسب اليه فيما فعل ولا فيما صنع
له نفسه وجعل ومدحه عماره على كرهه له ولايامه واتقته
منه ومن انعامه ولكنه خافه فداراه وكان يود ان لا يراه
وماراه ومما قال فيه

صخر الحديد من الحديد وشاور في نصر دين محمد لم الفجر •
هانت عليه النفس حتى انه باع الحياه فلم يجد من يشتري •
حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفري •

وكان بعد ذلك يزيد في تقريب عماره وتخصه بمحل القرب والاشاره
ثم غلب ضرغام بن سوار على الوزاره وابتزها وقطع دونها علائق
المطامع واحتزها واخرج شاور من القاهره يتعثر باذياله
ويتخبر في طريق احتياله ولقب ضرغام بالملك المنصور وكتب له السجل
الاشرف والمنشور ووجه شاور وجهه الي الحضره النوريه
فوقد عليها ونار حسان على اهل حلق وراي نورها روبه الخطيه
لثار المحلق ثم خرج في الصحبه الاسد بن السركوهيه وخرج ضرغام
وتلاقيا على بلبيس واجليت الوقعه عن قتل ضرغام وانتصار الاسد الهمام

وانهزم

وانهزم جيش ضرغام الى القاهره ودخل شاور القصر وولي
الوزاره الاخره وذلك في جمادى الاخره سنه تسع وخمسين وخمسمايه
ونكث عهود شيركوه ومواثيقه وتناسى تجشمه المشقه وطريقه ثم خاف
شاور فراسل الفرنج مستنصرا فجاء الملك مري في خلق كثير فتحصن
شيركوه في قلعة بلبيس واجتمع شاور ومري عليه واحدق به العدو
وحصره وانجز الله وعده وايد شيركوه ونصره وخرج سالما الى دمشق
ثم لم يتجلم به حتى وصل الى اطفيح وعدي الى الجيزه واقام بها مده وانفذ
شاور الى مري واستصرخه وملازمته القارع ونفحه وبذل له مالا عظيما
ووعده بمساطره البلاد فحمي لاجله ووافاه بخيله ورجله ثم عدي الى الجيزه
واندفع شيركوه الى الصعيد فلحقوه في الناس قريب منيه ابن خصيب
ووقف لهم شيركوه ووافقهم ووافعهم فانكسر شاور والفرنج واخذ
صاحب قيساريه اسيرا ووصل شاور بالفرنج الى القاهره مهزومين
وسار شيركوه الى الاسكندريه فدخلها واقام بها مده وسمع به شاور
والملك مري فجيشوا جيوشا عظيمه واتوا الاسكندريه في طلبه فنزل بها
ابن اخيه صلاح الدين في نفر دمه قليله واصعد وعسكر الى الصعيد فجبي
منه مالا جليلا واقام شاور على الاسكندريه خمسه وسبعين يوما
ثم رجع شيركوه حتى نزل على القاهره ونازلها وضيق على من فيها فصالحوه

على انه يرتفع عنها ويرتفع شاور عن الاسكندريه ثم خرج صلاح الدين
واجتمع بعمه شيركوه الى سائر القاهره واقام مدة فوافاه الملك
الرومي صاحب الشام والاسبتار في جمع عظيم فنزلوا على بلبيس
وفتحوها عنوة وقتلوا رجالها وعجلوا الجالها وسبوا نساها واطفالها
وابكوها بكا النوائح ففقدت امالها وسمع شاور فخرج الي مصر واحرقها
ونهبها ونكر محاسنها واذهبها ونزل الرومي على القاهره وعول
علي فتحها ثم عدل الى صلحها وبذل له اهلها مايتي الف دينار فاقنع
بها وطلب الفي الف دينار فراى العاضد ووجوه دولته الى يستعوا
بشيركوه فاتى هو وجيوشه العاضد وادركوه وراسلوا نور الدين
فامدهم بجيوش ما سمعوا بخبرها حتى راو طلايع عسكرها فلما
سمع به الفرنج ارتحلوا لا يلوون على شي ودخل شيركوه القاهره
وخلع عليه العاضد خلعا سنيه واضافه ضيافة تامه واقام
له الاتراك ونزل بظاهر القاهره ثم كان شاور يتردد اليه
فخرج اليه يوما مسلما فاوقع به صلاح الدين ومن معه وقتل ابنه
شجاع الملقب بالكامل وكان خيرا من ابيه يامره بالخير واشار
عليه ان لا يستنجد بالفرنج فقال دعني من رايك فاني اخاف ان لا
املكها فقال له ان تهلك انت وخدك خير من ان يهلك اهل مصر كلهم

وكذلك

وكذلك قتل ابنه الاخر الملقب بالمعظم واخوه فارس المسلمين
وطيف برؤوسهم على الرماح وخلع على شيركوه بالوزارة في سابع
عشر جمادي الاولى سنه اربع وستين وستمايه وتوفي في يوم الاحد
الثالث والعشرين من رجب منها ثم وزر بعده ابن اخيه صلاح
الدين يوسف ثم قطع خطبة العاضد وخطب للمستضي وكان نور
الدين هو الداعي الى خلع العاضد واقامة الدعوه للمستضي وصلاح
الدين يلتوي عليه حتى لم يجد بدا فلما انتهت الدعوه العباسيه كتب نور
الدين وصلاح الدين الى بغداد فعادت الاجوبه بالشكر وجهزت
اليهما الاعلام العباسيه والخلع الخليفتيه وخط نور الدين فيهما الراح
واعادها الاجوبه بالشكر مما كتب عن نور الدين ونشرت الاعلام
الشريفه واقتنت التشاريف المعظمه وتقلدت السيوف المرهفه
واسطت الخيول المسومه وسمع بحضر هذه النعم بمحضر المسلمين
بمصر ايام الجمع والاعلان بالاسم الشريف على منابرها وابدال ذلك
السواد ببياض خطبها وعود سودد مفاخرها ومما كتب عن صلاح
الدين بالخط الفاضلي العبد يسال العتبات الشريفه تلثمه ونسال
الله تعالى ان يجعل حج الحق تابعه بقايم سيفه تاسمه باسمه ونصف
من ولايه ما لا يحيط بوصفه ولكن الله يحيط بعلمه وينهض بشكر التشريف

الشريف الذي بيض وجه امله باسوده وعدا المملوك يوم موده يوم مولده
فانه افاده عمرا ثانيا وهو الذكر واسند ولا بيه الى من استندت ولا بيه الى ما
انزل الله من الذكر واستقر الاسم الشريف في موطنه من المنبر ورحب به
ترحيب من يرهب بر وحقق علماه في جنانه فلو طار فرحا وسرورا طار
بجناحيه ولم يعش العاضد بعدها الا اياما يسيره ثم مات ومشى
صلاح الدين وعليه طيلسان وعمامه في الجنازه وقعد للعزا وبكي
بكا لم يشف به الحزانه فانه ندم على ما كان من خلع ردا تلك الدوله
خوفا من نور الدين لا بقصده وتطلب ما يحتج به فلا يجد لما كان يجد
بالعبيد بين من الحجه في ملا وانه والتستر بهم من سهام مناوايه
ثم كان يقول لو علمت بسرعة اجله ما روعته بالخلع واختلف في موته
فقيل انه علم بالخلع فسم نفسه والجمهور على انه كان عليلا واخفي
عنه خبر الخلع ومات حتف انفه واخذ اهل القصر وحبسوا وفرق
بين الرجال والنسا قطعا للنسل واحسانا للشجره ثم الخبيثه من
اصلهم وكانت مدة ملكهم منذ فتحوا مصر الى ان خلع العاضد مايتين
وخمسة عشر سنه وكان صلاح الدين يشكر العاضد ويصف كرمه
ويقول اسمده نه بمال لسداد دمياط فامدني بالف الف دينار من
العين والعروض وكان لا يزال يتذكره ويتندم على فعله حيث لا يمكنه

استدراك

استدراك الفارط ولا يقدر على استرجاع الفايت ومر عماره بالقصر
فراه خاوي الاركان خالي الاقطار من السكان وكان يعهده لسجود
الحياه ولعقود الشفاه ينظم ملا ويذكر سالف احسانهم وسر طايب
طيب زمانهم فما ملك عبرته ولا امل حسرته • وقال

• رميت يا دهر كف المجد بالشلل • وجيده بعد حسن الحلي بالعطل •
• سعيت في منهج الراي العثور فان • قدرت من عثرات الدهر فاستقل •
• جدعت مارنك الاقنى فانفك لا • ينفك ما بين امر الشين والخجل •
• هدمت قاعدة المعروف عن عجل • سقيت مهلا اما تمشي على مهل •
• لهفي ولهف بني الامال قاطبه • على فجيعتها في اكرم الدول •
• قدمت مصر فاولتني خلايفها • من المكارم ما اربى على املي •
• قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن • تمامها انها جات ولم اسل •
• وكنت من وزرا الدست حيث سما • راس الحصان يهاديه على الكفل •
• ونلت من عظما الجيش مكرمة • وخلة حرست من عارض الخلل •
• يا عادلي في هوى ابنا فاطمه لك • الملامة ان قصرت في عذلي •
• بالله جز ساحة القصرين وابك معي • عليهما لا على صفين والجمل •
• وقل لاهليهما والله ما التحمت • فيكم جراحي ولا قرحي بمندمل •
• ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة • في نسل ال امير المومنين علي •

وقد حصلتم عليها واسم جدكم محمد وابوكم غير منتحل
مررت بالقصر والاركان خاليه من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهٍ خوف منتقد من الاعادي ووجه الود لم يمل
اسبلت من اسفي دمعي غداة خلت رحابكم وغدت مهجورة السبل
ابكي على حضراتٍ من مكارمكم حال الزمان عليها وهي لم تحل
دار الضيافه كانت انس وافدكم فالان اوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم ان اصحت مكارمكم تشكوا من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ورث منها جديد عندهم وبلي
وموسم كان في يوم الخليج لكم ياتي تجملكم فيه على الجمل
واول العام والعيدين كم لكم فيهن من بذل جود ليس بالوشل
والارض تهتز في يوم الغدير كما يهتز ما بين قصريكم من الاسل
والخيل تعرض في وشي وفي شيةٍ مثل العرائس في حلي وفي حلل
وما حملتم قرى الاضياف من سعة الاطباق الا على الاكتاف والعجل
وما خصصتم ببر اهل ملتكم حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للوافدين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتنيس التي عظمت منها الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من احباسكم نعم لمن تصدر في علم وفي عمل

وربما

وربما عادت الدنيا لمعقلها منكم واضحت بكم محلولة العقل
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم ولا نجا من عذاب النار غير ولي
ولا سقى الماء من حرٍّ ومن ظماءٍ من كف خير البرايا خاتم الرسل
ائمتي وهداتي والذخيرة لي اذا ارتهنت بما قدمت من عمل
تالله لم اوفهم في المدح حقهم لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واستبقت ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة فهم دنيا واخرة وحبهم فهو اصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث ان ونت الانواء في المحل
ائمة خلقوا نورا فنورهم من نور خالص نور الله لم يفل
والله لا زلت عن حبي لهم ابدا ما اخر الله لي في مدة الاجل

وذكر ابن الاثير انه لما اشتد مرض العاضد ارسل الى صلاح الدين يستدعيه ليوصيه فظن ان ذلك خديعه فلم يمض اليه فلما توفي علم صدقه فندم على تخلفه عنه وحكى مولف الروضتين قال اجتمع بي الامير ابو الفتوح ابن العاضد وهو محبوس مقيد سنه ثمان وعشرين وستمايه فاخبرني ابو الفتوح قال ان ابي لما مرض استدعى صلاح الدين فحضر ثم جمعنا واحضرنا يعني اولاده ونحن صغار فاوصاه بنا فاكرم اكرامنا واحترامنا قال قاضي القضاه جمال الدين محمد بن واصل وللماجرى لمؤتمن الخلافه

ما جرى وقيل وكل صلاح الدين بالقصر قراقوش الاسدي
وجعله زمام القصر مقامه فرتب في القصر ما كان يدخل الى القصر
شي ويخرج الا بمراى منه ومسمع فضاق خناق اهل القصر
بسببه فلما مات العاضد عرض صلاح الدين من بالقصر من
الجواري والعبيد والعدد والالات والذخاير النفيسه فاطلق
من ثبتت حريته ووهب الباقي واخلى الدور واغلق القصور واخذ
ما صلح له الامر ولاهله وامرايه وخواص مماليكه واصحابه من
نفايس الذخاير والجواهر والملابس ومن جملة ذلك الدرة اليتيمه
والياقوته العاليه القيمه والمصوغات العنبريه والاواني
الفضيه والصواني الصينيه والمنسوجات المغربيه والممزوجات
الذهبيه وغير ذلك مما لم يقع عليه الاحصا واسرف في العطا
والبذل واطلق البيع بعد ذلك فيما دون ذلك واستمر البيع مدة
عشر سنين وكانت خزانة الكتب تزيد على مايه الف وعشرين الف
مجلد وفيها من النفايس التي لا يكاد يوجد مثلها ومنها ما هو
مكتوب بالخطوط المنسوبه التي لا توجد في خزانة احد من الملوك
فتملك صلاح الدين الاملاك التي لهم وضربت الالواح على ابوابهم
ودورهم ثم ملك بعضها خاصته وامراه وبعضها اذن ببيعه ووهب

الفاضل

الفاضل المكتب عن اخرها وازال مبسم تلك الايام ومحا رسوم
تلك النعمه فتكدرت مواردهم المشرعه وتعفت اثارهم بالكليه
ان في ذلك لموعظه وذكرى لاولي الالباب قال ابن مماتي ولم تشهد
التواريخ بانقضا دولة كانقضاء دولتهم على حالة سكون واخمد فتنه
تكون قال واتفقت بعدهم غرايب منها ان بعض امراء المصريين
صار بوابا على باب دار في خدمة من اعطيت له واخر صار امينا
في بعض ما كان في اقطاعه قال ابن مماتي وجرى يوما حديث المصريين
في مجلس القاضي الفاضل فسالته كم كانت عدتهم في عرض ديوان الجيش
لما كان متوليه ايام رزيك بن الصالح فقال كانت اربعين الف فارس
ونيفا وثلثين الف راجل من السودان وحكي ان الامير الكبير يازكوج
اشترى من الديوان السلطاني عدة ادر وخرابات بمصر ليستعين
بانقاضها على عمايره وكان من جملتها دار كبيره وصفت له وذكرت
عنده فتوجه اليها وشرع الغلمان الازعاج من فيها فسمعهم يبكون
فسال عن ذلك فقيل له هولاء عيال بعض امرا المصريين فلما اخرجوا
من دورهم بالقاهره اووا الى هذه الدار وهم لا يعرفون اين يذهبون
اذا اخرجوا فبكى واستدعى بعضهم برفق واطاب قلوبهم ووهبهم
الدار وكتب لهم خطه بها وجعلهم على ثقه من التصرف فيها وما فسح

لهم ان يبيعوها ان اشروا الانتفاع بها وانصرف عنهم متعذرًا
وقال بن مماتي حدثني الشريف النسابة النقيب اسعد بن الجواني
قال سكنت في مصر بدار عتيقة للاشراف وكانت لي زوجة كنت
اتيت انا وابنها في بادهنج بها فاستيقظت ليلةً فقالت رايت
في النوم قايلا يقول احفروا تحت الطيلسان الرخام الذي تحتكم
وخذوا ما تجدونه من المال انتفعوا به فقدان ظهوره فقلت لها
انا رجل فقير وهاولاء الاشراف لا يطاقون واخاف ان ينكسر
الطيلسان في قلعه ولا نصيب شيا فاتحمل الغرامة ومنعتها منه
بكل حيلة ثم رات المنام بعينه ليلة اخرى وجريت على العادة
في الامتناع ثم رات المنام ثالثًا وكانه يقول لها انتم محرومون
وما مضت ايام يسيرة حتى احرقت مصر فما شعرت الا وجماعة
كثيرة من السودان قد هجموا الدار وقصدوا البادهنج فقلعوا الطيلسان
واستخرجوا من تحته سماوية نحاس يكون فيها قدر ماية الف دينار فاعمي
الي وكدت اقتل نفسي غيظا عليها لما فاتني من الغنا وسالتهم ان يعطوني
ولو ماية دينار فما فعلوا وخرجوا كانهم دخلوا دارهم واخذوا
مالهم وقال بن مماتي ومن غريب ما جرى في حريق مصر
ان رجلا عمد الى برنية صير فجعل فيها الف دينار ليسلم من الريب

فما لبث

وبا سادس مسالك الابصار

فما لبث ان هجم الغوغاء عليه بيته فلم يكن له هم الا النجاة بنفسه
فحامل الي باب زويله فبينا هو قاعد يستريح واذا ببعض من كان هجم
عليه ومعه برنية الصير فاشتراها منه بدرهمين ثم ذهب فاستخرج
منه الذهب وشرابه جميع ما اخذله ولم يزل يضارب فيه حتى نمي
واثرى به وقال بن مماتي حدثني القاضي الفاضل قال كان من اهل
مصر رجل وله ابنة مستحسنة فلما احرقت مصر ونهبت اموال اهلها
خرج الى البر الغربي وسكن في بعض الضياع وقعد في حانوت وانفق
لنايب المقطع ان راى الابنة فهويها وتعلق قلبه بها فضيق عليها
وتعرض لها فما ظفر بمقصوده وخطبها من ابيها فما رضيه زوجا لها
فتسلط عليه وقصده واذاه ولم يزل يدفق عليه الحبل الى ان كتب عليه
وثيقة بعشرة دنانير الى اجل مسمى وقدر انها تتعذر عليه فيجد السبيل
الى اخذ البنت قال فلما كان في اليوم الذي يجب عليه فيه المبلغ وقد ايس
الرجل من نفسه واتفق بالشرجاء اليه شاب فاشترى منه بدرهم عسلا
واتى عنه فسقطت منه خرقة مشدودة فاخذها وحلها فوجد فيها
عشرة دنانير فاخفاها معه وقال اخلص بها نفسي من هذا الظالم واجتهد
في تحصيل العوض وايصاله الى صاحبها فلما كان غير ساعة حتى حضر
اليه الخصم وطالبه ورفعه الى القاضي فاعطاه العشرة دنانير التي

وجدها واخذ الشهادة عليه بها وعاد الى حانوته وقد كفاه الله
ما كان يخشاه من اداه فما استقر جالسا حتى جا اليه الشاب
الذي وقعت منه الخرقة فقال اجعلني في حل فاني كنت اشتريت منك
العسل ووقعت مني خرقة فيها عشرة دنانير وظننت انك اخذتها
ولما جيت اليك وجدتها الساعة مرمية في طريقي فعجب الرجل وحضر
الخصم فقال له اجعلني في حل فقد تبت الى الله من الظلم والذهب الذي
اخذته منك وقع مني لانه كان حراما وكنت فيه ظالما فاقبل الرجل
على شكر الله تعالى وذكره وشاع في اهل الناحية وان الله سبحانه وتعالى
اعانه على ما فك به نفسه ثم اعاده على صاحبه عناية منه به وكانت
وفاة العاضد سنة سبع وستين وخمس مايه

ذكر دولة الزيدي

القايم بالكوفة وهو ابو عبد الله محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي
بن ابي طالب اقامه ابو السرايا بالكوفة بعد ابن طباطبا واقامه على
منبر الخلافة خاطبا غلب على الكوفة وسوادها واستوسق
له امر رعيتها واجنادها وقام ابو السرايا بتنفيذ الامور بامره
وبعمل لمكايد الحرب جهد فكره ثم ان الحسن بن سهل لما بلغه
هزيمة زهير وعزمة ابي السرايا على قدفه بموج الصبر جهز
اليه جيشا امر عليه عبدوس بن محمد وامره بقتاله فاقبل حتى

نزل

نزل الجامع قريب الكوفة وزحف اليه ابو السرايا واقتتلوا قتالا
شديدا فاسر عبدوس وقتل جميع من كان معه واحضر ابو السرايا
عبدوس وضرب عنقه وملك جميع ما كان معه وفرقه ثم اقبل ابو
السرايا حتى نزل قصر ابن هبيرة وبث عساكره الى البصرة وواسط
ودخلوهما واستباحوهما فوجه اليه ابن سهل هرثمة بن اعين في جيش
عظيم وبلغ ابو السرايا قدوم هرثمة فسار بمن معه حتى نزل صرصر
وجا هرثمة حتى نزل من العدوة الاخرى والنهر بينهما وكان علي
بن سعيد معسكرا بكلواذ فخرج منها ثاني شوال فقاتل اصحاب
ابي السرايا وهزمهم ورجع ابو السرايا الى قصر ابن هبيرة وهرثمة
في اتباعه فادرك جماعة عظيمة من اصحابه فقتلهم وبعث رووسهم
الى الحسن بن سهل ثم نزل على ابي السرايا بقصر ابن هبيرة فقاتله
وقتل كثيرا من اصحابه فلما راى ابو السرايا انه لا طاقة له بهرثمة
خرج الى الكوفة فدخلها وقد كان هذا الزيدي ومن معه من العلويين
قد وثبوا على من بالكوفة من العباسيين ومواليهم فنهبوهم واحرقوا
ديارهم بالنار وحلوهم عن الكوفة واتوا امورا قبيحة ثم ان ابا
السرايا لما دخل الكوفة وجه حسين الافطس الاتي ذكره الى مكة
ليقيم للناس الحج ثم ان ابن هرثمة ناشب ابا السرايا الحرب بقرية شاهي

حيث حاربه زهير بن المسيب فدارت الهزيمة اول النهار على هرثمة
ثم دارت اخره على ابي السرايا فقتل اصحابه وقل عسكره ودخل هرثمة
الكوفة ليلة الاحد السادسة عشر من المحرم ومضى ابو السرايا
هاربا الى القادسية ولم يتعرض هرثمة لاهل الكوفة بمكروه
بل امنهم واقام بالكوفة يوم الاحد الى العصر وخرج الى عسكره
واستعمل عليها غسان بن الفرج فنزل الى دار ابي السرايا ثم ان
ابا السرايا خرج من القادسية متوجها الى واسط فعبر دجلة
اسفل منها ثم توجه الى السوس فنزلها واقام بها اربعة ايام
واعطى الجند ارزاقهم الف للفارس وخمس مايه للراجل فلما كان
اليوم الرابع اتاه من الحسن بن علي المعروف بالماموني ان اخرج
من عملي فابى ابو السرايا الا قتاله فتقاتلا فانهزم ابو السرايا
واستبيح عسكره وجرح جراحا كثيره ففر يريد راس العين فاخذه
حماد الكندغوش بجلولا واخذ معه رجلين من اصحابه احدهما محمد
بن محمد الزيدي والثاني رجل يقال له ابو الشوك فحملهم الى الحسن
ابن سهل فامر بضرب عنق الزيدي فضربت عنقه بالنهروان يوم
الخميس عاشر ربيع الاول سنة مايتين وكانت مدته ثمانية اشهر
وعشرة ايام ثم قدم بعده ابو السرايا ليضرب عنقه فجزع جزعا

شديدا

شديدا واضطرب اضطرابا عظيما ثم ضربت عنقه وبعثت برووسهما
الى المامون وحملت اجسادهما الى الجسر فصلبا على الجسر فكانت
ايامه عشرة اشهر

ذكر دولة محمد بن جعفر الصادق

بن محمد بن الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويكنى بابي
عبد الله بويع بمكة في ربيع الاخر سنة مايتين لما زاد اجترا الحسين
بن الحسن الافطس بن علي بن الحسين بن علي بالناس وافراد من حوله
من سفالة الاجناس وكان هذا محمد بن جعفر شيخا صالحا فاضلا
عالما يحدث عن ابيه قد روي من نهله وصوا بكوكبه وكان قد
تابي وامتنع حتى الزمه بها بنوه واهله ومن مل سيرة الجور وغلب
عليه ابنه علي وما كان كابيه ولا له مثل هديه وكان حوله من ذوي
قرابته من سعد بينه وبينهم تباين الاخلاق ثم ان الحسن بن سهل
اغزاه جيشا عليه اسحق بن موسى العباسي فحد محمد بن جعفر على مكة
وحشد الاعراب وقاتلهم اسحق بن موسى اياما ثم كره قتالهم
ورحل عايدا الى العراق فلقيه ورقا بن جميل في اصحابه واصحاب
الجلودي فقالوا ارجع ونحن نكفيك القتال فرجع معهم حتى نزلوا
المشاش وجمع محمد بن جعفر جمعه وتهدبهم الى بير ميمونه وتلاقوا
ثم انهزم محمد بن جعفر وجمع جمعا زحف به الى المدينة المشرفة فخرج

اليه والبها هرون بن المسيب فاقتتلوا فاصيب عين محمد بن جعفر
بنشابه فكروا راجعا الى مكه واستامن الى واليها عيسى بن زيد
الجلودي ابن عم بن سهل فامنه وصعد المنبر فخلع نفسه وبايع
المامون ثم خرج الجلودي الى العراق فاسلمه الى الحسن بن سهل وكان
اخر العهد به **ذكر دولة الزنج** وعمر بن علي والله اراد كره
في هذا النسب الشريف وان كان في شي من هذا البيت فهو الكنيف حاش
لله ان يكون هذا الرجس من اوليك او يوجد فيهم الا كما يوجد ابليس في الملايك
عجبا لهذا الفعل بالارض كيف يطول وكيف يكون هذا الرجس
من اهل البيت والله يقول انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهركم تطهيرا اما هو فادعي انه علي بن محمد بن جعفر بن الحسن
بن طاهر بن الحسين بن علي بن ابي طالب ويكنى ابا الحسن **وقال**
نسابتهم انه من ولد العباس بن علي عليه السلام والصحيح انه من عبد
القيس ولا يبعد ان يكون من ولد الشيطان الرجيم وابليس الاثيم لفعله
الذميم وعقله السقيم راصد الله بكل مرصد وعقد الخلاف للقران
في كل مقصد واراد مناقضة الاسلام ومنازلة المشرع عليه افضل
الصلاة والسلام وشب لهذه الامة نارا على كل سنة وصب الى كفران
هذه الملة كل عقد ونية وقعد كالشيطان للذين سراطه المستقيم

واقتحم

واقتحم باتباعه نار الجحيم فله في الدنيا خزي وله في الاخرة عذاب
عظيم فكبكب فيها هو والغاوون متبعون وجنود ابليس اجمعون اضل
خلقا كثيرا وظل للبلايا مثيرا واصله من قرية من اعمال الري
ومولده بطبرستان ثار على المهدي سنه ست وخمسين ومائتين
وكان يرى راي الازارقة ويستبيح الدما والاموال والفروج
ولا يرد القتل عن صغير ولا كبير ولا بهيمة ويرى الذنوب كلها شركا
ويلعن المشرف بالادعاء اليه عليا عليه السلام ومعوية بن ابي سفين
وعايشة ام المومنين وطلحة والزبير وكل من شهد الجمل وصفين ويعدي
هذا الى جميع الصحابة رضي الله عنهم ثم يتعرض الى الجناب الشريف
زاده الله شرفا ويعترض في امور وكان قيامه في اثني عشر رجلا
من الزنج كانوا يعملون في غابة البصرة بفوسهم وانضاف اليه اهل
الفساد وكان بالبصرة يلثون الفجنان في كل جنان اسود واسودان
وثلثه واكثر فاجتمعوا اليه فلهذا سمي الزنجي وشنع الخلق بالقتل في الحرمة
والفتك في الحرمة واقتصاص الابكار حتى بلغ القتل ما بين الف وخلت
الديار من اهلها وتخفى من سلم في الابار والسروب وكانوا يخرجون
بالليل يطلبون الكلاب والسنانير ليأكلوها ومن مات منهم اكله
اهله ومن قدر على احد قتله واكله حتى ان امراة قاربت الموت فاستبطا

اهلها موتها فقطعوها واكلوها فخرجت اخت لها براسها تغسله
في الفرات فقيل لها ما هذه الراس فقالت راس اختي اكلها اهلي وظلموني
لم يعطوني منها الا هذه الراس ومن مثل هذا كثير قال الشريف الغرناطي
وكانت المراة الشريفة من ذرية الحسن او الحسين او العباس ينادي
عليها في السوق هذه فلانة بنت فلانة الحسنية او الحسينية او العباسية
بدرهمين او ثلثة فيشتريها الزنجي برسم النكاح وكان الزنجي الواحد
يكون له من هذه النسوان الشريفات نحو العشرة والعشرين والثلاثين
والاقل والاكثر غير الزنجيات فجهز المعتمد لحربه جيشا كثيفا
مع قايد اسمه مفلح فقاتله قتالا كبيرا فظهر مفلح عليه ثم اصاب سهم
صدغ مفلح فقتله ثم جهز المعتمد اخاه الموفق في جيش اخر فقاتله
مرات وواقعه مواقفا كثيرة واصاب الموفق سهم في صدره فكتمه اياما
وعالجه حتى اخذ في البر ثم خرج لمحاربة الزنجي ولم يزل الموفق يقاتله
الى ان قتله في صفر سنة سبعين ومايتين وكانت مدة هذا الزنجي
الخبيث اربع عشر سنة واربعة اشهر وادخل راسه بغداد في
جمادى الاخرة من هذه السنة واراح الله من كفره وفتنته وطايفته
اللعينة وفتنته واختلف الناس في مقدار ما قتل في مدة فتنته فمنهم
المكثر والمقل قال الغرناطي فاما المقل فقال افني خمس مائة الف

الف

الف وخمس مائة الف واما المكثر فقال افني ما لا يعلم عدده الا الله
عز وجل سبحان الحليم الذي له في كل مقدر حكمة قد تلتبس على البصير
وتعمى وكل شي عنده الى اجل مسمى لا اله الا هو عليه توكلنا واليه
المصير

ذكر دولة القرامطة واولهم ذكرويه قرمط

وهم اضر طايفة خرجت على بني العباس بل شر دولة اخرجت للناس
اخذهم الله بمكرهم واخذهم بكفرهم ولكن بعد حروب شمرت عن
ساقها واثمرت بروس لم تتصل باعناقها هم الكفرة الملاعين والاعادي
والطواغين بيس الملة وسوس الملة كانوا على ذهاب هذه الملة احرص
من حوافي النمل وفي تعطيل مثا بينها اشد من سوافي الرمل مازالوا
في مشارب الملك كالافاعي ساعين والى غير كلمة الحق كالنواقيس داعين
والصقوا بهذا البيت الطاهر دعوتهم والقوا في هذا الفنا الشريف
نفعوتهم وبينهما من البون مثل ما بين الفساد والكون وانما ذكرتهم هنا
لادعايهم كما ذكرت الزنجي على انهما كسراب بقيعة او كظلمات في لجي
كان ظهورها واولا بسواد الكوفة سنة ثمان وتسعين ومايتين في
السنة التي مات فيها الموفق اسمه الفرج ذكرويه بن يحيى ويدعى بقرمط
اصله من بصرى من الشام وانما قال الخراساني ويكنى بابي زكريا
منهم بالنهروان فاظهر الزهد والتقشف واكثر الصلاة وكان يأكل

من عمل بيده واذا اجلس اليه انسان زهرة في الدنيا واعلمه ان
المفترض عليه خمسون صلاة في اليوم والليلة وانه يدعوا الي امام
عدل من اهل البيت فاستهوي خلقا كثيرا وكانت لرجل معروف
يقال له الهيصم ضياع فاعلم ان القايمين عليها اشتغلوا عنها برجل صفته
كذا ويقول كذا واخبر خبر الرجل فسار اليه واخذه وحلف ليضربن
عنقه ثم جعله في بيت ورمي عليه قفلا والقي المفتاح تحت وساده وشرب
فلما سكر ونام اخذت جاريته المفتاح وفتحت البيت واخرجت الرجل
واطلقته وردت المفتاح في موضعه فلما قام من سكره فتح البيت فلم
يجد الرجل فاصابه وهم وقال هذا رجل صالح واشاع الامر فسارع
الناس الي الرجل فعظم شانه واستفحل امره وصنع لهم دينا وقرانا
اوحاه اليه شيطان ومما تضمنه قرانه يقول الفرج بن عثمان
وهو من قرية يقال لها نصري انه داعية المسيح عيسي بن مريم وهو الكلمة
وهو المهدي وهو احمد بن محمد بن الحنفيه وهو جبريل وان المسيح تصور له
في صورة انسان فقال له انت الداعيه وانت الحجه وانت روح القدس وانت
يحيي بن زكريا وان الصلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل
غروبها وان الاذان الله اكبر الله اكبر اربعا اشهد ان لا اله الا الله اربعا
اشهد ان محمدا رسول الله اربعا اشهد ان موسي رسول الله اربعا اشهد

ان عيسي

ان عيسي رسول الله اربعا اشهد ان محمد بن الحنفيه رسول الله اربعا
والقراة في الصلاة بسورة الافتتاح المنزله علي محمد بن الحنفيه وهي
الحمد لله بكلمته تعالي باسمه المنتجد لاوليايه والاهله مواقيت للناس
ظاهرها لتعلموا عدد السنين والحساب وباطنها لاوليايي الذين عرفوا
عبادتي واتقون يا اولي الالباب فانا الذي لا اسال عما افعل وهم يسالون
وانا العليم الحكيم وانا الذي ابلوا عبادي وامتحن خلقي فمن صبر
في بلايي ومحنتي واختياري القيته في جنتي واخلدته في نعمتي ومن زال
عن امري وكذب رسلي القيته مهانا في عذابي وانا الذي اتممت
اجلي واظهرت امري علي السنة رسلي وانا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته
ولا عزيز الا اذللته وليس منوي الذي اصر علي امره ودام علي جهالته
وقال لن نبرح عليه عاكفين الاوي النار اولييك هم الكافرون ثم يركع
ويقول في ركوعه سبحان ربي رب العزة تعالي الله عما يقول الظالمون يقولها
مرتين ثم يسجد فيقول في سجوده الله اعظم الله اعظم يقولها مرتين
ومن احكامهم ان القبلة الي بيت المقدس والحج اليه وان الصيام
يومان في السنة وهما يوم النيروز ويوم المهرجان وان لا غسل من
الجنابة الا الوضوء فقط وان الخمر والزنا واللواط حلال والنساء كلهن
امهات وبنات واخوات حلال وبويع هذا زكرويه بانه الخليفة القايم

بالحق سنه ثمان وسبعين ومايتين وتسمي بالقايم بالحق وكان يري
راي الخوارج الازارقه يلعن الصحابه ويري قتل المسلمين رجالهم
ونسايهم وصبيانهم وشيوخهم وزمناهم وعتا في الارض وسفك
الدما وسبي الدريه ونهب الاموال واشتد بلاوه على المسلمين
وكان يقول لاعوانه واجناده من لم يتبعني فاقتلوه واسبوا اهله
وكان ابتدا امره في ايام المعتمد ثم قاتله جيش المعتضد فقتل في حدود
سنه اربع وثمانين ومايتين ثم قام بعده ابنه **يحيي بن قرمط**
وكنيته ابو القسم وبويع يوم قتل ابيه وكان يري قتل الامه المحمديه
كلها وسار بسيرة ابيه واصاب شكلها وكان هو وشياطينه المردة
في الارض وعقاربه المبدده في البلاد اذا علوا علي قريه قتلوا اهلها
حتي البهايم كالحمير والقطط والكلاب وحاصر دمشق فصالحه
اهلها على مال يودونه واي امير جاه منهم يعتمدونه وكان يقول
لا اشير بيدي الي ناحيه الا فتحت ولا اكر جنودي علي صفقة بلاد الا
حشرت ورتحت فلما ولي المكتفي خرج اليه في جنوده وعساكره فقتل
رجاله ومزق احزابه ايدي سبا واخذ اللعين اسيرا وسيق الي
بغداد خاسيا حسيرا ثم قام بعده اخوه **الحسين بن قرمط**
ركرويه وتلقب بالمهدي وتكني بابي علي ثم تسمي باحمد بن عبد الله وتكني

بابي

بابي العباس قال الطبري بويع بالخلافه بوصيه اخيه يحيي
وكان شرا منه وكان يقول انا المدثر الذي في القران وحاصر
مدينه هجر اربع سنين الي ان دخلها عنوه بالسيف وقتل بها ثلثمايه
الف وعتا في الارض يقتل هو واشياعه يمينا وشمالا وينكحون
الابكار ويذبحون النسا والاطفال والشيوخ والبهايم فقاتلهم
المكتفي كره اخري فقتلهم واسر مقدمهم الضال وامسك جماعة
من شيعة اهل الضلال وادخلهم بغداد مقرنين في الاصفاد
والمهدي على فيل لتركه الناس ثم قطع يديه ورجليه وضرب رقبته
ورقاب اصحابه سنه احدي وتسعين ومايتين وفي ذلك يقول ابن
المعتز يمدح المكتفي ويذكر جميل فعله

٢ لا ورمان النهود فوق اغصان القدود
وعناقيد من اصداغ وورد من خدود
وبدور من وجوه طالعات بالسعود
ورسول جا بالميعاد من بعد الوعيد
وبشير بوصال قد نفي طول الصدود
ما رات عيني كظبي زادني في يوم عيد
في قباء فاختي اللون من لبس الحدود

كلما قاتل جندي بسيف وعمود
قتل الناس بعينين وجفنين وجيد
قد سقاني الراح من فيه على غيظ الحسود
وتعانقنا كأني وهو في عقد شديد
نقرع الثغر بثغر طيب عذب الورود
مرحبا بالملك القادم بالجد السعيد
يا مذل البغي يا قاتل حيات الحقود
عش ودم في ظل عز خالد باق جديد
فلقد اصبح اعداوك كالزرع الحصيد
ثم قد صاروا حديثا مثل عاد وثمود
جاءهم بحر حديد تحت اعلام البنود
فيه عقبان خيول فوقها اسد جنود
وردوا الحرب فقدوا كل خطي مديد
وحساما شره الحد الى قطع الوريد
فاحمد الله فان الحمد مفتاح المزيد

ثم قام بعده ابنه احمد بن الحسين الملقب زكرويه ويكنى بابي غانم قام بقرية يقال لها زابوقة من سواد الكوفة

وكان

وكان معلما للصبيان ودعى الى نفسه وتابعه خلق كثير فسار بسيرة ابيه في العتو والاستكبار ثم قتل وحمل راسه الى كبداج غايل المكتفي سنة اربع وتسعين ومائتين ومن سخافاته وتمويهه وشعوذته وتشبيهه ما كتب به الى بعض عماله من عبد الله احمد بن عبد الله حسين المهدى المنصور بالله الناصر لدين الله العالم بامر الله الحاكم بحكم الله الداعي الى كتاب الله الذاب عن حريم الله المختار من ولد رسول الله امير المسلمين وامام المومنين ومذل المنافقين وخليفة الله على العالمين ومبير الظالمين وقاصم المعتدين ومهلك الملحدين وقاتل القاسطين وسراج المبتصرين وضياء المستضيئين صلى الله عليه وعلى بيته الطيبين وسلم كثيرا الى جعفر بن محمد الكردي سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو واساله ان يصلي على جدي رسول الله اما بعد فانه نمي الى ما حدث قبلك من اخبار اعداء الله الكفرة وما فعلوه بناحيتك واظهروا من الظلم والعبث فاعظمنا ذلك ورأينا ان ننفذ لك ما هنالك من جيوشنا من ينتقم الله من اعدائه الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا وقد انفذنا جماعة من المومنين الى مدينة حمص وامددناهم بالعساكر ونحن في اثرها ونرجو ان يجرينا الله في اعداء الله على افضل عوائده

عندنا في امثالهم نستند قلبك وقلوب من معك من اوليائنا وبادر
الينا باخبار الناجية كل حين ان شاء الله سبحانك اللهم وتحيتهم
فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وصلى الله على
جدي رسول الله وشرف وكرم وحبا وسلم ثم قام الحسن بن بهرام
الجنابي القرمطي ابو سعيد ثار بمدينة الاحسا واستوطنها وعتا
وافسد وسفك الدما وخرب البلاد واباح قتل كل من خالف
مذهبه وكان ظهوره سنة ست وتسعين ومائتين وغلب على
بلاد اليمن وجبى اليه الاموال وكثرت جموعه وعظمت جيوشه
واباح الزنا واللواط والخمر وكان يتعشق غلاما خصيا وهو الذي
قتله سنة احدى وثلثمية وكانت مدته ست سنين ثم قام ابنه
سليمن بن الحسن بن بهرام الجنابي القرمطي ويكنى بابي طاهر
وكان احد المفسدين في الارض واسرع من المقراض في القرض
بويع بالاحسا يوم موت ابيه ثم جددت له البيعة سنة سبع
عشرة وثلثمية وكان اظلم واغشم واجور وافسق ممن تقدمه
ولم يزل يطوي البلاد طيا يقتل ويسبي وينهب الى ان صار من
بغداد على ستة اميال فخافه اهلها ثم دخل فدخل الرحبة وغيرها
من البلاد الفراتية سنة خمس عشرة وثلثمية ثم عاود ما وراه

من البلاد فدمرها واخذ منها اموالا عظيمة واستاق منها مئين
ابل واوقرها ثم دخل مكة المعظمة سنة سبع عشرة وثلثمية فقتل
في الحرم وجوانب مكة من الحاج وغيرهم زهاء ثلثين الفا
واستحر القتل في الشعاب وفي الجبال وبطون الاودية والظواهر
حتى قتل اكثر من مائة الف وسبى النسا والصبيان وردم زمزم
بجثث روس القتلى وفرش المسجد باجسادهم واخلى جمعا
ومعرفا ومكة حتى لم يكن بين الحجون الى الصفا ووقف على باب الكعبة وانشد
انا الله ولله انا اخلق الخلق وافنيهم انا • وذلك يوم الاحد
سابع ذي الحجة ثم رحل عنها في المنتصف وحمل معه الحجر الاسود
وقناديل الكعبة وكانت من ذهب وفضة وقرن كبش الذبيح وكان
مغشى بالذهب مكللا بالجوهر والياقوت والزمرد وميزاب
الرحمة وكان وزنه ثلثة قناطير من الذهب والدرة اليتيمة
وكان وزنها اربعة عشر مثقالا وكانت في جوف الكعبة ثم لم
يرجع من ذلك كله شي الا الحجر الاسود فانه اعيد الى مكانه
على ما اشير اليه وكانت اعادته في خامس ذي القعدة سنة تسع
وثلثين وثلثمية فكانت مدة غيبته عن البيت الحرام اثنين
وعشرين سنة واشهرا ثم توجه هذا القرمطي اللعين بجيوشه

من مكه الى البحرين فترك الاحسا وما ابقى فيها أسا ثم ابتلاه
الله بداهية في جسده فتقطعت اعضاوه ومات في السابع والعشرين
من رمضان سنه ثلث وعشرين واربعمايه وهو ابن ثلثين سنه ثم
قام بعده **الاعصم** وهو الحسن بن ابي منصور احمد بن ابي
سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ويكنى بابي محمد وقيل هو الحسن
بن بهرام وقيل الحسن بن احمد بن يوسف بن كوردكار وقد
وقفت له على ترجمه في كتاب امرا دمشق وقد قال فيها ويقال
ان اصله من الفرس وانه غلب على الشام وولى دمشق وساحا
السلمي وكسر جيش جعفر بن فلاح وقتل جعفرا المذكور وهو الذي
كان افتتح دمشق للمصريين ثم توجه الاعصم الى مصر فحصرها شهورا
واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب العقيلي ثم توجه الى الاحسا
ثم رجع الى الشام ومات بالرمله لسبع بقين من رجب سنه ست
وثمانين وثلثمايه وهو اذاك يظهر طاعه الطايع قلت وهو غير
المنقاد ولا الطايع وقال الشريف الاعزناطي انه سار بالاحسا
وزحف لقتال المصريين وطردهم من المقام سنه ستين وثلثمايه
فخرج اليه من مصر جعفر بن فلاح الكتامي فالتقيا يوم الاربعا
الخامس من ذي القعده سنه ستين وثلثمايه فقتل جعفر وكثير

ممن

ممن معه وسلك الاعصم الشام كله الايافا ثم رجف الى مصر
ونزل بالجب عين غره ربيع الاول سنه احدى وستين وثلثمايه فهلك
من المصريين خلق كثير حتى اشرفوا على الهلاك فغدرت العرب بالاعصم
واخذوا اقساطه فانهزم راجعا الى الاحسا وقال يزعم
رجال العرب اني نسيتها قدما ادنى ما بينهم مطلول ٥
يا مصران لم اشف ارمنك من دم روى زال ولا سقاى النيل ٥
ثم عاد على اثره الى الشام ولم يزل بها الى ان وصل المعز من
القيروان الى القاهره يوم الثلثا سادس رمضان سنه اثنتين
وستين وثلثمايه فخرج لحرب الاعصم بنفسه فهزمه الهزيمه
الشنعا التي شردهم بها عن المقام وذلك يوم الخميس سادس شعبان
سنه ثلث وستين وثلثمايه ومات الاعصم في طريق الاحسا في
هذا الشهر فحمل ودفن بالاحسا وحل بجهنم وقيل له اخسا

ومنهم القصير النيار ابو علي وكان
فوق قصير الذي جدع انفه مكرا واذكى زنادا من زياد في بني اميه شرا ٥ بيتيه طرا ٥
واذق كيدا لمن شغل بجارحه من زاد عمرا وله بد طولى في الادب فاق بها اهل ٥
واى منه تماهو من السان الغصن الطـــراه
قال الحسين بن عثمان التميمي كنت بالرمله وقد حضرها ابو علي القرمطي

ادحضر الفراسون بالسمع فقال لابي نصر بن كشاجم وكان
كاتبه ابا نصر ما يحضرك في صفه هذه الشموع فقال انما احضر
في مجلس السيد لنسمع منه ونستفيد من ادبه فقال في الحال

ومجدولة مثل صدر القناه تعرت وباطنها مكتسي
لها مقله هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
وان رنقت لنعاس عرا وقطت من الراس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ضيا يجلي دجى الحندس
فنحن من النور في اسعد وتلك من النار في انحس

فقام ابو نصر بن كشاجم وقبل الارض لديه وساله ان ياذن
له في اجازة الابيات فاذن له فقال

وليلتنا هذه ليلة تشاكل اشكال اقليدس
فيا ربة العود حثي الغناء ويا حامل الكاس لا تحبس

وهذا القصير هو القايل

زعموا انني قصير لعمري ما تكال الرجال بالقفزان
انما المرء باللسان وبالقلب وهذا قلبي وهذا لساني

وهو القايل

وحدكورد الروض حيي بأعين وقد عز حتى ليس يقطف

سابع مسالك الابصار

وحطت صدغ لو نعلم عطفه لمكان على عشاقه تتعطف

وهو القايل

ولو انني ملكت زمام امري لما قصرت عن طلب النجاح
ولكني ملكت فصار حالي كحال البدن في يوم الاضاحي
تعدن الى الردي ممن كرهًا ولن تستطع طرن مع الرياحي

ومنهم ابو المهرور ذكره مولف كتاب امراد مشق وقال
هو علي بن عبد الله اخو احمد بن عبد الله صاحب الخال
وذكر انه خرج بالشام وكانت له وقايع وقال في ترجمته
وكان معتمون الى الطالبين ويشك في نسبهم قال وكانت الرياسة
في اول خروجهم لعلي ثم قتل فقام اخوه احمد الى ان اخذ وقتل
ببغداد على الدكه وقال وزعموا انهم من ولد محمد بن اسمعيل
بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي قلت وان صح ولا يصح
ما نقلوا فقوم كرام ولكن بيس ما سلكوا فهذه مشاهير
الدول المنسوبه الى الحسين بن علي عليهما السلام تشتمل على جملة النسب
والداعي والسقيم المايل والصحيح السوي وبها تم ما امتد من
العصابة العلويه وقدمتهم على بني العباس لما يقتضيه الاولويه فاما
خلافه الاجماع والامامه التي خمت كالشمس ومدت اطناب السحاع

فهي بعد خلافة الخلفا الراشدين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن
رضي الله عنهم الدولة الاموية ثم الدولة العباسية وما سواهما
كالشذوذ وكل عقد الا لهما فهو في حقيقة الحال منبوذ واول
ما نبدا بذكر الدولة العباسية فانها وان كانت المعقبة لبني امية
والاتية بعدها على ما قد كان فابتدانا بالاقرب مخرجا من البيعة
النبوية والادني الى مناسبها الزكية ونحن نذكر ان شا الله دولها
الشهيرة ثم نصلها بمن وصل الى مصر في ايام ملوك الاتراك
ونعلل بها دما وهم حتى مات وقبر هناك ثم نذكر الدولة الاموية
ونصلها بمن دخل الاندلس وكان بها حتى انكدر افقهم وطمس
وهوى نجمهم الرفيع ودرس ان في ذلك لعبرة وان فيه لما يجري
للعبرة وهي عوائد عوادي النوب اخمدت نار كسرى ورمت تاج
قيصر قسرا وامانت امراء اسبات على شاطي النهر نهرا اذلت
اعزة بني عبد المدان وحطت تحت تبع من راس غمدان وكان الاول
في ذكر سكان الارض ان نقدم في صدر الملة الاسلامية هذه الدولتين
ونعرف مما اناف لال عبد مناف الدروتين لان اهل هاتين الدولتين
من بني امية ثم من بني العباس هم الخلفا حقا بعد الراشدين
وصدقا لولا كذب ادعا المعاندين وقد ذكرنا سكان الارض وهذا

الإسم

الإسم اصدق ما اطلق على الخلفا لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال
هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنان فهذا نص جلي على انهم
ولاة امر الناس وجميعهم له اتباع واذا كان هذا الامر لقريش
فلا بد ان يكون منهم واحد يجمع امرهم وهو الامام وما من
البشر مطيعهم وعاصيهم في مشارق الارض ومغاربها الا ماموم
به وان كان منهم عصاة او خالع لربقة الطاعة فانه يلزمهم
حكمه بشريعة الدين وعقيدة الاسلام ولا يقدر يخالف في هذا
احد من المسلمين ولا ينازع مسلم انه داخل في امرة امير المومنين
فجنيد الائمة هم سكان الارض وبقيته من فيها ضميمة اليهم
او كالضميمة وعلى هذا الراي بنينا هذا القسم من اوله وسا كثيرا
من تفاصيله وجمله فذكرنا ما نقل الينا مما كان من بدو الخلق
ومن كان في زمان كل من الانبيا صلوات الله عليهم والملوك المومنين
والكفار الى ان جا الله بهذا الدين واسعد بتبعه هذا النور فختمت
النبوة وبقيت الخلافة فلهذا لم اذكر في هذا القسم الا الخلفا
دون الملوك فان قال قايل فلم ذكرت الملوك قبل الاسلام مع وجود
الانبيا ومن اولئك الملوك كفار لا بل غالبهم ولم تذكرهم مع الخلفا
والانبيا اعلى درجة من الخلفا وملوك الاسلام خير من ملوك الكفار

مومنين

فالجواب ان النبي كان يبعث الي قومه خاصه ولا يتعدى
دعوته مكان بعثته والارض مملوة بالملوك ومنهم من لم يرسل في
ذلك الوقت اليه ولا الي قومه فاحتجنا الى ان نذكر الملوك لهذا السبب
اذ كنا بصدد ذكر سكان الارض وليس في اوليك الانبيا من له دعوه
عامه فاذا ذكرهوا وخليفة اكتفي به عن ساير الناس ونبينا صلى الله
عليه وسلم دعوته عامه كما قال تعالى مخاطبا عنه يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا فلما كانت دعوته عامه كانت دعوة خلفايه عامه
فلهذا الفرق مقتصر لكل واحد منهم فان قال كيف تتكلم في سكان الارض وانما
انت تتكلم في واحد منهم فالجواب انا لو اردنا ذكر الناس رجلا رجلا
لاردنا ما ليس في الامكان وانما اذا ذكرنا الخلفا نكون كانا ذكرنا كل سكان
الارض لانهم نواب الله في ارضه وخلفا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
فسلم في امته وهو المبعوث الي الاسود والاحمر والقاصي
والداني وهم القومه بدينه والدعاه بدعوته العامه وجميع
اهل الارض مكرومون بها من امن منهم او كفر فلهذا وجب
افرادهم بالذكر واطلق على الجزء منهم اسم الكل وبالله التوفيق
واما الملوك شكر الله عن الاسلام سعيهم وبواهم المغفره والرضوان
فانه سياتي ذكرهم في قسم التاريخ وهو امس بهم لانه اكثر ما دار

علي ذكر ايامهم ونوب الدهر بينهم وفيهم من جاهد في الله وقاتل
في سبيله وسهد جفونه في جهاد اعدايه واغص الكفر وامانه
بدايه وضارب حتى ملت السيوف مضاربها وكرهت الخيل الما
وعافت بالدماء مشاربها وحامي عن امامه وورايه واصل
طلايع راياته واراءه واعملوا سيوفهم واقلامهم في تمهيد
البلاد وتوطية الملك فناضلوا وناظروا وجالدوا وجادلوا
وفعلوا ما قدرت عليه مكنته هممهم وظفرت به ايدي مطالبهم وسروا
السرايا لاقامة هذه الدعوه النبويه واقاه الارض بظلال غصانها
المحمديه وسنذكر من هذا ما نثبته في موضعه ونبينه في مواضعه
ونسع زهوه لمطالعه وزهره لمطالعه ونسرح به صدر راسه
وقاريه وسامعه فاما ما ذكرنا من بني اسمعيل فانما اردنا
به في النسب الشريف النبوي زاده الله شرفا اتصال نسبه وايضاح
كيف كان نور مطهره ليعرف تقدم اباءه في النسب اللباب وخروج
دريه اليتيمه من قرار ذلك البحر العباب **وهذه الدوله
العباسيه** سقاها الله صوب رحمته ولقاها نضرة نعمته واول
ما نبدا بذكر العباس بن عبد المطلب كان رحمة الله نبيا جميلا
رييسا في الجاهليه كريما مهيبا وكان لا يرفع مايدته حتى ياكل

منها الطير والسباع وكانت له ثياب للعاري وما بين للجايع
رسوط للسفيه وجا الاسلام وهو على ذلك وكان جهوري الصوت
ربما صاح بالاسد فينفطر مرارته في كبده وصاح يوما واصاباه
فاسقطت الحوامل وفي الحديث عم الرجل صنو ابيه وكان ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما اذا راياه نزلا له في الارض وسلما عليه واستسقى
به عمر بن الخطاب وكان اسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعامين وقيل له من اكبر انت ام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انا اسن وهو اكبر مني وقال اكثم بن صيفي حججت سنة فرايت
بنو عبد المطلب كانهم بروج فضه فقلت من هولاء قيل بنو عبد المطلب
فقلت هولاء غرس الله لا غرس البشر وكان اجل بنيه حبر هذه
الامه عبد الله بن العباس وفي الحديث اللهم فقهه في الدين وعلمه
التاويل والبس في ولده علي وسماه علي بن ابي طالب باسمه وكناه
بكنيته وكان يدعى زين العابدين وكان مجتهدا في العبادة
وكان عبد الملك بن مروان يكرمه ويعظمه ثم البس في ولده محمد بن علي
وهو الذي اصار اليه بن الحنفيه الامر ثم ظهرت شيعه بني هاشم
بخراسان ووجه محمد بن علي مولى له اسمه سلام بن العاري وامره
ان يثبت خبرهم هناك ففعل حتى تحدث به الكبير والصغير ولم يسم

الامام

الامام ولا ابن هو وكان بالحميمه فتبع سلاما كثير منهم ثم مات سلام
فلم يعرفون ابن الامام فاتوا جعفر الصادق فقال اخطاتم المقصد
اقصدوا الحميمه فيها شيخنا وابن عمنا وهذا الامر فيه وفي عقبه
فاتوه فاكرمهم وقال انا ناصر لكم المسوده وبعثكم المقصود ثم فاتهم
فلم يجد فيهم ابى مسلم فعلم انه سياتي ثم بعث معهم ابا عكرمه ابن زياد
بن درهم داعيا ثم الى اسد بن عبد الله القسري واليا على خراسان
لبني اميه فقبض عليه وقتله وتتبعهم بالقتل والعقاب وهم لا يزدادون
الا غلوا وكتبوا الى الامام بمقتل ابي عكرمه فبعث مكانه كثير بن سعيد
ثم اقدمه وبعث مكانه عمار بن داود فغير اسمه فتسمى خداش ابن زيد
فاخذه اسد القسري وقطع لسانه وسجن سليمن بن كثير فانفلت من السجن
ولحق بالامام فبعث عليهم بكير بن وايل ثم اخذه القسري في قوم من اصحابه
وفرهم على الامام فلم يفروا ثم قدم الامام ابا سلمه الخلال واسمه
حفص بن سليمن ثم قدمت الشيعه وفيهم ابو مسلم فلما راه عرفه بصفته
وكان اسمه عبد الرحمن بن عثمان العجلي السراج كان يعمل السروج وسنه
يوميذ ثماني عشر سنه فقال لهم الامام هذا سيدكم والقايم مقامي فيكم
ثم استخلف ابنه ابرهيم واوصاه باخويه ابي العباس وابي جعفر ثم اخبرهم
انه ميت وان ابرهيم يموت بعده وان علامه القايم مع ابي مسلم ثم خلا به

وعرفه بما يكون فما استقر بهم القرار بخراسان حتى بلغهم
موت الامام بقال ان هشاما ادخل راسه في جراب نورة حتى مات
فاقاموا العزا فصبرهم ابو مسلم وجمع مالا عظيما وطرفا جليلة
وقدم بها على الامام ابرهيم بن محمد فقرر امره ثم عاد وعزل اسد
بن عبد الله القسري وولى نصر بن سيار فوقع اليه كتاب من ابي مسلم
الى الامام فبعث به مع حامله الى مروان فاستصلح مروان حامل
الكتاب وامره بان يذهب به الى الامام ابرهيم ثم ياتيه بجوابه
فاتاه بجوابه الى ابي مسلم وهو يامره فيه وينهاه ويحثه فيه على
الحرب والاخذ بالجد ثم كتب فيه

دونك امرا قد بدت اشراطه
ان السبيل واضح سراطه
لم يبق الا السيف واختراطه

فبعث مروان من اتاه به فحبسه بحران وبقي مسجونا سنتين
ثم لما ايقن مروان بزوال امره قتله ايه سنة ثلثين ومئة
ثم لما سمع ابو مسلم بحبس الامام جمع شيعته وخطبهم وقال
لا حقا بعد اليوم فعقد اللوا المسمى بالسحاب وكان اسود
مكتوبا عليه بالذهب اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله

علي

على نصرهم لقدير وكان الامام محمد بن علي اعطاه اله وجند الجنود
واظهر الدعوة ولبس السواد هو وشيعته ثم ظهر بمرو في يوم عيد
وصلى بالناس وخطب ولعن بني امية وترضى عن علي ودعا لبني العباس
وكانت اول خطبة اقيمت لهم ثم وجه قحطبة بن شبيب الى بلخ وبث جنوده
في البلاد ثم جهز نصر بن سيار جيشا الى ابي مسلم وكتب الى مروان بن محمد
كتبا اخرها قال فيه

اری خلل الرماد وميض جمر ويوشك ان يكون له ضرام
فان النار بالعودين تذكى وان الحرب اولها الكلام
فان لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام
اقول من التعجب ليت شعري ايقاظ امية ام نيام
فان كانوا لحينهم نياما فقل قوموا فقد حان القيام
فان لم يطفوها تجن حربا مشمرة يشيب لها الغلام

فلم يفد بعدا بني امية سقط ولا هاج لهم حفيظة ولا تحفظ ثم ان ابا
مسلم جهز مالكا الخزاعي للقا نصر بن سيار فسار في عدة قليلة
والنصر يقدمه والسعود تخدمه فالتقوا قرب سمرقند فما كان الا
ان ترا الجمعان فولى حبيش ابن سيار الادبار واحاط بهم الادبار
فقتلوا قتلا ذريعا واخذوا ابن الحبيش اسيرا وحمل الى الخزاعي فحمله الى ابي مسلم

فمن عليه واعاده الى ابن سيار مكرما فجعل يحدث محاسن
ابي مسلم فمال اليه اكثر الناس ثم خرج علي بن سيار رجل بكرمان
وكان هذا سببا لتمام امر ابي مسلم لانه اشتغل به عنه فكتب يستمد
مروان فكتب اليه ان حاجبنا باهل الشام فاكتف بمن عندك فايقن
نصر بالخذلان وقال ذهبت والله خراسان وسيذهب مروان
ثم خرج ابو مسلم الى مرو لقتال بن سيار حتى اذا قاربها فتح خزائنه
وفرق امواله على رجاله تفريقا خرق به عادته فسمع بذلك
جند بن سيار فتساقطوا عليه تساقط الفراش وتسارعوا عليه
لطلب المعاش فاعطاهم بمثل ما اعطا رجاله وبسط يده بالاعطا واسند عن
بكرمه حركات البطاء ثم قدم عليه بن الكرماني وكان نصر قد قتل
اباه ثم كان مختصا به اختصاص الكف بالبنان والنطق باللسان
فضاقت بنصر الارض بما رحبت وجزم بان طايفته غلبت وقدم
ابو مسلم بن الكرماني وامره بمحاربة بن سيار لاخذ ثار ابيه فحاربه
محاربة فات معها نصر النصر ثم جا ابو مسلم فدخل مرو على حين
غفله واخذ البيعه على اهلها ورتب وظايف الملك واما ابن سيار
فانه فر الى الجبال ثم اتى بلخ واستوطنها ثم ان ابا مسلم قتل ابن الكرماني
وجهز قحطبه لقتال نصر فاخرج عامله من طوس وقتل مقاتلتها

ثم طلب بن سيار فاخرج اليه ابنه تميما في جيش عظيم فلما راه
جزع فلما تلاقت الجيوش قتل وخرج بن سيار فاخرج اليه هاربا
الى قومس ثم الى جرجان ولاقاه قحطبه فهزمه وهرب بن سيار الى
الري واتبعه قحطبه بن الحسن فكتب بن سيار الى مروان

كنا نرجيها وقد مزقت فاتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذا انهج فيه البلى اعيى على ذي الحيله الصانع

ثم مات بن سيار بعد كتابه هذا بيومين وتفرق اصحابه ودخل
الحسن بن قحطبه الري فخرج اليه بن هبيره وكان على العراق هذا
ما كان من هذا الا **واما ما كان** من بني العباس فانهم لما امسك
الامام فروا الى احياء العرب فمروا بماء لهم متحسسين فاذا هما
بامراتين مقبلتين فوقفنا عليهم وقالتا ما راينا اكرم ولا اصبح من خليفه
وامير فانتهرهما عبد الله بن علي فقالتا واليكم ان هذا الخليفه واشارتا
الى السفاح وهذا الامير واشارتا الى المنصور فانتهروهما وساروا الى
الكوفه فلقيهما داود بن علي وابنه موسى وهما منصرفان في موال لهما
من العراق الى الحميمه فاخبروه انهم يريدون الكوفه للوثوب عليها
فقال لهم داود ركيف ومروان بن محمد في جنوده مطل على العراق وشيخ
العرب يزيد بن عمر بن هبيره عامل العراق فقال له يا عم من اراد الحياة

ذل فقال داود لموسى يا بني صدق ابن عمك ارجع بنا معه فانصرفا
معهم فلما اتوا الكوفة سالوا عن ابي سلمة واتوه فاخلى لهم دارا وانزلهم
فيها في صفر سنة اثنين وثلثين ومائة واجرى عليهم الارزاق ومنعهم
من التصرف فكانوا اذا ارادوا الظهور منعهم وقال لهم بن هبيرة
قريب منا وامير المومنين واصل الينا مكرا بهم لميله الى الطالبيين
واما ابو مسلم فانه بعث ابا الجهم الى الكوفة ليتعرف له خبر
السفاح فاتاها وسال ابا سلمة عنه فانكره لانه يريد صرف الامر
الى عبد الله بن الحسن فتوصل ابو الجهم الى السفاح واعلمه
ان ابا مسلم كتب الى ابن قحطبة ان يسير الى الكوفة ويسال عن الصغير
من ولد الامام محمد الذي اسمه عبد الله وكنيته ابو العباس فاذا وجده
سلم له بالخلافة فهو الامام احب ابو سلمة او كره فجهزه السفاح
الى ابن قحطبة فسار في خمسة الاف فارس فدخل الكوفة ليلا واتى
الدار فقال ايكم ابو العباس فقالوا كلنا ابو العباس وكان كل منهم طامعا
فيها لنفسه فقال ايكم بنو محمد بن علي فيئس منها جميعهم وطمع فيها بنوه
الثلثة السفاح والمنصور ويحيى فقالوا نحن فقال من منكم عبد الله فيئس
يحيى وطمع الاثنان فقالا كلانا عبد الله فقال ايكما ابن الحارثية
فيئس منها المنصور وقال هذا ابن الحارثية واشار الى اخيه فقال له

الكشف

اكشف لي عن ظهرك حتى ارى العلامة التي فيه فكشف عن ظهره فراها
فقبلها ثم قال له امدد يدك ابايعك فمد يده فبايعه اخوته
واهل بيته ورجاله ثم البسه السواد وركبه فرسا اشهب واركب
اهله الخيل حوله متلثمين بالسلاح ثم اتى به المنبر يوم الجمعة
فمنع الخطيب الصعود وصعد ابو العباس السفاح ومعه عمه داود دونه
بدرجة فلما اراد السفاح الكلام ارتج عليه فخطب عمه داود خطبة
بليغة ثم اخذ الناس بالمبايعة واهله حوله بالسيوف مسلولة بايديهم
ثم اقام بالكوفة اياما وخرج في جيش عظيم فنزل الهاشمية ثم فرق جيشه
فارسل اخاه ابا جعفر مع الحسن بن قحطبة الى واسط لقتال ابن
هبيرة ووجه موسى بن عيسى الى المداين مع حميد بن قحطبة واستخلف
على الكوفة عمه داود بن علي واما ما كان من مروان فانه لما اتاه الخبر
خرج من حران فنزل منزلا سال ما اسمه فقالوا بلوى فتطير منه وقال
بل بشرى ثم سار حتى اتى الموصل فاتى السفاح الخبر فجمع اهله وقال
من يلقى مروان دوني فقال له عمه عبد الله بن علي انا وانا له كفوا
فقال له صدقت وبذلك اخبر الامام ابرهيم فعقد له لواء اسود
والبسه السواد وانفذه اليه ثم انشد السفاح مرتجلا
يا ال مروان ان الله مهلككم ومبدل امنكم خوفا وتشريدا

لاعمر الله من انسا بكم احدًا وبثكم في بلاد الخوف تطريدا
ودفعهما الى رجل خصيف وقال له تحيل في اسنادهما في عسكر مروان
من حيث لا يعلمون كانك هاتف هتف بهما وسار عبد الله بن علي
وجرت بينهم حروب ثم ان ذلك الرجل الذي حمله السفاح
البيتين تحيل في سرب احتفره حتى تقدم الى قرار شجرة في
معسكر مروان واتخذ منها خروقا خفيه تخرج الصوت ثم
قام بهما ليلا ينشدهما فظنوه هاتفا هتف بهم فنقلت عنهم
وكان ذلك مع تقدير الله سبب الهزيمة ويقال ان مروان
لما راي المسوده حارت عزايمه فقال له كاتبه عبد الحميد
بن يحي ما هذا الذي اراه منك اطربت للقاء ام جزعت من الموت
فقال له والله لوددت اني في قلبهم ويكون لي سعدهم وما
يغني هذا العسكر العظيم مع الادبار ولين قاتلونا بعد الزوال
فهي لنا وان قاتلونا قبل الزوال فهي لهم فناجزهم عبد الله بن
علي القتال وكانت له وانهزم مروان الى الجسر فغرق اكثر من
معه وانهزم مروان فعقد عبد الله بن علي على الجسر وعبر النهر
وهو يقرا واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم
تنظرون ثم اتي مضارب مروان فنزلها واستولي على ما فيها ثم كتب

الى

الى السفاح بالخبر وكتب فيه
لج الفرار بمروان فقلت لهم عاد الظلوم ظليما همه الهرب
ابن الفرار وترك الملك اذ ذهبت بك الهوينا فلا دين ولا حسب
شبيه فرعون في ظلم وفي غرق وفي بداة كلب ماله كلب
ثم سار بريدة وما مر ببلد الا واطاعه واتي دمشق فخرج اليه
عاملها الوليد بن معويه بن عبد الملك في وجوه اهلها فبايعوه
وامتنع من كان بها من بني امية فقاتلهم ودخلها بالسيف واعتقل
الوليد بن معويه ومن كان خرج معه من بني امية وقتل العصاة وصلبهم
ثم سار في طلب مروان وما مر ببلد الا وفتحه حتى ادركه ببوصير
قوريدس من صعيد مصر فبينا هو نازل اذا بالمسودة قد غشيته
فسير مروان يقول لعبد الله الله الله في حرمي فقال تلله لنا الحق في دمك
وعلينا في حرمك وكان مروان اذ ذاك في جند كثيف فاسلموه وفروا
فقاتل فيمن بقي معه حتى قتل وخرج من سرادق مروان شيخ
مس فقال ايكم الامير فارشد اليه فاتي بهم موضعا في الرمل
بعيدا من القريه فاحتفروه فاخرجوا منه القضيب والبرده
والقعب والمخصب واحتز راس مروان ~~الي الجسر فغرق~~ وجهز
به وهما كان دفنه الى السفاح ثم احسنت حياطة اهله وحرمه

فلما اتي السفاح راس مروان سجد شكرا ثم انشا يقول

تناولت ثاري من امية عنوة وحزت تراثي اليوم عن سلفي قسرا

والقيت ذلا عن مفارق هاشم والبستها عزا ولم الها فخرا

فهذه جمله جمليه من اخبار هذه الدوله حتى قامت وهذا ذكر
خلفا هذه الدوله واحدا واحدا الا ابرهيم بن المهدي وعبد الله
بن المعتز فاني لا اذكرهما الا في اخبار المامون والمقتدر اذ
كان ذنوبهما في دولة ذينك الخليفتين واولها

دولة السفاح

ابي العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو اول
خلفا بني العباس واول من تلقى منهم بصدره الباس ولبس الشعار
العباسي فرر ليلة على نشره وعقد صفار اعلامه السود على فرسان
عسكره وكشف كما ذكرنا قناعه لمجاهدة بني امية وثار وقد توقدت
به الحمية وخرج فيمن قل من عمومته واهله في شفق نهار والشمس قد
فتحت في ساعة الاصيل وردتها في خدة الاسيل وسار حتى اتى
الكوفة وصعد منبرها وارتج عليه فخطب عمه داود وهو واقف
دونه بدرجه خطبة بليغة اقتضبها بديهة ثم وافت عساكر ابي
مسلم الخراساني بنيف رمل الارض ركض جيادها وتخطف ببصر
البرق ومض حدادها وصرح السر فامسى وهو عريان واصبح وقد

اسنته ترمق وجه العدو وهو حريان ثم كانت وقعة الزاب
وغلب الشيطان وانهزمت تلك الاحزاب وولى عسكر الشام وقد
تقلقل مصادره وتفلل جمعه وضوضاوه وحاق بمروان بن محمد
مكره وخاب فكره وراى الارض اضيق به من مفحص القطاه واقصر
من مدى خطاه وادرك كما ذكرنا مروان ببوصير واستقر به
فيها المصير ثم لم تحوجه الاقدار بعدها الى تجهيز جيش ولا استعمال
اناه ولا طيش وكان السفاح سمح نوالا ويرى ان لا يرد سوالا
مغنما كان زمنه من وفاء جرى اليه مسوقا وسمح غصنه الرطيب
سموقا مع مكارم اخلاق وافق اشباهها ورافق امواهها فما شاء
طلب بلوغا ولا لاولد نزوعا ولا ابدا بامر الا وامه فروعا ولا
اهمهم الا وعاجل نجحه نزوعا وقد كانت ملوك بني امية ترى انه
سيكون الامر في رجل من بني العباس امه من بنات الحرث بن عبد
المدان فكانت تمنعهم من الزواج اليهم حتى كان عمر بن عبد العزيز
فاستاذنه علي بن عبد الله في التزويج بريطه فقال له تزوج بمن
شئت فتزوجها فاولدها ابا العباس السفاح وحكى بن ظفر
ان ابا سلمة الخلال وسليمن بن كثير كانا يفدان في كل عام على
ابرهيم الامام فياتيانه بهدايا اهل الدعوه وبكتبهم ويستامرونه

انه ولم يكن احد من اهل بيته يعرفها ولا يعرف الامر الذي
يانيان فيه فقدما سنة من السنين فرايا ابا العباس وابا
جعفر اخوي ابرهيم الامام وهما اذ ذاك غلامان فاعجباهما
فقال سليمن بن كثير لابي سلمة اني مسر اليك امرا فهمامن امور
الدين فاحلف لي على كتمانه فحلف له ابو سلمه بايمان رضيهما
فقال له سليمان بن كثير اني ارى ان هذا الصبيين من امارات الاستقلال
ما لا كفا له فقال له ابو سلمة هما والله اولى بالامر من صاحبنا
يعني ابرهيم الامام فقال له سليمن ما منعني من ذكر هذا
لك الا التقيه والتستر وبينا هما يتفاوضان في هذا مر ابو العباس
وابو جعفر وهما يضربان كرة فدعاهما ابو سلمة فاتياه فقال لهما
اني انشدت صاحبي شعرا انا به معجب فلم يرضه وقد رضينا
بحكمكما فيه فقالا انشده فانشدهما

امسلم فاسمع يا ابن كل خليفه ويا فارس الهيجا ويا جبل الارض

شكرتك ان الشكر حبل من التقى وما كل من اوليته نعمة يقضي

ونوهت من ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض

فقال له ابو جعفر من تقول هذا قال يقوله ابو نخيله فعض
ابو جعفر على اصبعه وقال اامن هذا العبد ان تزول لبني هاشم

دوله

دوله فيولغوا الكلاب دمه فقال له ابو العباس مه يا اخي فانه
كان يقال من اظهر غضبه ضعف كيده ثم اقبل ابو العباس على
ابي سلمة فقال له هذا شعر احمق في احمق كيف يقول لرجل هو
في سلطان غيره وتابع يا جبل الارض وجبل الارض مرسيها
وممسكها فلا يصح ان يقال هذا لمن هو في سلطان غيره وتابع
له واين يقع تعظيمه وتعجبه من تنقيص اسمه وانطلق ابو العباس
فقال له ابو جعفر هلم يا اخي نلعب فقال ابو العباس هل اولغت
الكلاب دم ابي نخيله قال لا ولكنك ادنيتنا ذنب ودهبا فقال
ابو سلمة لسليمن بمثل هذين تطلب الملك ويدرك الثار وما زالا
بابرهيم الامام حتى عهد الى ابي العباس ويقال انه وعدهما
ان يعهد اليه ولم يفعل حتى قبض عليه مروان فامضى العهد لابي
العباس قال ثم ان ابا نخيله وفد على ابي العباس السفاح عندما
افضت الخلافة اليه فلما مثل بين استاذنه في الانشاد فقال
له ما انت فقال له من انت قال عبدك وشاعرك ابو نخيله فقال ابو
العباس لا قرب الله للا نبعد نوي ولعنه الست القايل
امسلم فاسمع يا ابن كل خليفه وانشد الابيات فقال ابو نخيله
نعم يا امير المومنين وانا الذي اقول

كانا ناسا بذهب الاملاكا ونركب الاعجاز والاوراكا
من كل شي ما خلا الاشراكا وكلما قد قلت في سواكا
زور فقد كفر هذا ذاكا انا انتظرنا زمنا اباكا
ثم انتظرنا بعده اخاكا ثم انتظرناك لها اياكا
فكن انت للرجاء ذاكا

فصل عنه ابو العباس السفاح ووصله وعن سعيد بن سلم الباهلي قال حدثني بعض من حضر مجلس السفاح وهو احفل ما يكون بوجوه قريش وبني هاشم والشيعة واعيان الناس فدخل عبد الله بن حسن وهو بين يديه بمصحف فقال يا امير المومنين اعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف قال فاشفق الناس من ان يعجل السفاح بشي اليه فلا يريدون ذلك في شيخ من بني هاشم او يعيا بجوابه فيكون ذلك نقصا له وعارا عليه فاقبل السفاح عليه غير مغضب ولا منزعج وقال له ان جدك عليا عليه السلام وكان خيرا مني واعدل ولي هذا الامر فاعطى جديك الحسن والحسين وكانا خيرا منك شيا وكان الواجب ان اعطيك مثله فان كنت فعلت فقد انصفتك وان كنت زدتك فما هذا جزائي منك فما رد عليه عبد الله جوابا وانصرف والناس يعجبون من حسن جوابه له وذكر

الغرناطي

الغرناطي قال كان السفاح ابيض طويلا جميلا معتدل الجسم اقنى الانف اكحل العينين كث اللحية شديد بها سريع الغضب قريب الرضى كثير الجود سديد الراي وصولا للرحم شجاعا مقصي في قتل بني امية قتل منهم ومن ابناء عمهم اربعين الفا واما الجملة من قتل ابو مسلم فالف الف وستمائة الف واخذ السفاح نفسه بمحو اثار بني امية وهدم ديارهم ونبش عبد الله بن علي قبورهم الا قبر عمر بن عبد العزيز وكان السفاح يقول ما ابالي بالموت متى طرقني وقد قتلت الي في بني امية احرقت هشاما بابن عمي زيد بن علي وقتلت مروان باخي الامام ابرهيم ثم ينشد هذه الابيات

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني

ثم كان اذا ذكرهم انشد قول جده العباس بن عبد المطلب

ابى قومنا ان ينصفونا وسافواطع في ايماننا تقطر الدما
اذا خالطت هام الرجال تركتها كبيض نعام في الوغى قد تحطما

وامر يوما بجمع من بقي من بني امية فجمعوا وفيهم عمر بن عبد الملك ابن مروان فاكرمه واجلسه معه على سريره ففاض ذلك ابا مسلم فامر بسد بقبا فانشد شعرا منه

لا يغرنك ما ترى من رجال ان تحت الضلوع داءً دويا •

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها امويا •

فتنفس السفاح الصعدا ثم التفت الى عمر بن عبد الملك وقال له كيف رايت هذا الشاعر فاطرقه للحين فقال شاعرنا لشعر منه جبن قال فبينا شمس العداوة حتى يستفاد لهم وازح الناس احلاما اذا ابذروا فغضب السفاح وكل من حضر من اهل بيته وقالوا اخذتم انفسهم بالامر فالتفت السفاح للسوة الاموي وامر العبيد فوضعوا فيهم السيوف وقتلوهم عن اخرهم ثم التفت الى عمر وقال له ما اظن الامير يحب البقا بعد هولاء فقال لا فامر بامانه فاقيم وضرب عنقه وجروا بانفسهم حتى القوا في رحبة القصر وعليهم سراويلات الوشي ثم ان سليمان ابن هشام قدم على السفاح وكان قد فر منه الى السند فاكرمه واعطاه وقربه منه وصيره في جلسائه لظرفه وعقله وادابه وفصاحته ودماثة خلقه فحسده ابو مسلم فامر سديفا فانشده هذه الابيات

اطمأننا بنو امية حتى ما غبطنا مسوغا للحياة •

كيف بالعفو عنهم وقديما قتلونا بالضرب والمثلات •

ان زيدا وابن عمي بن زيد يا لها من مصيبة ومرات •

والامام

• والامام الذى اصيب بحران امام التقى وراس الهداة •

• لا تزال الصدور الملة ما لم تنل من امية الثارات •

فتنفس السفاح الصعدا ثم امر سليمن واسه فقتلوا ثم ان شاعرا من بني امية صنع هذه الابيات وتلطف في ايصالها اليه وهي

• ولقد ابصرت لو ينفعني عبرا والدهر ياتي بالعجب •

• ابن زرقا عبد شمس ابن هم ابن اهل الباع منهم والحسب •

• كل سام الحد محمود الجدا واضح الغرة بدر محتجب •

• لم يكن الذنب عندكم ما فعلتم بالعبد المطلب •

• ان تحدوا الاصل منهم سفها بالقوى للزمان المنقلب •

• ان هذا الدهر لا بد يختار الناس يوما ينقلب •

فغص السفاح من قوله والان جانبه وقل غرب سطوته ومولده سنة خمس ومائة وتوفي بالجدري سنة ست وثلثين ومائة وعمره احد وثلثون سنة ومدته اربع سنين وتسع شهور وايام ودفن بالانبار ثم دولة

المنصور اخيه ابي جعفر بن ابي عبد الله بن محمد وكان منصور اللواء مقصور الراي على دفع اللاواء لا ينثني عوده بالالتواء ولا يستحوذ عليه بالاحتوا لا يمل طول الثوا ولا يلم بره على تاخير الدواء لا تزعجه نطاول الاسوا ولا تردعه تخابير الاهواء اوقع على مفاصله من مواطن الانواء والصبر

وقد نقل انه كان يتبدد بعد اجله لسى تقدم له علمه ودخل عليه الطبيب وذو مرض موته بحس بصحة فانشا الفاع يقول

انظر الى ضعف الحراك وذله لبيد السكون • بنبيك قول بيانه هذا مقدمة للمنون • وجس الطبيب نبضه ثم قال له اس

صالح فقال السفاح •

يبسر بي بسابي دوصلاح سرلي وبي داء دفين • لقد اتيقن اني عريان ولا شك اذا ضح اليقين •

بمصالحة من نواظر الصحة بمداواة الادواء لا يتوكل في عباد يملكها
للبلاد يملكها ولا يستاثر بدماء يسفحها لنعمة يمنحها حتى توطدت
قواعد ملكه وتوطنت قواعد الاقاليم في سلكه فما اعجزه مرام ولا اعجله
حافز امر عن تمام ولم يكن في بيته اقوى منه شكيمة ولا اورى منه زناد عزيمة
ولا اغزر علما ولا اوفر حلما الا انه كان مبجلا لا يرسخ له صلة سدى
ولا يقصر له نحر نجلا ونجمت في مدته خوارج من اهلها بغوائله ومارانها
حتى شفى منها صدور مناصله فاستقام له عويصها ودخل في زمام طاعته
عصيها ومن كان عليه العهد اليها جيوشه فاوطاها احداثا واوطنها
احداثا ثم بعث الى الاطراف فسدد ثغورها وسد شغورها وبنى
المدن ومدنها وشحن المعاقل وحصنها وكان لا يطمع في اهتمال
عزمه واختلال اسرته بما لانت حصاته لماضغ ولا هانت حصانته
على رائع فلم يتخلص من قبضته نازع ولا فصله الا من عاد بقلب ملآن
فارغ ودام الملك في بيته تتوارثه ويتنقل اليهم عنه مواريثه وها هم
الى اليوم في بقايا نعمه التي احرزها وذخائره وهي الخلافة التي في
بيته كنزها وهو داهية القوم وقلبته الاحوال اكثر من كل بني ابيه
واضطر في دولة بني امية الى انه قصد شيعتهم بالعراق فمر في طريقه
بقصر خالد بن عبد الله القسري فلما رآه خالد ولم يكن يعرفه طالبه وساله

عن

عن نسبه وابن يزيد فاخفى نسبه وقال اني اريد العراق لدين علي
وحقوق لزمتني فامر له بمال جليل واعانه فرعاها له ابو جعفر فلما
افضت اليه الخلافة رد على آل خالد نعمتهم والجاته الضرورة الى انه
تزوج امراة من الازد بالموصل واكرى نفسه مع الملاحين يمد في الحبل
واولد تلك الامراة ولدا كتب في دولة ابي جعفر عند ابي ايوب الموريانى
وهو لا يدري ولا الصبي انه ابن ابي جعفر فراه ابو جعفر فتفقد اليه
نوازعه فساله عن امه واهله ومكانه فعرفه وعرف انه ابنه ثم
اسرع حمل امه واهله اليه فلما سافر لهذا بعث ابو ايوب من يتبعه ويقتله
غيلة خوفا منه لما كان اطلع عليه من معايبه وامسك ابو جعفر المنصور
في آخر سلطان بني امية بسبب مال وضربه عامل البصرة بالسياط وكان
ابو ايوب الموريانى يكتب لعامل البصرة فقام واكب على ابي جعفر وخلصه
وكان ابو جعفر يرعى له هذه اليد كان منه ما كان اليه على ما ياتي
في موضعه ولما مات السفاح خرج عليه عمه عبد الله بن علي بالشام
وكان عليه من قبل السفاح وقال له ان السفاح عهد قبل موته ان الامر
لقاتل مروان وانا قاتله فقالوا صدقت وبايعوه فبعث اليه المنصور
ابا مسلم فالتقوا ببلاد نصيبين وكانت بينهم حروب عظيمة دامت شهورا
ثم انهزم عبد الله بن علي الى البصرة وكان عليها اخوه سليمن بن علي فانزله

واخبر المنصور فامره بجلسيه ثم كان اخر العهد به ثم ان ابا مسلم
شمخ بانفه فارسل اليه المنصور يقطين بن موسي لقبض ما اصاب فرده
ردا قبيحا ثم سار ابو مسلم من الحيرة وقد ازمع على الخلاف
وبلغ الخبر المنصور وهو بالمداين فاغتنم لذلك وسار الى مدينة رومية
وكتب اليه اني اريد ان اشاورك في الامر لا استطيع ان اكتبه فاتي
مسرعا فلم يلتفت على الكتاب فدس عليه صاحبا له فاتى به فقتله
على الصورة المعروفة ولما قتله التفت اليه ثم قال يرحمك الله ابا مسلم
لقد بايعتنا وبايعناك وعاهدتنا وعاهدناك ووفيت لنا ووفينا لك
وانا بايعناك على ان لا يخرج علينا احد في هذه الايام الا قتلناه فخرجت
علينا فقتلناك وحكي ان ابا مسلم كان يجد في الكتب السابقة
وانه يميت دولة ويحيي دولة وانه يقتل ببلد الروم ولم يكن الا رومية
وهي من المداين من العراق ولما ضربه المنصور اول ضربة قال له
ابو مسلم استبقني يا امير المومنين لاعدائك فقال لا ابقاني الله
ان ابقيتك واي عدو اعدى لي منك وكان مقتله سنة سبع وثلثين
ومية وهو ابن احدى وثلثين سنة ذكره الغرناطي ولما راه المنصور
طريحا بين يديه قال ـــــ

زعمت ان الدين لا ينقضي فاستوف بالكيل ابا مجرم

واشرب

واشرب بكاس كنت تسقي بها امر في الحلق من العلقم

فاضطرب اصحاب ابي مسلم فسرت عليهم الاموال واعلموا بقتله
فامسكوا رغبة ورهبة ومضى ابو مسلم لسبيله لم يغن عنه كثرة قبيله
ولا نوقد بصر كان يسري بفيد بلده ولا جاه بعد غور كانت السفن
تفرق في صحاصحه وتدلج ولا تظفر بصاحبه فلم ينفع حذار
ولم يدفع حذر المقدار وحكت سلامة ام المنصور قالت رايت حين
حملت به اسدا اخرج من قبلي فاقعى تزاءر وضرب الارض بذنبه فاجتمعت
اليه الاسود وكان كلما جاءه اسد سجد له وكان المنصور فقيها
عالما حافظا قال مالك بن انس ما اجتمعت قط بابي جعفر المنصور
الا احتقرت نفسي وادعت الراوندية فيه الالوهية وخرج
لدفعهم فارادوا قتله وقالوا نريد نخرج الجزء الالاهي من هذا
الناسوت فخاصمهم فاختط مدينة بغداد واسفل من الهاشمية
اليها وقد تقدم ذكر بغداد في موضعه من تقسيم الاقاليم وكان ابو حنيفة
ممن ولي على عملها وعن عمر المديني قال قدم علينا المنصور المدينة
ومحمد بن عمران الطلحي على قضائه وانا كاتبه فاستعدى الجمالون
عليه في شي ذكروه فامرني ان اكتب اليه كتابا بالحضور معهم وانصافهم
فقلت تعفيني من هذا فانه يعرف خطي فقال اكتب فكتبت ثم ختمته

فقال لا نمضي به والله غيرك فمضيت به الي الربيع وجعلت اعتذر اليه
فقال لا عليك فدخل عليه بالكتاب ثم خرج الربيع فقال للناس امير
المومنين يقول لكم اني قد دعيت الي مجلس الحكم فلا اعلمن احدا قام
الي اذا خرجت او بدانى بالسلام ثم خرج والمسيب بين يديه والربيع
وانا خلفه فسلم علي الناس فما قام اليه احد ثم مضي حتى بدا بالقبر
فسلم ثم التفت الي الربيع وقال يا ربيع ان راني ابن عمران ان يدخل
قلبه لي هيبة فيتحول عن مجلسه وتالله ان فعل لي ولاية ابدا فلما
راه وكان متكيا الحلق رداه عن عاتقه ثم احتبى به ودعا بالخصوم
والجمالين ثم دعا بالمنصور فسوي بينهم ثم ادعى عليه القوم فقضي
لهم فلما دخل الدار قال للربيع اذهب فاذا قام وخرج من عنده
الخصوم فادعه فقال يا امير المومنين انه ما دعا بك الا بعد ان فرغ
من امور الناس فمضى ودعاه فلما دخل عليه سلم فقال جزاك الله عن
دينك وعن حسبك وعن خليفتك احسن الجزا قد امرت لك بعشرة
الف دينار فاقبضها فكانت عامة اموال محمد بن عمران من تلك الصلة
وحكي البلاذري قال ما كان المنصور يستصبح الا بالزيت في
القناديل وربما خرج الي المسجد ومعه من يحمل سراجا بين يديه
ما فيه الرطل والمن وكان اذا اراد قراة الكتب او كتابها احضر شمعة

في نور ثم اذا فرغ رفعها وكان لا يري الا الاقتصاد في كل اموره
والاقتصار على الضروري الذي لا بد منه وكان ابو عبيد الله الكاتب
يقول كان المنصور اعطي الناس في حق واعلمهم بحرمه واشدهم شكيمه
على عدو وكان امره جدا كله وسمع المنصور جلبه في داره فقال ما هذا
فاذا خادم له قد جلس وغلمه حوله وهو يضرب لهم بالطنبور وهم
يضحكون منه فاخبر بذلك فقال وما الطنبور فوصفه له حماد التركي
فقال له وما يدريك به فقال رايته بخراسان فقال نعم ودعا بنعله وقام
يمشي رويدا حتى اشرف على الغلمان فلما ابصروه تفرقوا فقال خذوا
الخادم فاكسروا ما معه على راسه ثم قال يا ربيع اخرجه من قصري
وابعث به الى حمران النخاس حتى يبيعه فوجه به الربيع من ساعته
فبيع وعن رجل من حشم المنصور قال كان المنصور يقسم علينا الارزاق
وما في الخزاين حتى الغاليه والدرياق وركب المنصور يوما نحو باب
قطربل حتى دخل من ناحيته باب حرب فاسا بعض احداث مواليه وسار
في ناحيته امرا لا يسير فيه احد كراهه للغبار فالتفت الى عيسى بن علي
وهو يسايره فقال والله ما ندري يا ابا العباس ما نصنع بهولاء
الاحداث ان حملناهم علي الادب واخذناهم بما يجب ليقولن جاهل
لم يحفظ اباهم فيهم وان تركناهم وركوب اهوايهم ليفسدن علينا غيرهم

وسئل عنه اسحق بن مسلم فقال لقد سبرت ابا جعفر فوجدته بعيد الغور
وعجمت عوده فوجدته صلب المكسر ولمسته فوجدته صلب المكسر
ولمسته فوجدته حسن الملمس وذقته فوجدته مر المذاق وانه
ومن حوله لكما قال ـــــــ ربيعة

سماني فرسان كأن وجوههم مصابيح تبدو في الظلام مزاهر
يقودهم كبش أخو مصمئلة خليف سرى قد لوحته الهواجر

وكان يقول للمهدي يا بني استدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو
والطاعة بالتألف والنصر بالتواضع لله والرحمة للناس ولما أتاه
خروج بن عبد الله بالمدينة سن عليه درعه وتقلد سيفه ولبس خفه
وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ـــــــ

ما لي اذا دافع عن سعد وسمني ولو سمت بني سعد لقد سكنوا
جهلا علي وجبنا عن عدوهم لبئست الخلتان الجهل والجبن

اما والله لقد عجزوا عما قمنا به فما عضدوا الكافي ولا شكروا المنعم
فماذا حاولوا اشرب رنقا على غصص وابيت منهم على مضض كلا والله
اني لا اصل ذا رحم بقطيعة نفسي وان لم يرض بالعفو مني ليطلبن
ما لا يوجد عندي ولان اقتل معذورا احب الي ان احيا مسندا لا يليق
دون نفس على نفسه بلا ان يقضي نحبه ثم لا ابكي عليه ولا اذهب نفسي

حسرة

حسرة لما ناله ثم دق بيده على صدره وانشد

فكم من غارة ورعيل خيل تداركها وقد حمي اللقاء
فرد رعيلها حتى تناها باسمر ما ترى فيه التواء

ثم انشد   ونصبت نفسي للرماح دريئة ان الرئيس لمثل ذلك يفعل

ثم لم يلبث ان اتاه الخبر بخروج ابرهيم بن عبد الله اثر اخيه فجمع
المنصور بني ابيه وقال ما ترون فقالوا نوجه موسى بن عيسى فقال
يا ولدي على ما اضعفتم وجهت اباه واوجهه ما تجور فقال فوجه عبد الله
بن علي واصطنعه قال هيهات ابعث على حرب اخوي ان حاقني ما لا عدري
علي وان ظفر اعاد الحرب بيني وبينه خدعة وقد سمعتكم تذكرون ان له
اربعة آلاف مولى يبوئون تحت ركابه فاي راي هذا والله لو دخل علي
ابرهيم بسيف مسلول لكان اهون علي من نفسك عبد الله بن علي راسي
ثم جهز اليه عيسى بن موسى وحكى المنصور قال رأيت كأني حول
الكعبة فنادى مناد من جوف الكعبة ابا العباس فنهض اخي فدخل
الكعبة ثم خرج وبيده لواء قصير خفي ثم نادى مناد يا عبد الله
فنهضت انا وعمي عبد الله بن علي نستبق فلما استوينا على الدرجة
العليا دفعته عن الدرجة فهوى ودخلت الكعبة واذا برسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس يعقد لي لواء طويلا على قناه وقال خذها

حتى تقاتل بها الدجال وحكي عنه شبيب بن شيبة الاهتمي
التميمي قال حججت في العام الذي ولي فيه الوليد بن يزيد فبينا
انا مرلح ناحية من المسجد اذ طلع من بعض ابوابه فتى كان عينيه
لسانان ناطقان تخلط ابهة الاملاك بزي النساك فما ملكت نفسي
ان نهضت في اثره سايلا عن خبره فسبقني فتحرم بالطواف فلما
سبّع قصد المقام فركع ثم نهض منصرفا فكان عينا اصابته فكبا كبوة
دميت لها اصبعه فقعد لها القرفصا فدنوت منه متوجعا له امسح
عن رجله التراب فلا يمتنع علي فشققت حاشية ثوبي فعصبت بها
اصبعه فما انانف ثم نهض متوكيا علي حتى اتى دارا باعلى مكة
فابتدره رجلان تكاد صدورهما تفرج من هيبته ففتحا له الباب
فاجتذبني فدخلت بدخوله ثم خلا بيدي واقبل على القبلة فصلى
ركعتين اوجزهما في تمام وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم
اتم صلاة واطيبها ثم قال لم يخف عني مكانك بعد اليوم
ولا فعلك بي فمن يكون يرحمك الله فسميت له نفسي ونسبت وقرب
ووصف قومي بخير فقلت له اجلك يرحمك الله عن السوال واحب
المعرفه فتبسم وقال لطف اهل العراق انا عبد الله بن محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس فقلت له بابي انت وامي ما اشبهك بنسبك

واذلك

واذلك على منصبك ولقد سبق الى قلبي من محبتك ما لا ابلغه بوصفي
لك قال فاحمد الله يا اخا بني تميم انا ا يسعد الله من احبنا بحبه ويشقى
ببغضنا من ابغضه ولن يصل الايمان الى قلب احدكم حتى يحب الله ورسوله
واهل بيته ومهما ضعفنا عن جزايه قوى الله على ادايه قلت ان ايام
الموسم ضيقه وشغل اهل مكة كثير وفي نفسي اشيا احب ان اسل عنها
افتاذن فيها فقال نحن من اكثر الناس مستوحشون وارجوا ان تكون
للسر موضعا وللامانة واعيا فان كنت كما رجوت فافعل فقدمت
من وثيق القول والايمان ما سكن اليه وتلا قوله تعالى قل اي شي
اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم ثم قال سل عما بدا لك قلت ما ترى
فيمن على الموسم وكان عليه محمد بن يوسف الثقفي فتنفس الصعدا وقال
اعن الصلاة خلفه تسلني ام كرهت ان يتامر علينا اهل البيت قلت عن كلا
الامرين قال ان هذا عند الله لعظيم فاما الصلاة ففرض الله تعبد بها
خلقه فادّ ما فرض عليك في كل وقت مع كل احد فانه لو كلفك ان لا تودي
نسكا الا مع اكمل المومنين ايمانا لضاق عليك الامر فاسمح يسمح لك ثم
سالته عن اشيا من امور دينى فما احتجت ان اسل عنها تطلع طلوع الشمس
وتظهر ظهورها فنسل الله خيرها ونعوذ به من شرها فخذ على لسانك
ويديك منها ان ادركتها قلت ويقال انه سلى بكم منا خلص المحبة قال

تدروي ان البلا اسرع الى محبنا من الماء الى قراره قال فقلت
له انى لاخاف ان لا اراك بعد اليوم قال ارجوا ان اراك وتراني
كما تحب ان شا الله تل عجل الله ذلك قال امين فقلت ووهبني السلامه
منكم فاني من محبيكم قال امين وتبسم ثم قال لاباس عليك ما اعاذك
الله من ثلاث قلت ما هن قال قدح في الملك وهتك في الدين اوهتك
في حرمه ثم قال احفظ عني لا تجالس عدونا وان احطبناه فانه يخذول
ولا تخذل ولينا فانه منصور واصحابنا بترك المآكر ونواضع اذرفعوك
وصل اذا قطعوك ولا تخطب الاعمال ولا تتعرض للاموال وانا رايح
من عشيه فهل من حاجة فنهضت لوداعه فلما خرجت اسعني
مولى له بكسوة وافترقنا فوالله ما رايته الا وخرسان قابضا
على يدسانى منه في جماعة من قومي لا بايعه فلما نظر الى قال خليا
عمن صحب مولاته وتقدمت خدمته واحدث قبل اليوم بيعته ثم
قال ابن كنت عني ايام اخي ابي العباس فذهبت اعتذر فقال امسك
فان لكل شي وقتا لا يعدوه فاختر بين رزق يسعك او عمل يرفعك
قلت انا حافظ لوصية امير المومنين قال انما نهيتك ان تخطب
الاعمال ولم انهك عن قبولها قلت الرزق مع قبول امير المومنين
احب الي قال هو اجم لقلبك واحب الي لك ثم قال قد الحقنا عيالك

بعيالنا

بعيالنا وخادمك بخادمنا وفرسك بافراسنا ثم ضمه الى المهدي
فكان معه وراى المنصور قبل موته بسيرا عاجيب كبيره
موذنة بهلاكه منها انه لما دخل اخر منزل نزله من طريق مكة
نظر في صدر البيت الذي نزله فاذا فيه مكتوب اباجعفر حانت

وفاتك وانقضت سنوك وامر الله لا بد واقع •
اباجعفر هل كاهن ام منجم لك اليوم من حر المنيه مانع •

فاقرا متولي المنزل السبين فقال ما ارى شيا فاحضر احاجبه
فقال كذلك فقال اقرا اية من كتاب الله تشوقني الى الغايه فقرا
وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون فقال له اما وجدت
اية غيرها قال والله لقد محى القران من قلبي غيرها وهتف
به هاتف قبلها بهذه الابيات

اما رب السكون والحرك ان المنايا كثيرة الشرك •
ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السما في الفلك •
الا لنقل السلطان من ملك قد انقضى ملكه الى ملك •

ثم راى بعد ذلك كان منشدا ينشده

• اخي حفص من مثلكا فكان يومك قد اتاكا •
• ولقد اتاك الدهر من تصريفه ما قد كفاكا •

وَاذا رايت الناقص العبد الدليل فانت ذاكا

ملكت ما مُلكته وَ الامرُ فيه الى سِواكا

وَذكر عنه انه كانَ في مجلس من اعلى باب خراسان اذ جا سهم عابر فسقط بين يديه فذعر وجعل يقلبه فاذا بين الريشتين مكتوب

اتطمع في الحياة الى المعاد وتحسب ان مالك من نفادِ

ستسال عن ذُنوبك وَالخطايا وتسل بعد ذاك عن العبادِ

ثم قرا عند الريشه الثانيه

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت وَ لم تخف سو ما ياتي به القدرُ

وَسالمتك الليالي فاغتررت بها وَ عند صفو الليالي يحدث الكدرُ

ثم قرا عند الريشه الثالثه

هي المقادير تجري في اعنتها فاصبر فليس لها صبر على حالِ

يوما تريك خسيس الناس ترفعه الى السما ويوما تخفض العالي

وَاذا على جنب السهم رجل من همدان مظلوم في حبسك فبعث من فوره ففتش عليه فوجده فانصفه وَازال ظلامته ولما راي ما راي من العجايب المندره بهلاكه قال لحاجبه الربيع اني اخوف على هذا الامر فقال له من يا امير المومنين يعني عيسى بن موسي وهو معك بالحضرة فامرني فيه بامرك حتي انفذه فقال لا يا ربيع ان عيسي رجل ما اعطي

الله

الله عهدًا الا وفي به وَانما اخوف صاحب الشام عبد الوهاب ابن ابرهيم الامام ثم دفع يديه الي السما فقال اللهم اكفني عبد الوهاب قال الربيع فلما مات المنصور ودليته في القبر وعرضت عليه الحجاره سمعت هاتفا يهتف من القبر مات عبد الوهاب وَاحلت الدعوه قال الربيع فهالني ذلك الصوت وجا الخبر بعد سابعه بوفاه عبد الوهاب وَمولده سنه خمس وَتسعين وتوفي في ذي الحجه لست خلون منه سنه ثمان وخمسين ومية وعمره ثلث وستون سنه وَمدته ثلاثين وعشرين سنه وقبره ببير ميمون قريب مكة المعظمه ويروي له من الشعر قوله

المرءُ يهوي ان يعيش وطول عيش قد يضره تفني بشاشته ويبقي بعد

حلول العيش مُره

وتصرف الايام حتى ما يري شيا يسره كم شامت بي ان هلكت وقايل

لله دَرُّهُ

ثم دوله المهدي ابي عبد الله محمد بن المنصور وَكان ابوه قد قرر اموره وقرب له مدي الخلافه وَما مات حتي اكد له البيعه ووطد له اسباب الملك وَكان مما بالغ فيه من التمهيد له انه اثره دونه بحسن السمعه وَخلاص الديه فانه اخذ اموالا

جماعة من الناس واودعها بيت المال في اكياسها وكتب على كل
مال اسم صاحبه لما عزم على الحج فقال له يا بني اذا انا مت فرد
كل مال على صاحبه ليحبوك فلما مات ورد الاموال على اهلها وقالوا
ظلمنا ابوه وانصفنا هو فاحبوه وسموا بايامه ولما ولي بعث حاق
الناس وحل عقد ابيه وازال تشدده واطلق ما امسك به يده ولم
يحرم طالب ثواب ولا اخذ بطائل عقاب وكانت ايام هذه
اعوام وخصب وقفت بها حواشي الحشو ودون الامة مناهلها
صفوا ودون نفعها ورقت ما حرق وقابلها السيف رفوا
ورفت ظلال حلمها فلم تدع هفوا واكثر نقلة الاخبار على انه
كان لا يرفع كاسا ولا يكاثر لهوا ولا يقبل فيما ينشد لغوا
بل ربما بعث نفسه ان يتاوس بطرء زهوا ويابى ان يفارق عن يمينه
سهوا وكان قريبا مهيبا متوسطا في اموره متناسبا في احواله
وفي المهدي يقول ربيعة الرقي

قد بسط المهدي كف الندى للناس والعفو عن الظالم
فالراحل الصادر عن بابه مبشر للوارد القادم

وكان المنصور يريد ان يجعل العهد اليه وكان الى عيسى بن موسى فتحيل
له بانواع الحيل حتى جعله اليه وعوض عيسى بن موسى بعشرة الف

درهم

درهم وجعله بعد المهدي

قل للامين الواحد الموحد ان الفتى ولاك رب المسجد
ليس ولي عهدنا بالاسعد عيسى فردها الى محمد

فرواها الخدم والبطانة فبلغوها المنصور فدعى به في مجلس
حافل وفيه عيسى بن موسى فاستنشده فانشده اياها وكان
فاتحة الكلام المنصور ثم ان عيسى بن موسى دس على ابي حيلة
من قتله وسلخ وجهه وعن سوار قال انصرفت يوما من دار
المهدي الى منزلي فدعوت بالغداء فجاشت نفسي فدعوت بالبرد
فلم تطب نفسي فدخلت القايلة فلم ياخذني النوم فنهضت فركبت
بغلة لي وخرجت فاستقبلني وكيل لي بالفي درهم فقلت دعها
معك واتبعني ثم خليت راس البغلة حتى انتهيت الى باب دار لطيف
عليه شجرة وعليه خادم فوقفت وقد عطشت فقلت للخادم اعندك
ماء قال نعم وقام فاخرج قلة نظيفة طيبة الرائحة عليها
منديل فشربت وحضر العصر فدخلت مسجدا هناك فصليت فيه
فلما قضيت صلاتي اذا انا باعمى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك
اريد فقلت وما حاجتك فقال ارايت باب هذا القصر قلت نعم
قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه

فزالت عنا النعم فاتيت صاحب الدار لاسله شيا يوصلني الي
سوار فانه كان صديقا لابي قلت ومن ابوك قال فلان تعرفنه فقلت
ان الله فداناك بسوار منعه الطعام والنوم حتى جابه اليك
ثم اخذت الدراهم من الوكيل فدفعتها اليه وقلت له اذا كان
غد فصر الى المنزل ثم اتيت المهدي فطرفته بحديثه فاعجبه
وامر له بالفي دينار فنهضت فقال لي اعليك دين قلت نعم قال كم
قلت خمسون الف دينار فامسك وجعل يحدثني ساعة ثم اتيت
منزلي فاذا خادمه معه خمسون الف دينار قال يقول لك امير
المومنين اقض بها دينك ثم لما كان الغد ابطا على الاعمى واتاني
رسول المهدي يدعوني لجيبته فقال فكرت في امرك فقلت يقضي دينه
ثم يحتاج الى القرض وقد امرت لك بخمسين الف دينار اخرى فقبضتها
وانصرفت فاتاني الاعمى فقلت له قد رزق الله بكرمه بك خيرا كثيرا
واعطيته صلة المهدي ومن عندي مثلها   وعن هشام
الكلبي قال طلبني المهدي فلما صرت اليه اقراني كتابا فالفيته
يتضمن شتمه وسبه فالقيته من يدي ولعنت كاتبه وقلت من كاتب
هذا الملعون الكذاب فقال هذا الاموي صاحب الاندلس فقلت
فهو واباوه وامهاته والله اهل لذلك فسر بقولي ثم قال اقسمت

عليك

عليك لما امللت مثالبهم كلها على هذا واشار الى كاتب من كتاب السر
فامللته ولم ابق شيا فلما فرغت منه عرضته عليه فاظهر السرور
ثم ختم الكتاب وجعله في خريطة ودفعه الى صاحب البريد
وامره بتعجيله الى الاندلس ثم امر لي بالفي دينار وعشرين ثوبا
وبغله شقرا بسرجها ولجامها من مراكبه واقطعني ارضا بالبصرة
ثم قال اكتم ما سمعت وعن عبد العزيز بن الماجشون قال سالني المهدي
فقال ما قلت حين فقدت اصحابك يعني الفقها قال قلت

• يا من لباك على اصحابه جزعا قد كنت احذرذا من قبل ان يقعا •
• فليصنع الدهر بي ما شا مجتهدا فلا زيادة شي فوق ما صنعا •

فقال والله لاغنينك فاجازه بعشرة الاف دينار فقدم بها المدينة
فانفقها في السخا والكرم وعن واضح قهرمان المهدي قال كنت
معه بما سبذان فلم ازل معه الى بعد العصر ثم انصرفت الى مضربي
فلما كان وقت الاكبر وكنت لاقامة الوظايف فسرت منفردا من غلماني
فلقيني اسود عريان على فرد رجل فدنا مني ثم قال اعظم الله اجرك
في مولاك المهدي فهممت ان اعلوه بالسيف فغاب عني فلما انتهيت
لقيني مسرور فاعلمني بموته فدخلت فاذا به مسجي وقيل مات لانه
طرد ظبيا فاقتحم خربة فدخلها وراه فدق ظهره باب الخربة

فمات ومولده سنة سبع وعشرين ومائة ووفاته في المحرم سنة تسع وستين ومائة وعمره اثنان واربعون سنة ومدته عشر سنين وشهر وايام وقبره بماسبذان من ولما قارب دنو اجله راى قايلا يقول يسمع شخصه ولا يشهده

كاني بهذا القصر قد باد اهله واوحش منه ربعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة واوحش منه من بعد ملك الى قبر عليه جنادله
ولم يبق الا ذكره وحديثه تنادي عليه معولات حلايله

فما بقي الا عشر ايام ومات واختطفه عقاب المنايا كن خطابه قد يكون في الوشي وقت الصبوح ثم عدن قبل الظهيرة وعليهن المسوح فقال ابو العتاهية

رحن في الوشي واقبلن عليهن المسوح
كل نطاح من الدهر له يوم نطوح
لست بالباقي ولو عمرت ما عمر نوح
فعلى نفسك نح ان كنت لا بد تنوح

ثم دولة الهادي ابي محمد موسى بن محمد المهدي كان كريما غيورا حد المزاج شرس الخلق له بادرة لا تؤمن واقدام لا يطمئن به ولقد اراد الرشيد على خلع نفسه من ولاية العهد وراوده في ذلك

يحيى

يحيى بن خالد غير مرة وهو ممتنع عليه ويقيم له الادلة على زيف رايه في ذلك على ما سيأتي ذكره في مواضعه ذكره من هذا الكتاب ولم يطل بالهادي فسيح اجل ولا تراخي به عنان مهل حتى ساورته المنون وسارعته الشهور لا السنون فنال عرشه في اقرب وقت ومات وابقى له المقت واختلف في موته باي سبب كان فقيل اكل رمانا فشرق منه بحبة فمات وقيل وقع على قصب فارسي يدخل في دبره فمات وقيل مرض اياما ومات وقيل غمته امه الخيزران لافراط تحجره عليها وتبرمه من شفاعاتها ولما اراد عليه اخاه هرون الرشيد وكان هرون احب اليها واكرم منه عليها فطلبت في الحال يحيى بن خالد وبعثته اليه تعني غير ثكلى ولا فاقدة كان يحيى عنده محبوسا فبادر الى هرون بخبر موسى فصادف خادما يبشر بولادة مولود ذكر ولد له تلك الليلة وهو المأمون فسابقه في الدخول عليه وبادره بالسلام وقال اهنيك بالخلافة وغلام وعن الحسن بن معاذ بن مسلم وكان رضيع الهادي قال لقد رأيتني اخلو مع موسى الهادي ولا اجد له هيبة في قلبي لما كان سطي وربما صارعني واصرعه غير هايب له واضرب به الارض فاذا تلبس لبسة الخلافة ثم جلس مجلس الامر والنهي قمت على راسه فوالله ما املك نفسي من الرعدة

والهيبة وقال ابراهيم المؤذن ان الهادي كان يثب على الدابة
وعليه درعان لا يضع رجله في الركاب وكان مقتفيا لاثر ابيه
في تطلب الزنادقة والايقاع بهم لان اباه اوصاه بذلك وكان
كريما خرقا وذكر الطبري في حكاية طويلة انه وهب عبد الله
بن مالك وكان على شرطته اربعمائة بغل دراهم وعن ابي محمد اليزيدي
قال دخلت على الهادي فاذا بين يديه سيف عريض كانه نقله فقلت
يا امير المؤمنين ما هذا قال هذا سيف عمرو بن معدي كرب الصمصامة
فاستحسنته فقال لي كنت سألت المهدي ان يهب لي هذا السيف
فضن به عني ومنعنيه فاليت ان بلغني الله املي ان امتحنه وقد عزمت
على ان ادعو غلامي طرخان الخزري وهو جيد الذراع ان يحضر لي صخرة
سوداء طولانية من حجارة القصارين وآمره ان يجمع يديه
في السيف ثم يضرب به الراس الدقيق من الصخرة فان سلم سلم وان
تقطع تقطع قال فلم ازل اسأله اعفاء السيف من الامتحان واقول
شرف من شرف العرب وسيف لا يوجد مثله فابى ودعا غلامه طرخان
فجاء بالصخرة فقلت يا امير المؤمنين فاذا لم تطعني فاعمل له ما يبقى
على الدهر يدخل من بالباب من الشعراء حتى يحضروا امتحانه فان
سلم وصفوه وان تقطع رثوه فامر باحضارهم ثم امر طرخان

بامتحانه

بامتحانه فخسر عن ذراعيه وهزه وجمع يديه في قائمه
ثم ضرب به الصخرة فمضى فيها حتى قطعها ولم يصبه شيء فلم يقل
احد ارضى من قول ابي الغول ؛ قال

حاز صمصامة الزبيدي عمرو من جميع الانام موسى الامين
سيف عمرو وكان فيما علمنا خير ما اغمدت عليه الجفون
اخضر اللون بين حديه برد من ذباح تميس فيه المنون
اوقدت فوقه الصواعق نارا ثم شابت به الذعاف القيون
وكان الفرند والرونق الجاري في صفحتيه ماء معين
ما يبالي اذا الضريبة حانت اشمال سطت به ام يمين

فوصله بعشرة الاف درهم وخلع عليه وحمله ثم امر لكل واحد
من الشعراء بخمسة الاف درهم وادخل عليه رجل فجعل يقرن بذنوبه
ويتهدده فقال الرجل اعتذاري مما تقول رد عليك واقراري به
يوجب علي ذنبا ولكني اقول ان كنت ترجو في العقوبة رحمة فلا تزهدن
عند المكافاة في الاجر فامر باطلاقه وعن علي بن يقطين قال انا
لعند الهادي مع جماعة اذ اتاه خادم فساره بشيء فنهض سريعا
وقال لا تبرحوا ومضى ثم جاء وهو يتنفس فاستلقى على فراشه
ثم قال لخادم معه على يده طبق مغطى بمنديل ضع ما معك فوضع الطبق

وكشف المنديل فاذا ارا شاحارسين لم ار والله احسن من وجوههما
ولا من شعورهما واذا على رؤوسهما الجوهر المنظوم على الشعر
واذا رائحة الطيب تفوح فاعظمنا ذلك فقال تدرون ما
شانهما قلنا لا قال بلغنا انهما يتحابان فوكلت هذا الخادم
بهما ينمي الي اخبارهما فجاءني فاخبرني انهما قد اجتمعا فجئت
فوجدتهما في لحاف واحد فقتلتهما ثم قال يا غلام ارجع بالراس
قال ثم رجع في حديثه كان لم يصنع شيا وعن عمر بن شبه ان علي
بن الحسين بن الحسن بن علي تزوج رقية بنت عمرو العثمانية
وكانت تحت المهدي فبلغ ذلك الهادي فارسل اليه فحمله فقال
اعياك النسا الا امراة امير المومنين فقال ما حرم الله على خلقه
الا نسا جدي صلى الله عليه وسلم فاما نساه فلا ولا كرامه
فشجه بمخصرة كانت في يده وامر بضربه خمسماية سوط فضرب
واراده ان يطلقها فلم يفعل فحمل في نطع والقي ناحيه وكان في يده
خاتم سري فراه بعض الخدم وقد غشي عليه من الضرب فاهوى الى
الخاتم فقبض على يد الخادم فدقها فصاح فاتى موسى فاراه
فاستشاط وقال اتفعل هذا بخادمي مع استخفافك بابي وقولك
لي فقال سله ومره ان يضع يده على راسك وليصدقك ففعل فصدقه

الخادم

الخادم فقال احسن والله وانا اشهد انه ابن عمي لو لم يفعل لانتفيت
منه ثم امر باطلاقه ووصله وذكر سعيد بن سالم قال كنت مع الهادي
بجرجان فاتاه نعي المهدي والخلافه فركب البريد الى بغداد في قوم
معه فسرنا بين بساتين جرجان فسمع صوتا فيها من رجل يتغنى فقال
لصاحب شرطته علي بالرجل الساعه قال فقلت ما اشبه قصه هذا
الخاين بقصه سليمن بن عبد الملك بينا هو في متنزه له ومعه حرمه فسمع
من بستان اخر صوت رجل يتغنى فدعا صاحب شرطته فقال علي بصاحب
الصوت فاتي به فلما مثل بين يديه قال ما حملك على الغنا وانت الى جنبي
ومعي حرمي اما سمعت ان الرماك اذا سمعت صوت الفحل حنت اليه يا غلام
جبه فجب الرجل فلما كان في العام المقبل رجع سليمن الى ذلك الموضع فجلس
مجلسه الذي جلس فيه فذكر الرجل وما صنع به فقال علي بالرجل الذي
كنا جببناه فاحضروه فلما مثل بين يديه قال له اما بعت فنوفيناك واما
وهبت فنكافيناك قال فوالله ما دعاه بالخلافه ولكنه قال يا سليمن
انك قطعت نسلي وذهبت بماء وجهي وحرمتني لذتي ثم تقول اما
وهبت فنكافيناك او بعت فنوفيناك لا والله حتى اقف بين يدي الله قال
فقال الهادي يا غلام رد صاحب الشرطه فرده فقال لا تعرض للرجل
وولد الهادي سنه ست واربعين وميه وتوفي سنه سبعين وميه

وعمره اربع وعشرين سنه وكانت مدته سنه واربعة اشهر
وقبل دفنها وقبر ببغداد

ثم دولة الرشيد

ابي جعفر هرون بن محمد المهدي وهو الذي لم يستنقص ذكر احد
من الخلفا مثله ولا شاع نظيره حتى ان العامه تنسب اليه كل
حكايه تحكى عن الخلفا الامويين والعباسيين وتنحل له ما فعله غيره
وتحمل له ما لا فعله هو ولا احد سواه وما ذاك الا لكثرة محاسن
ايامه ومن كان فيها من افاضل الناس كالبرامكه في الكرما وملك
والشافعي واحمد ونظرايهم في العلما وغير هولاء مما لا يسع هذا الموضع
استقصاوهم ولا يدع عددهم الجم ان يمكن احصاوهم من اعيان
الكبرا وحذاق الشعرا والمجودين في الغنا والمجدين من اهل الجد
والغنا وكانت ايام دولته مجمع الافاضل ومطلع نجم كل فاضل وكان اول
من سن الجوايز عوايد الكرم وقسم للخير زمانه ووسم في غرر
الدهر احسانه كان لا يزال في حج او جهاد ولا يزل عن ذرى مطيه
او جواد قد ضرب بسهم في كل فضيله وقسم من كل جميله وقد ذكر
ابن عبدوس ان الكلف كانت قليله في ايامه فانه ما زاد المقررات
كبير زياده على ما كان الا انه كان يهب هبات لا ينهض بها غيره
فاذا اعطى استوسلت البحار واستبسلت بجزها الامطار ووسع

عقود المنن ونسع برود دولته بمحاسن السنن واثاره في غزو
بلاد الروم ظاهره واخباره فيها لوامع في ايامه الزاهره
وكذلك لم يخل الترك من غزوات سلت في وجوههم السيف وسلطت عليهم
حتى الطيف الا ان قضية البرامكه جرحت القلوب ونفرتها وقرحت
العيون واسهرتها ثم ندم عليهم ندما اكل عليه يديه وقرع سنه مما
جرى بسببهم عليه على ان الندم لا يرد به فايت ولا يصح به من هو في
القبور نايت وذكر ان الرشيد كان يصلي في كل يوم مايه ركعه الى ان
فارق الدنيا الا ان تعرض له عله وكان يتصدق من صلب ماله في كل
يوم بالف درهم بعد زكاتها وكان اذا حج حج معه من الفقها
وابنايهم فاذا لم يحج احج ثلثمايه رجل بالنفقه السابغه والكسوه
الظاهره وكان يقتفي اخلاق المنصور الا في بذل المال فانه لم ير
بر خليفه قبله كان اعطى منه للولي ثم المامون بعده وكان لا يضيع
عنده احسان محسن ولا يوخر ذلك في اول ما يجب ثواب وكان يحب
الشعرا ويميل الى اهل الادب والفقه ويكره المرا في الدين ويقول
هو شي لا نتيجة له وبالاولى ان لا يكون فيه ثواب وكان لا يحب الا المدح
ولا سيما من شاعر فصيح ويشتريه بالثمن الغالي الربح ودخل عليه
مروان بن ابي حفصة فانشده شعره الذي يقول ——— فيه

وشدت بهرون الثغور فاحكمت به من امور المسلمين المرابر •
وكل ملوك الروم اعطاه جزية على الرغم قسرا عن يد وهو صاغر •
لقد ترك الصفصاف هرون صفصفا كان لم يدبه من الناس حاضر •
بيوت بداه من قريش كرامها وكلتاهما بحر على الناس زاخر •
امور لميراث النبي وليتها وانت لها بالحزم طاو وناشر •
على ثني ساقي الحجيج سابغ اوابل من معروفكم واواخر •
فاصبحت قد ايقنت ان لست بالغا مدى شكر نعماكم واني لشاكر •
حصون بني العباس في كل مارق صدور العوالي والسيوف البواتر •
فطورا يهزون القواطع والقنا وطورا بايديهم تهز المخاصر •
باي عظام النفع والضر لا بني بهم للعطايا والمنايا بوادر •
ليهنكم الملك الذي اصبحت بكم اسرته مختاله والمنابر •
ابوك ولي المصطفى دون هاشم وان رغمت من حاسديك المناخر •
فاعطاه خمسة الاف دينار وكساه خلعه وامر له بعشرة من رقيق
الروم وحمله على فرس من خاص مراكبه وذكر انه كان مع الرشيد
ابن ابي مريم المدايني وكان مضحكا له محادثا فكها فكان لا يصبر عنه
ولا يمل محادثته وبواه منزلا في قصره فجاءت ليلة وهو نايم وقد طلع
وقام الرشيد الى الصلاة فالفاه نايما فكشف اللحاف عن ظهره وقال

كيف

كيف اصبحت قال يا هذا ما اصبحت بعد اذهب الى عملك قال ويلك قم الى
الصلاة قال هذا وقت صلاة ابي الجارود وانا من اصحاب ابي يوسف
القاضي فمضى وتركه نايما وتاهب الرشيد للصلاة فجاءه غلامه
فقال امير المومنين قد قام الى الصلاة فقام والقى عليه ثيابه ومضى
نحوه فاذا الرشيد يقرا في صلاة الصبح فانتهى اليه وهو يقرا وما لي لا
اعبد الذي فطرني واليه ترجعون فقال ابن ابي مريم لا ادري والله وقد
ملكك الدنيا كلها فما تمالك الرشيد ان ضحك في صلاته ثم التفت اليه
وهو كالمغضب وقال يا ابن ابي مريم في الصلاة ايضا قال يا هذا وما صنعت
قال قطعت علي صلاتي قال والله ما فعلت وانما سمعت منك كلاما غمني
حين قلت وما لي لا اعبد الذي فطرني وقد ملكك الدنيا كلها فقلت لا ادري
والله فضحك الرشيد ثم قال له اياك والقران والدين ولك ما شئت
بعدها وذكر زيد بن علي الحسيني ان الرشيد اراد ان يشرب دوا فقال
له ابن ابي مريم هل لك ان تجعلني حاجبك اذا احدث الدوا وكل شي اكسبه
بيني وبينك فقال افعل وبكر ابن ابي مريم ووضع له الكرسي واخذ الرشيد
الدوا فجا رسول الله ام جعفر يسل عنه فاوصله اليه وتعرف حاله وانصرف
بالجواب وقال اعلم السيدة بما فعلت في الاذن لك قبل الناس فاعلمها فبعثت
اليه بمال كثير ثم جا رسول يحيى بن خالد ففعل به مثل ذلك ثم جا رسول جعفر

وا لفضل نفعل كذلك فبعث اليه كل واحد من البرامكة بصلة جزيلة
ثم جاء رسول الفضل بن الربيع فرده وجاءت رسل القواد الحطما
فما سهل اذن احد منهم الا بصلة جزيلة فما صلى العصر حتى صار اليه ستون
الف دينار فلما اتى الرشيد فقال له ما صنعت في يومك هذا قال يا سيدي
كسبت ستين الف دينار فقال ابن حاصلي قال معزول قال كلا فقد وهبته
لك ولكن اهدي لي عشرة الاف تفاحة وذكر مصعب بن عبد الله الزهري
عن ابيه ان الرشيد قال له ما تقول في الذين طعنوا على عثمان قال قلت يا امير
المومنين طعن عليه ناس وكان معه ناس فاما الذين طعنوا عليه فتفرقوا
عنه واما الذين كانوا معه فهم اهل الجماعة الي اليوم فقال لي ما احتاج
ان اسل بعد اليوم عن هذا وذكر عنه قال سالني الرشيد كيف كانت
منزلة ابي بكر وعمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت كانت
منزلتهما منه في حياته منزلتهما في مماته فقال كفيتني فيما احتاج
اليه وسال ملك بن انس عن هذا ايضا فقال له مثل هذا القول
فقال له شفيتني يا ملك شفيتني يا مالك وذكر الليث بن عبد العزيز
الجورجاني عن بعض الحجبة ان الرشيد دخل الكعبة وقام على اصابعه
وقال اللهم يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمير الصامتين فان لكل
مسئلة منك ردا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك علم محيط

ناطق

ناطق بمواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة
صلي علي محمد وعلي ال محمد واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا يا من لا
تضره الذنوب ولا تخفى عليه العيوب ولا تنقصه مغفرة الخطايا
يا من كبس الارض علي الما وسد الهوا بالسما واختار لنفسه الاسما
الحسنى صلي علي محمد وعلى ال محمد وخر لي في جميع اموري يا من خشعت
له الاصوات بانواع اللغات يسلونك الحاجات ان من حاجتي عندك
ان تغفر لي اذا توفيتني وصرت في لحدي وتفرق عني اهلي وولدي
اللهم لك الحمد حمدا يفضل كل حمد كفضلك على جميع الخلق اللهم صلي
على محمد صلاة تكون له جزا واجزه عنا الجزا الاوفي اللهم احيينا
سعدا وتوفنا شهدا واجعلنا سعدا مرزوقين ولا تجعلنا
اشقيا محرومين وكان يقول والله اني لاعرف في عبد الله يعني
المامون حزم المنصور ونسك المهدي وعزة نفس الهادي ولو
شئت انسبه الي الرابع لفعلت يعني نفسه وفي ذلك يقول

لقد بان وجه الراي لي غير انني غلبت على الامر الذي كان احزما

وكيف يرد الدر في الضرع بعد ما توزع حتى صار نهبا مقسما

اخاف التوا الامر بعد استوائه وان ينقض الحبل الذي كان ابرما

واصطبح الرشيد قرب رمضان وقد قرب ان يرسي به زورق هلاله وان

فكتب الى جعفر بن يحيى

سل عن الصوم يا ابن يحيى تجده راحلا نحونا من النهروان

واننا نصطبح ونله جميعا لثلاث بقين من شعبان

فاجابه في رقعة كتبها ثم ركب اليه واستصحبه فلما قراها الرشيد استطار قلبه واستبشر بها ساعة قربه وكان فيها

ان يوما كنت فيه الى عبدك يوم يسود كل زمان

فاغتبق واصطبح فقد صانني الله اذا صنتني من الحدثان

وكان الرشيد بعد هذا يقول لما قتله تلك القتلة التي شوه بها الجود وشبه بها دمه المطلول بسلاف العنقود والله ما صانه بي من الحدثان بل كمنت له كمون الافعوان في اصول الريحان فلما تعرض للسمر قابله بالسمر وسياتي ذكر جعفر في موضعه وكان الرشيد قد حبس ابا العتاهية وجعل عليه عينا ياتيه بما يقول فاخبره يوما انه كتب على الحائط

اما والله ان الظلم لوم وما زال المسيء هو الظلوم

الى ديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

فاستحضره الرشيد واستحله واعطاه الف دينار ثم امر بمجلس فزخرف وبالطعام فاحضر واحضر ابا العتاهية فقال له صف ما نحن فيه

من

من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور

فقال ثم ماذا فقال

واذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث اليك امير المؤمنين لتسره فاحزنته فقال يا فضل دعه فانه رآنا في عمى فكره ان يزيدنا وعن القاضي ابي يوسف قال بينا انا البارحة قد اويت الى فراشي فاذا هرثمة بن اعين يدق الباب دقا شديدا فكلمته فقال اجب امير المؤمنين فسألته الامهال الى غد فقال ما الى هذا سبيل فاغتسلت وتحنطت ثم صرنا الى الرشيد واذا بعيسى بن جعفر بن المنصور على يمينه فسلمت فرد السلام ثم قال اظننا روعناك قلت اي والله وكذلك من خلفي قال اجلس فجلست حتى سكن روعي ثم التفت الي فقال اتدري لم دعوتك فقلت لا قال دعوتك لاشهدك على هذا اني سالته جارية عنده ان يهبها لي فامتنع وسالته ان يبيعها فابى ووالله لئن لم يفعل لاقتلنه فالتفت الى عيسى وقلت وما يمنع بجارية يبيعها امير المؤمنين فقال عجلت

علي قبل ان تعرف ما عندي قلت فما الذي عندك قال ان علي يمينا بالطلاق
والعتاق وصدقة ما املك لا ابيع هذه الجارية ولا اهبها فقلت له تهب
له نصفها وتبيعه نصفها فيكون لم تبع ولم تهب فقال اشهدك اني وهبته
نصفها وبعته نصفها بمائة الف دينار ثم اتي بالجارية واخذ المال
فقال الرشيد بقيت واحدة فقلت ما هي يا امير المومنين قال انها مملوكة
ولابد لها من الاستبرا ووالله ان لم ابت معها ليلتي اني اظن ان نفسي
ستخرج قلت يا امير المومنين تعتقها وتتزوجها فان الحرة لا تستبرا
قال قد اعتقتها فمن يزوجنيها قلت انا قال فافعل فدعا بمسرور وحسين
الخادمين فخطبت فحمدت الله ثم زوجته بها علي عشرين الف دينار
ودفع اليها المال ثم قال لي انصرف الان وامر لي بمائتي الف وعشرين تختا
ثيابا فحمل ذلك معي فالتفت الى هرثمة وقال فاين حقي فقلت خذ العشر
ثم اذا العجوز قد دخلت فقال يا ابا يوسف ان ابنتك تقريك السلام وتقول
لك ما وصل الي في ليلتي هذه من امير المومنين الا المهر وقد حملت
اليك النصف وتركت الباقي لما احتاج اليه فقلت رديه فوالله لا قبلته
اخرجتها من الرق وزوجتها امير المومنين وترضى لي بهذا فلم يزل بي
الجماعة حتى قبلت وامرت لهرثمة منها بالف دينار اخرى وذكر محمد
بن علي عن ابيه قال دخلت علي الرشيد في دار عون العبادي فاذا هو

في هيئة الصيف في بيت مكشوف وليس فيه فرش وعليه غلالة
رقيقة وازار عريض الاعلام وكان لا يجلس في بيت الخيش لانه كان يوذيه
افراط الهوا ولكنه كان يجلس ظاهره فيا ليته برد الخيش وكان يقال
من فضته يعمل فيه الطيب والزعفران والافاويه وما الورد ثم يدخل
الي بيت مقيله ويدخل معه سبع غلايل قصب سدية تقطع النسا ثم يغمس
الغلاله في ذلك الطيب ويوتي في كل يوم بسبع جوار فيخلع عن الجارية
ثيابها ثم يخلع عنها غلالة وتجلس علي كرسي منقب فترسل الغلالة علي
الكرسي فتحلله من تحت الكرسي بالعود المدرج في العنبر ابدا حتي تجف
القميص عليها يفعل ذلك بهن ويغلق البيت فيعبق بالبخور والطيب وذكر
بعضهم انهم كانوا مع الرشيد بالرقة فخرج يوما الى الصيد فعرض له رجل
من النساك فقال يا هرون اتق الله فقال لابن نهيك خذ هذا اليك
حتي انصرف فلما رجع هرون امر ان يطعم الرجل من خاص طعامه فلما اكل
وشرب دعا به فقال يا هذا انصفني في المخاطبة والمسالة قال قل
ما تحب قال فاخبرني ايما اشر وأخبث انا ام فرعون قال بل فرعون
قال انا ربكم الاعلي وما علمت لكم من اله غيري قال صدقت قال فاخبرني
فمن خير انت ام موسى بن عمران قال موسى كليم الله وصفيه اصطنعه لنفسه
وايتمنه علي وحيه وكلمه من خلقه قال صدقت اما تعلم انه لما بعثه الله

واخاه الى فرعون قال لهما تقولا له قولا لينا وهذا في عتوه
وجبروته على ما قد علمت وانت جئتني وانا بهذه الحال التي تعلم اودي
فرايض الله ولا اعبد سواه اقف عند اكثر حدوده فوعظتني باغلظ
الالفاظ واشنعها واخشن الكلام وافظعه فلا باداب الله تادبت
ولا باخلاق الصالحين اخذت فما كان يومنك ان اسطو اليك فاذا انت
قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنيا فقال الزاهد اخطات يا امير
المومنين وانا استغفر الله قال قد غفر الله لك وامر له بعشرين الف درهم
فقال لا حاجة لي في المال فزجره هرثمة فقال له الرشيد امسك
عنه ثم قال له لم نعطك المال لحاجتك اليه ولكن من عادتنا الا نخاطب
الخليفة احد الا وصله فاقبل من صلتنا ما شئت فضعها حيث احببت
فاخذ من المال الفي درهم وفرقها على من حضر وذكر بن بختيشوع
قال كنت مع الرشيد بالرقة وكنت اول من يدخل عليه فاتعرف خبره
في ليلته ثم ينبسط يحدثني بخبر جواريه ومجلسه وشربه ثم يسألني
عن اخبار العامة واحوالها فدخلت عليه في غداة يوم فرايته عابسا
مفكرا مغموما فوقفت بين يديه مليا وهو على تلك الحال فلما طال ذلك
اقدمت عليه فقلت يا سيدي جعلني الله فداك ما حالك هكذا فاخبرني
بها فلعله يكون عندي دواءه فقال ويحك يا جبريل ليس غمي وفكري لشي

بما

بما ذكرت لكن لرؤيا رايتها في ليلتي هذه قد افزعتني وملات صدري
واقرحت قلبي فقلت فرجت عني يا امير المومنين قد نوت فقبلت رجله وقلت
اهذا الغم كله لرؤيا والرؤيا انما تكون من خاطر او من بخارات رديه
من تهاويل السودا وانما هي اضغاث احلام بعد هذا كله فقال انا
اقصها عليك رايت كاني جالس على سريري اذ بدت من تحتي ذراع عرفها
وكف اعرفها لا افهم اسم صاحبها وفي الكف تربة حمرا فقال لي قايل اسمعه
ولا ارى شخصه هذه التربة التي تدفن فيها فقلت واين هذه التربة فقال
بطوس وغابت اليد وانقطع الكلام فقلت يا سيدي احسبك لما اخذت مضجعك
تفكرت في خراسان وما ورد عليك من انتقاضها قال قد كان ذلك قال فقلت
فلذلك رايت هذه الرؤيا وما برحت اطيب نفسه بضروب من الحيل حتى سلا
وانبسط وامر باعداد ما يشتهيه ذلك اليوم في لهو ومرت الايام فنسي ونسينا
تلك الرؤيا فما خطرت لاحد منا ببال ثم قدر مسيره الى خراسان حين تحرك
رافع فخرج فلما صار في بعض الطريق ابتدات به العلة فلم تزل تزيد حتى
دخلنا طوس فنزل في منزل الحميد بن عبد الحميد في ضيعة له تعرف بسناباذ فبينا
هو يمرض في البستان في ذلك القصر اذ ذكر تلك الرؤيا ووثب متحاملا
يقوم ويسقط فاجتمعنا اليه كل يقول له يا سيدي ما حالك وما دهاك
فقال يا جبريل تذكر رؤياك بالرقة في طوس ثم رفع راسه الى مسرور

فقال حسبي من تربة هذه الارض فجاءه بها في كفه حاسرا عن ذراعيه فلما نظر اليه قال هذه والله الذراع التي اريتها في منامي وهذه والله الكف بعينها وهذه والله التربة الحمرا ما اخرمت شيا واقبل على البكا والنحيب ثم مات بعد ثالثة ودفن في ذلك البستان وذكر علي الربعي عن ابيه قال لما وصل الرشيد الى طوس قال احفروا لي قبرا قبل ان اموت فحفر له فقال احملوني فحملته في قبة اقود به حتى اذا نظر اليه قال يا ابن ادم تصير الى هذا قالوا ولما فرغ من حفر القبر انزل فيه قوما فقروا فيه القران حتى ختموا وهو في محفة على شفير القبر قال الطبري ومات هرون وفي بيت المال تسعمائة الف الف ونيف وقال ابو الشيص يرثي الرشيد

غربت في الشرق شمس فلها العينان تدمع
ما راينا قط شمسا غربت من حيث تطلع

وقال ابو نواس

جرت جوار بالسعد والنحس فنحن في ماتم وفي عرس
القلب يبكي والسن ضاحكة فنحن في وحشة وفي انس
يضحكنا القائم الامين ويبكينا وفاة الرشيد بالامس
بدران بدر اضحى ببغداد وبدر بطوس في الرمس

ومولده سنة خمسين ومائة وتوفي سنة ثلث وتسعين ومائة وعمره اربع

واربعون

وبها
مسالك الابصار

واربعون سنة ومدته اثنتان وعشرون سنة واربعة اشهر وقبر بقرية سناباد من طوس **ثم دولة الامين** ابي موسى محمد بن هرون الرشيد وما قدمه ابوه الا لارضاء امه ام جعفر وخولته على انه تكلف اخاه حمل مؤنته وكان من ذكي القوم واولى اهل بيته باللوم لا يبتذل رايه من عثراته ولا يحرم حقه لمقبل عثراته فانهمك في اللذات وانتهك حرمة الملك واللذات وحفر لاخيه المامون قليبا وقع فيه قريبا وكان ذا ايد وقوة حكي انه وثب على اسد فصرعه وقرب مصرعه ولكنه لم يويد بحزم يحوط به تدبيره ويحول بينه وبين ما قضى تدميره ولكن الله اذا اراد امرا بلغه ومن قصد اخاه بسوء دمر الله عليه ودمغه وكان كريما يهب البدر بالمئين ولا يسمح بان يمد الى ما بيد ثم يمين وكان يبخل بالطعام وكان عنده رغيف الخبز كرغيف الاسد لا يطاق مهاجمته ولا يستطاع ان تقتحم اجمته وقال علي بن اسحق لما افضت الخلافة الى الامين وهدا الناس اصبح صبيحة السبت بعد بيعته بيوم فامر ببنا ميدان حول قصر ابي جعفر في المدينة للصوالجة واللعب وامر جواريه بان يهدين اليه غزلان تسيب فيه فاهدت له فقال شاعر من اهل بغداد

بنى امين الله ميدانا وصير الساحة بستانا
وامر الغزلان فيه بان يهدي اليه فيه غزلانا

وذكر محمد بن يحيى البنبسابوري قال لما جاء نعي علي بن عيسى وقتله الى
محمد الامين وكان في وقته ذلك على الشط يصيد السمك فقال للذي اخبره
ويلك دعني فان كوثرا قد اصاب سمكتين وانا ما صدت شيا بعد
وذكر ان احمد بن مزيد لما اراد الشخوص للقا جيش المامون دخل على
الامين فقال ليوصني امير المومنين قال اوصيك بخصال عدة اياك والبغي
فانه عقال النصر ولا يقدم رحلا الا بالاستخارة ولا تشهر سيفا
الا بعد انذار ومهما قدرت عليه باللين فلا تتعده الى الشدة واحسن
صحابة من معك من الجند وطالعني باخبارك في كل يوم ولا تخاطر
بنفسك طلب الزلفة عندي ولا تسقها فيما يتخوف رجوعه علي وكن
لمن يعد لك اخا ولا تجد له ان استنصرك ولا تبط عليه ان استنصرتك
ولتكن ايديكما واحدة وكلمتكما متفقة ثم قال سل حوايجك وعجل
السراج الى عدوك فدعا له احمد بن مزيد وقال يا امير المومنين كثر لي الدعا
ولا تقبل في قول باغ ولا ترفضني قبل المعرفة بذنبي ولا تعصي على ما
استجمع من راي ومنّ علي بالصفح عن ابن اخي عبد الله بن حميد وكان قد
امر الامين بالخروج فتشرط فحبسه وكان ابو نواس قد اعتقله
الرشيد على كلمة قالها تعرض فيها الى النفض بقريش فلما ولي الامين
وكانت لابي نواس به ذمة وقديمة فقال

بذكر

بذكر امين الله والعهد يذكر مقامي وانشاديك والناس حضّر
ونثري عليك الدر يا در هاشم فيا من راي درًّا على الدر ينثر
ابوك الذي لم يملك الناس مثله وعمك موسى عدله متخيّر
وجدك مهدي الهدى وشقيقه ابو امك الادني ابو الفضل جعفر
وما مثل منصوريك منصور هاشم ومنصور قحطان اذا عد مفخر
فمن ذا الذي يرمي بسهميك في العلى وعبد مناف والداك وحمير
فغنت جارية بهذه الابيات بين يدي الامين فقال لمن هذه الابيات
فقيل له لابي نواس قال وما فعل فقيل له محبوس قال ليس عليه باس
قال فبعث اليه رجل من المجلس يعلمه بما قال فقال

ارقت وطار عن عيني النعاس ونام الساهرون ولم يواسوا
امين الله قد ملكت ملكا عليك من التقى فيه لباس
كان الخلق في تمثال روح له جسد وانت عليه راس
امين الله ان السجن باس وقد ارسلت ليس عليك باس
فلما انشدت له قال صدق والله علي به فجي به في الليل فكسرت
اقياده واخرج حتى ادخل عليه فانشده

مرحبا مرحبا بخير امام صيغ من جوهر الخلافة نحتا
يا شبيه المهدي بدلا وجودًا وشبيه المنصور هديًا وسمتًا

ثم كان في صحبته حتى اخذ من السفينة واودع احشا الارض منه
الدفين وذكر عمر بن شبه ان احمد بن محمد الهاشمي حدثه ان لبانه
بنت علي بن المهدي قالت حين قتل الامين وكانت تحته ولم يكن دخل
بها ولا ضمها فراش خطي فيه بقربها وضعت له سجوف بيتها

• ابكيك لا للنعيم والعرس بل للمعالي والرمح والفرس •
• ابكي على هالك فجعت به او ملني قبل ليلة العرس •

وذلك في شهر شوال سنه احدى وسبعين ومية وتوفي في المحرم سنه
ثمان وتسعين ومية وعمره سبع وعشرون سنه ومدته اربع
سنين وتسعه اشهر وقبره ببغداد

ثم دولة المأمون

ابي العباس عبد الله بن هرون الرشيد هو اجمع القوم لفضل متنوع
من العلم والحلم والكرم والشجاعة والوفا والنظم والنثر والاداب
اماما مقدما في كل هذه الفضايل ومعظما في علوم المتاخرين والاوايل
مع ما طبعه الله عليه من كرم الاخلاق وخصه به من تمام السعادة
ومضاء المهابة لا بعدله في القوم نظير فيما جمع من المناقب
الثاقبة والخلايق الجميلة اربى علمه على اليونان وحلمه على سهلان
وكرمه على ابن مامة وشجاعته على فارس النعامة ووفاه على
السموال وشعره على جرول ونثره على سحبان واداته على ملوك ساسان

وشعره

وشعره على جرول وقد صفح عن عمه ابرهيم بن المهدي وقد واسه
في خطواته واسر الخلافة من لهواته ولما ظفر به تغمد بحلمه وتمم
بالعفو على علمه وعمل في هذا ما لم يسمع مثله قبله ولا بعده وخلد له
ذكرا لا يبلي لديباجته جده وكذلك عامل ام جعفر باكرام برد حرارة
حزنها وخفف حرارة شجنها حتى سل سخيمة صدرها وحل عقدة
الحزن عن فكرها والهاها بره لها عن ابنها ونهاها نهي حلمه عن تسويش
الدموع في جفنها فاسلاها مصاب ولدها وانساها ذهاب قطعة
من كبدها فاخذها في امره بالمغالطة واستدرك لها بالمجالسة
محنته الفارطة فتسلت به سلوة الحزين وتعوضت ببقا المامون
عن الامين فعادت مقلتها هجوع الكرى وقالت وي ايحي بالمبت الذي
غيب في الثرى وسارت سيرة وصارت لا يميل منها مطالعها ولا تخل
بانه كلما فارقها نطقه يراجعها بصبح حيث امسى في سطورها المحبرة
وصدورها المجوهرة وبرود منها روضة ادبية يتحير فيها من مشارق
القضيب حتى الانوار وتحير بها لولو الطل في حدق النوار وعهد الى
علي الرضى واصارها علوية ثم عاجله الموت وما كان في سعادة الناس
تمام تلك القضية الا انه ابلى الناس بالمحنة في القول بخلق القران ولم يظهر
منها اثباته ولها فزو ولا اقران وذلك عن نظر نظره ورأي بنيه على نفسه

خطره ومن اخباره انه لما خرج من خراسان سعه حميد الطوسي فسار معه فراسخ فالتفت اليه المامون وقال ارجع يا غانم

عجبا لقلب متيم احبابه ساروا وخلف كيف لا يتضرع •

ارجع بحسبك ما تبعت ركابنا ان المتيم لا محالة يرجع •

وشكي اليزيدي الى المامون دينا لحقه فقال له ما عندنا في هذه الايام ما ان اعطيناكه بلغت ما تريد فقال يا امير المومنين ان غرمائي قد ارهقوني قال انظر لنفسك امرا تنال به نفعا قال يا امير المومنين ان لك ندماء فيهم من ان حركته نلت به نفعا قال افعل قال اذا احضروا اليك مر فلانا الخادم يوصل اليك رقعتي فاذا قرأتها فارسل الى دخولك في هذا الوقت متعذر ولكن اختر لنفسك من احببت قال افعل فلما علم اليزيدي بجلوس المامون مع ندمايه بعث اليه مع خادم رقعة فيها ~~باخير اخواني واصحابي~~

• باخير اخواني واصحابي هذا الطفيلي على الباب •

• فصيروني واحدا منكم او فاخرجوا الى بعض اترابي •

فقراها المامون عليهم فقالوا ما ينبغي يدخل علينا على هذه الحال فارسل اليه المامون دخولك متعذر فاختر لنفسك من احببت فقال ما اريد الا عبد الله بن طاهر فقال له المامون قد اختارك

فقص

فقص اليه فقال يا امير المومنين اكون شريك الطفيلي فقال المامون ما يمكنني رد ابي محمد عن امرين فان احببت ان تخرج اليه والا فافد نفسك منه فقال على عشرة الاف درهم قال لا يقنعه فما زال يزيد عشرة والمامون يقول لا يقنعه حتى بلغ ماية الف فقال له المامون عجلها فكتب بها الى وكيله ووجه معه رسولا وارسل اليه المامون اقبض هذه الدراهم في هذه الساعة فهي اصلح لك من منادمته وانفع لك وعن محمد ابن عمر الواقدي قال اوصلت الى المامون رقعة اشكو فيها الدين فوقع عليها فيك خلتان الحيا والسخا فاما السخا فهو الذي اخرج ما في يديك واما الحيا فهو الذي اخرج ما في يديك وقطعك عن اطلاعنا على حالك وقد امرت لك بماية الف درهم فان كانت فيها بلغة فذاك وان يكن غير ذلك فهذه ثمن ما جنيت على نفسك فانت حدثتني وانت قاض للرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس بن ملك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مفاتيح الرزق متوجهه نحو العرش فينزل الله تعالى على الناس ارزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل له قال الواقدي وكنت قد انسيت هذا الحديث حتى حدثني به المامون فكان احظي عندي من الصلة والف سهل بن هرون كتابا يمدح فيه البخل ويذم الكرم

ليظهر قدرته على البلاغة ورضع درنه في لطف الصياغة ثم قدمه
الى المامون على يد الحسن بن سهل فوقع عليه لقد مدحت ما ذمه الله وحسنت
ما قبح وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك وقد جعلنا نوالك عليه
قبول قولك فيه وقال ابن ظفر وبلغني ان الرشيد امر جماعة من العلما
بمباسطة المامون وهو غلام ليقتبس من ادابهم وعلومهم فبات عنده
ليلة الحسن بن زياد اللولوي فبينا هو يحادثه نعس المامون فقال
له اللولوي نمت ايها الامير فاستيقظ وقال سوقي ورب الكعبة يا غلام
خذ بيده واخرجه فبلغ ذلك الرشيد فاعجبه وقال متمثلا

• وهل ينبت الخطي الا وشيجه وتغرس الا في منابتها النخل •

قال محمد انما فعل ذلك المامون لسوء ادب اللولوي ووجه
الادب مع الرئيس اذا نام ان يتنحى عنه جلساؤه فيكونوا بموضع
بقرب منه قلت ومما اجمع به على فضل المامون انه ادخل عليه
رجل من الخوارج فقال له المامون ما حملك على خلافنا قال اية
من كتاب الله قال وما هي قال قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الكافرون فقال له المامون فكما رضيت باجماعهم
في التنزيل فارض باجماعهم في التاويل قال صدقت السلام عليك
يا امير المومنين قال ابن ظفر وقيل ان الكسائي كان لا يفتح على ولد

الرشيد

الرشيد اذا غلطوا انما كان ينكس طرفه فاذا غلط احدهم نظر اليه
وربما ضرب الارض بخيزرانة في يده فان سدد القاري للصواب
مضى والا نظر في المصحف فاستفتح المامون عليه يوما سورة الصف
فلما قرا يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون نظر اليه الكسائي
وتامل المامون فاذا هو مصيب فمضى في قراءته ولما انقلب الى
الرشيد قال يا امير المومنين ان كنت وعدت الكسائي وعدا فانه
يستنجزه فقال انه كان استوصلني للقرا فوعدته فهذا هو الذي
قال لك فقال المامون انه لم يقل لي شيا واخبره بالامر فتمثل
الرشيد بقول القائل في ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام

• ورثت ابا بكر اباك سماحه وسيرته في ثابت وشمائله •
• وانت امرؤ ترجا بخير وانما لكل امرئ ما اورثته اوائله •

وقيل ان الرشيد ناظر يحيى بن خالد فيمن يعهد اليه من ولده
اولا وعلم يحيى ميله الى زبيدة ام الامين وانه يؤثر هواها
فخطب في حملها فاحضر الرشيد الامين والمامون وهما صبيان
فاغرى بينهما فاسرع الامين الى المامون فنال منه وكان
احلمهما ثم انه امرهما ان يتصارعا فوثب الامين ولزم المامون
مكانه فقال له الرشيد ما لك لا تقوم يا عبد الله اخفت ابن الهاشمية

اما انه ابن فقال المامون هو على ما ذكره امير المومنين
ولكني لم اخفه وانما قبض يدي عنه ما قبض لساني حين استعفني
فقال له الرشيد فما الذي قبض يدك ولسانك عنه قال قول
الاموي لبنيه يوصيهم

انقوا الضغائن بينكم وتواصلوا عند الاباعد والحضور الشهد
بصلاح ذات البين طول بقائكم ودماركم بتقاطع وتفرد
فلمثل ريب الدهر الف بينكم بتعاطف وتراحم وتودد
حتى تلين جلودكم وقلوبكم لمسود منكم وغير مسود
ان القداح اذا جمعن فرامها بالكسر ذو حنق وبطش ايد
عزت فلم تكسر وان هي بددت فالوهن والتكسير للمتبدد

فرق الرشيد رقة شديدة واعز ورقت عيناه بالدموع فكفكفها
ثم اقبل على الامين فقال يا محمد انت صانع ان صرف الله اليك امر
هذه الامة فقال اكون مهتديا بها يا امير المومنين فقال الرشيد
ان تفعل فاهل ذاك انت ثم اقبل علي المامون فقال يا عبد الله
ما انت صانع ان صرف الله اليك امر هذه الامة فابتدرت دموع
المامون وفطن الرشيد لما ابكاه ولم يملك عينه فارسلهما وبكى
يحيى فلما قضوا من البكا اربا عاد الرشيد لمسالة المامون فقال

اعفني

اعفني يا امير المومنين قال الرشيد عزمت عليك ان تقول فقال
ان قدر الله ذلك جعلت الحزن شعارا والحزم دثارا واتخذت
سيرة امير المومنين مشعرا لا استحل حرماته وكتابا لا تبدل
كلماته فاشار الرشيد الى الامين والمامون بالانصراف فذهبا
ثم اقبل على يحيى وانشده بيت صخر بن عمرو

اهم بامر الحزم لو استطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

فقال له يحيى قد هيا الله لامير المومنين من امره رشدا ولما تخلى
بمكارم الاخلاق وفضل الملوك على الاطلاق واستدعى الدهاقين
وسالهم عن سيرة كسرى في رعيته ليأخذوا باحسنها فلما وصف
له عدله في القضايا ورفقه في الرعايا احب ان يراه فلسف عن دبه
كسرى وفتح تابوته ورأى صورته بما بها ما بلي والثياب بحدتها
ما اخلقت والخاتم في اصبعه وفصه من ياقوت احمر كثير الثمن لم
ير المامون فيما راى مثله فامر المامون ان يعطى بثوب نسج من الذهب
وكان مع المامون خادم فاخذ الخاتم من اصبع كسرى ولم يشعر
به المامون فلما علم به غضب وامر باهلاكه واعاد الخاتم الى اصبعه
وقال كاد العبد يفضحني حتى يقال كان المامون نباش القبور فتح قبر
كسرى واخذ خاتمه من اصبعه وكان يحيى في لعب الشطرنج وكان

يقول هو فكري يشحذ الذهن ولم يكن فيه حاذقا وكان
يقول اذ يرام الدنيا فاتسع فيه واضيق في تدبير شبر بن
في شبر بن وفيه يقول

ارض مربعة حمراء من ادم ما بين الفين محصوصين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها مثلا من غير ان يأثما فيها بسفك دم

وحكي انه سها وهو بارض الروم اذ نشأت غمامة فهمى ودقها
وهم بان يهتك سجوف الظلام بوقها وهم بان يهتك سجوف الظلام بوقتها
وقد الى لا اسكن روعه كانه حشاها بم ولا تقطع نوه كانه دراع عابم
في ليلة طالت وصبحها لا يكفر وصد بعها كانه فارس عليه مغفر لا ينام
برقها الساهر ولا ينال حتى من عها الزاهر كان فيها المتراكمة
احابيش في ايديهم الاسل الزرق وكان برق فيها بين حطمت بها ابلق
ورق فقال ليله لبس ثوب ثوبها ولظي بارقها ملتهب خلتها صاغت
لها من عسر بحمرا يوقد فيه الذهب وأما خبر خروج عمه ابرهيم
بن المهدي عليه فكان سببه ان المامون لما اراد ان يصرف الخلافة
الى علي بن موسى الرضي وبدل السواد بالخضرة نقم عليه بنو ابيه
فلما كان بخراسان خلع اهل بغداد طاعته وبايعوا بن المهدي ولقبوه
المبارك فلما تمهد له الامر اساء الى الجند ومنعهم ارزاقهم فاضطربوا

عليه

عليه وخلعوه يوم الجمعة سنة ثلث ومائتين وكانت مدته
نحو سنة واختفى وبلغ المامون الخبر فاتى بغداد فدخلها يوم
السبت سادس عشر صفر سنة اربع ومائتين ولم يزل ابن
المهدي مختفيا الى ان خرج مستقيا على هيئة امراة بين امراتين
ليلة السابع عشر من ربيع الاخر سنة عشر ومائتين فاخذه
الحرس على انهم عواهر فاعطاهم خاتما من ذهب فصه ياقوت يساوي
مالا عظيما فانكروا ذلك وحملوه الى صاحب الشرطة فعرفه وحمله الى
المامون فامر به فجعل في مكان فلما كان من الغد اخرج واظهر للناس
على ما امسكه عليه فقال له المامون هيه يا ابرهيم فقال يا امير المومنين
ان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى وقد جعلك الله
فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان عاقبت فبحقك وان
عفوت فبفضلك فقال له المامون بل نعفو يا ابرهيم فكبر ثم خر
ساجدا فلما رفع راسه انشده

يا خير من وخدت به سد نية بعد الرسول لآيس او طامع
متيقظا حذرا وما يخشى العدى نبهان من وسنان نعم الهاجع
ملئت قلوب الناس منك مخافة وتبيت تكلوهم بقلب خاشع
نفسي فداؤك ان تضيق معاذري والود منك بفضل حلم واسع

اما الفضلك والفضايل شيمه رفعت شاك بالمحل البارع
ببذلت افضل ما تضيق بذله وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع اليك شافع
الا العلو عن العقوبه بعد ما ظفرت يداك بمستكن خاضع
ورحمت اطفالا كافراخ القطا وعويل عانسه كقوس النازع
الله يعلم ما اقول فانها جهد الاليه من حنيف راكع
ما ان عصيتك والغواة تقود في اسبابها الا بنيه راجع
حتي اذا علقت حبايل شقوتي بردي الي حفر المنيه هاربع
لم ادر ان لمثل جرمي غافر فوقفت انظر اي حتف صارعي
رد الحيوة علي بعد ذهابها ورع الامام القادر المتواضع
من ولاك اطول مده ورمي عدوك في الوتين بقاطع
اسمام ما ادلي اليك بحجه الا التضرع من مقر خاضع
كم من يد لك لم تحدثني بها نفسي اذا ثابت الي مطامعي
اسديتها عفوا الي هنيه فشكرت مصنعها لاكرم صانع
ان الذي قسم الخلافه حازها في صلب ادم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع امرها وحوي رداوك كل خير جامع
فلما فرغ منها قال له لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين

ثم

ثم امر بالخلع فخلعت عليه وصرف عليه امواله وضياعه • فانشد
رددت مالي ولم تبخل علي به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
ثوب عنك وما كافانها بيدهما حباناك من موت ومن عدم
البر بي منك وطا العذر عندك لي فيما اتيت فلم تعدل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
تعفوا بعدل وتسطوا ان سطوت به فلا عدمناك من عاف ومنتقم
ثم شفعت فيه بوران فقربه ونادمه ولم يزل مكرما مبرورا الي اخر
عمره • وحكي عن ابن حمدون انه استدعاه في يوم قر كانما
حشو جوه ابر وفرش ارضه زبر بكرة نهار من الزمهرير مقرور
في وقف عليه ثوب الضباب مزرور • وستر السحاب مجرور وقد منع الما
من المس واسكن الجمر من اللمس • واهوى كل مسلم للسجد للشمس والبرق
في احرنات الليل كانه شرار من زناد القادح • او اسهم يكرع في حوض
السحاب الطافح • يبدو في اثر ذلك الغلس كضو القبس كانه بعض
سيوف الهند يبدو ويخفى كانه يقطع النار في طرف الزند ثم صار كلما
شعشع ضو النهار وترعرع طفل الصباح واثار يدن حتي صار
كانه نفس الحواسم او ضو نجم الا انه في عمر الليالي العوايم فقال
يوم من القرغان لا بد انه الا تذكر احباب واوطان •

• يجدد البرق المشتاق فيه هوًى حتى تخالط بيننا نيران •

وكان سبب موت المأمون انه كان على نهر البذندون مدليها ساقيه
في الماء قال ما رايت ابرد من هذا الماء ثم دلعه وقال ما اطيب
طعمه ثم التفت الى سعيد بن الصلاح قال اي شيء يصلح ان يوكل عليه فقال
امير المومنين اعلم فقال الرطب الآن اذ قال الى لبابه في بلاد الروم
فما تم كلامه حتى سمع لجم البريد فالتفت فراى على اعجازها حقائب
فيها الطاف ومنها رطب ازاد فحمد الله واكل هو ومن كان معه فما
قام احد ممن اكله الا محموما وكان ذلك اول علته ثم طرئت له
في رقبته نفخة كانت تعتاده فاخطأ الطبيب في فتحها قبل النضج فهلك
وحكي الصولي ان المعتصم قال للطبيب بن ماسويه ما اطرف
ما نحن فيه تكون الطبيب المنفرد في صناعتك وهذه تعتاد امير
المومنين ولا تحكم ولا تلطف في حسم مادتها والله لئن عادت لاضربن
عنقك فحدث بن ماسويه بعض من يثق به بقول المعتصم فقال قد امرك
بقتله حتى لا تعود النفخة اليه فبقا لك بن ماسويه وامر تلميذه بمشاهدة
النفخة والتردد الى المأمون نيابة عنه وصار التلميذ يطالع
ابن ماسويه بما يحدث من امر المأمون فامره بفتح النفخة فقال اعندك
بالله ما احمرت ولا بلغت الى حد الجرح فقال امض وافتحها كما اقول لك

ولا

ولا تراجعني ففتحها ومات المأمون ويقال انه لما خرج
في تلك الغزاة صاح في احد الليالي لغلام اسمه سقفر وقال
له ويلك من يغني قال ما يغني احد قال ثم تسمعت فلم اسمع حسا
فقلت ما اسمع حسا قال بلى والله انه كان يغني

• الم تعجب لمنزله ودور رحلت بين المشرق والحرور •

• كان بقية الآثار فيها بقايا الخط من قلم الزبور •

ثم اعتل في الليلة الثالثة وحكى بن المهدي قال رأيت في منامي
كان جارية من جواري الرشيد وفي يدها عود وهي على منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم تنشد

• سوف ياتي الرسول من بعد شهر ينعى الخليفة المأمون •

فقلت هذه مفسرة فجا نعيه بعد شهر وولد سنة سبعين ومئة
وتوفي سنة ثمان عشرة ومائتين وعمره ثمان واربعون سنة
وشهور ومدته عشرون سنة وستة اشهر ودفن على البذندون
بطرسوس من بلاد الروم **ثم دولة المعتصم بالله**
ابي اسحق محمد بن هرون عهد اليه اخوه المأمون وشهد باهليته
هو والمسلمون ونطقت السنة اسنته فما كذبت وصدقت مضارب
سيوفه فما نبت وكان فارسا شجاعا بطلا مناعا راميا محاربا

بصبر ابمواقع الحروب وترتيب الجيوش وقتل الاعدا وحملهم
من رماحه على النعوش وكان كابوسم اخوه محله عارضه الهنون
وحميله ارضيه الهدون واستكثر من الغلمان الاتراك واحل
كبراهم منه بمكان الاشتراك حتى حدث بعده منهم ما حدث
واحدثوا ما لو شعر به لقام لا بوار به حدث فانهم فعلوا ما كانوا
طيشه
دون قدره وقتلوا من بنيه من يلوث بدمه الصباح وهاطرا
على شفق نحره فاما في زمان المعتصم فانهم كانوا مع مزيد الاستطاعه
عبيد الطاعه الا ان منهم من قسا ووكل السيف في عقابه لما اسي
ويكفي المعتصم نوبه عموريه وما ظهر فيها من عزمته المصممه
وشكيمته المميمه وانه لما هتف باسمه تلك المراه من هتف اليها
طلايعه المميمه وقال لا يكشف الغما الا ابن حره وقاد اليها
عسكرا يشكى الشتا البارد حره فاتى عموريه وهو يرى غمرات
الموت ثم يزورها وقاسم اهلها سيوفه فكانت في عساكره غواشيها
وفيهم صدورها حتى يسر الله له فتحها وقدر له منحها ويقال انه
انتزى يوم شديد البرد من اثاره عليها اربعه الاف قوس
ورمى على كل قوس منها سهما وكان يوما يود بياض نهاره لو كان
لوقود النار فحما ولم يكن المعتصم يعاب الا باسه فيه وبانه

عمل

عمل في المحنه بوصيه اخيه فاخذ الناس بها واخذ من امتنع ودعاهم
اليهم بالسيف والسوط وجرى زمانه كله لا يبي على هذا السوط حتى
الزم بكلمتها وشوه وجوه ايامه البيض بظلمتها على انه لم يكن ذا
علم عمل به واتبعه وعلم انه الحق فشرعه الا انه سمع قولا ظنه
الصدق فابده وتلقى وصيته عن اخيه فعمل بها وقلده وسبل
احمد بن حنبل فابده الله بالقول الثابت وابتلاه بانواع البلا وهو
يموا جهته بالانكار لقوله متكلم لا ساكت وكان مغرى بالاستكثار
من الاتراك ما مات حتى كمل ثلثين الفا منهم وكان معطيا لهم موفرا
نصيبهم وحكى علي بن يحيى المنجم انه ما مات حتى نيف على
ثلثين الف من الغلمان الاتراك كان منهم عند موته سبعه عشر الف
مردا لم يختط شارب احد منهم ولا عارضه وانه امر قبل موته
بنحو شهر عنهم ان يقرا عليه ديوان اصطبلاته وكان خمسين الف
عليقه فرس وبرذون وبغل في كل يوم وتسعه الاف من الابل
قد رقت عيناه ثم قرا حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغته
فاذا هم مبلسون وهو اول من اضيف الى لقبه اسم الله تعالى واول
من لبس التاج من الخلفا وحكي انه انفرد عن اصحابه في يوم مطير
فبينا هو يسير اذ راى شيخا معه حمار عليه حمل شوك وقد توحل

الحمار ورفع الحمل وهو ينتظر من نفسه فنزل المعتصم عن دابته
وخلص الحمار ورفع الحمل عليه ثم لحقه اصحابه فامر لصاحب
الحمار باربعة الاف درهم • حكي انه اجلس مملوكه اشناس
الى جانبه على كرسي وتوجه بتاج من ذهب ووشحه بوشاحين
ذهب مرصعين بالجواهر وطوقه بطوق ذهب بجوهر بقطع
يواقيت اصغرها زنة عشرة مثاقيل وسوره بسوارين ذهب
وعقد له ثلثة الوية وحمله على فرس ادهم اغر من مراكب الخلافة
بسرج ثقيل ذهب مرصع بالجوهر واللولوء الثمين وقاد
خلفه سبعة افراس وعمل له موكبا يحمل بين يديه الرماح والعمد
والطبردنات والتراس والخزانة وغير ذلك من شعار الملوك
وخاطبه بملك الامرا وكذلك صنع ببابك الخرمي في التعظيم
العظيم والتكبير الكبير حتى اطلع على سوء معتقده فجعله
همه حتى اصاره الى ما صار واحله بعض ما يستحق دار البوار
وكان مفرط الشهامة شديد الصرامة محبا لمزاولة الحرب وفي
ذلك يقول ابن الزيات وزيره

شعر

قسم الزمان على الجهاد ولم يقم للوقت ينظره ويحسب بالبد •
لما حمى الروم الشآم رمى بها عرض الفجاج الى المغار الابعد •

ياوي

ياوي الى قطب الحروب اداسا ولصفحتين يصف تحت الفرقد
نعم الخليفة للرعية من اذا امنت وطاب لها الكرى لم يرقد
ولهذا كان يحب الادراك وبالفهم ويحب الاستكثار منهم وبيدا تباعد
من العلم والادب حتى كان يقال انه امي اي لا يحسن الخط
ولم يكن كذلك انما كان ضعيف الخط وعلى هذا فقد كتب بخطه
الى المامون في فتح بعلس وكتابي الى امير المومنين كتاب منه
للخبر لا معه بالاثر فاستحسنه المامون وعن محمد بن القسم
قال دخل المعتصم يوما الى خاقان يعوده فراى ابنه الفتح وهو صغير
لم يثغر فمازحه ثم قال ايما احسن فقال المعتصم لا ابرح او ينثر عليه
مائة الف درهم فاحضرت ونثرت عليه وحكي علي بن الحسين بن عبد
الاعلى ان عبد الله بن طاهر اهدى الى المعتصم سهمين مطعمين ذكر ان
خراسان لم تخرج مثلهما فسأله بغا ان يحمله على احدهما فابى وقال تخير
غيرهما مما شئت تجده قال فخرجنا ولم ناخذ شيئا فلما صرنا بطبرستان
عرض له قوم من اهلها فقالوا له ان في بعض هذه الغياض سبعا قد استكلب
على الناس وافناهم فقال اذا اردت الرجل غدا كونوا معي حتى اقف على
موضعه فاخذوا لبشر بن فارس من غلمانه ومعه قوسه ونشابتان
في منطقته فصاروا به الى مكانه وثار السبع في وجهه فحرك فرسه

من بين يديه واحد نشابة من النشابتين فرماه في لبته فمر
السهم فيها الى السرس وركب السبع راسه قال وعاد بغا اليه فما اجترا
احد على النزول اليه حتى نزل بغا فوجده ميتا قال فشبرناه فكان
من راسه الى راس ذنبه ستة عشر شبرا ووجدناه احص الشعر الا معرفته
قال فكتبنا بخبره الى المعتصم فلحقنا جواب كتابنا بحلوان نذكر فيه انه
قد تفاءل بقتل السبع ان يكون من علامات الظفر ببابك ووجه الى بغا
بالشهرس وسبعة افراس من خاصة مراكبه بمراكب ثقال من الذهب وسبع
خلع من خاصة خلعه وخمسمائة الف درهم صلة له وجزاء على قتله
السبع قال زنام الزامر اتى المعتصم في علته التي مات فيها وركب في
الزلال في دجلة وانا معه فمر بازاء منازله فقال يا زنام ازمر لي

يا منزلا لم تبل اطلاله حاشى لاطلالك ان تبلى
لم ابك اطلالك لكنني بكيت عيشي فيك اذ ولى
والعيش اولى ما بكاه الفتى لا بد للمحزون ان يسلى

فما زلت ازمر هذا الصوت واكرره وقد تناول المعتصم منديلا بين
يديه فما زال يبكي وينتحب حتى كاد بدموعه ينتقب ثم رجع الى
منزله فاحتضر وجاءه من الموت امر قد قدر وجعل يقول ذهبت
الحيلة ليست حيلة الى ان مات لثمان عشرة مضت من ربيع الاول سنة

سبع

سبع وعشرين ومائتين بسامرا ومدته ثمان سنين وثمانية اشهر
ويومان ومولده سنة سبع وتسعين ومائة ولما مات صنع للواثق
لحنا وغني به فيه وهو يقول

ابت دار الاحبة ان تبينا احدك ما رايت بها معينا
تقطع حسرة من حب ليلى نفوس ما اثبن ولا جزينا

ثم دولة الواثق بالله ابي جعفر هرون بن محمد المعتصم ولما ولي
استمر بعوائد ابيه وعمه المامون ولاب على موارد المحنة ولات معارف
من خالفه بعصائب المحنة واشتد بهذا المذهب والتولع في طلبة
هذا الغيهب وكان كريما جوادا وله اعتلاق في الادب واعتناء به
تسهل اليه اهله من كل جانب وكانت له صنعة في الموسيقى وروي له
فيها اعمال تحرك الصخور وتحرض سامعها على اغتنام ايام السرور وكان
مع هذا مهيبا موقرا في الصدور موقى بمهابة امنع من السور وكانت له على
الاتراك حرمة خطرت على خواطرهم الخطرات وقصرت لواحظهم تحت
سجف العبرات وكان اذا ذكر لهم ترتعد ابدانهم او هامهم وترتعد مفاصلهم
لما تقلهم اقدامهم حكى ابن ابي داود عنه كلاما معناه حضرته
يوما وهو قاعد ليفتش وبيد بعض الغلمان مراة كانها درهم في كف مرتعش
والغلام يحلل فرقا ويتكلل جبينه عرقا كانه في غماسل حمى او في وسل حمى

سقي به سُما قد نكس الى الارض كانه راعف او كانه ينظر موضع مصرعه
وهو واقف وحكي انه مات واكلت السنور عينيه وغلمانه صفوف
وقوف على بعد منه فما منهم من تجاسر ان يتقدم اليه ويكشف خبره
ولا يرفع طرفه اليه ويحقق نظره وحكي انه اغتبق ليلة ودام
حتى صرعه المدام ثم هب وارد النسيم قد غمى نباه وصدف النوار
قد اخفي من لولو الطل ما جناه والنجوم المولية قد مالت اعناقها
وانتثرت اعلاقها والبدر قد فضح بالنهار ضوء قمره والنهار قد
سالت غرة الفجر بين ناظري اشقره والسحر قد قوي نفسه والصبح
قد سح في عرصة الافق معطشه والنهر في الروضة الغنا كالعقد في
جيد الحسنا والجلنار في غصونه كانه سعل حريق والبهار كانه
في كوسه ذايب رحيق والقسطل كانه الزمرد وطه من عقيق والسوسن
قد طال لسانه وما تكلم غير الشقيق فدعا بالندما وقال هلم الي الصبوح
وامر بالمدام فصففت اباريقه وبالكاس فادير وتجرعت اواويقه
وهب الديك من وعامن كراه يصيح واستنطق الوتر الفصيح وسمع كل قول
الاقول النصيح وقتل الهم وما طل الادم المدام والرق الذبيح فاندفعت
جارية تغني ودعا بالصبوح يوما فجاءت نبه في يمينها ابريق فاستحسن
هذه المناسبة وامر لها بالف الف درهم جابتها عدها على كرمه واجبه

قلت

قلت وهذا مما لم يذكره الاصفهاني وذكره صاحب سرور المجلس
بمعنى ما ذكرته وهذا اللفظ لا له فانه ذكره بعبارة عارية لا حالية
وفي طبقة نازلة من الكلام لا عالية وحكى انه كان يقول لسماع السوال
احب الي من تكاثر المال وكان يقول لله عندي نعمة احب اظهارها
عند خلقه وكان يقول لئن ينادى ابابي في المعروف احب الي
من ان ندوم على حال وكان يقول اني لازرا بنفسي ان يمر يوم لا اصنع
فيه معروفا ولا اغيث ملهوفا ولا اسوا فيه عدوا واسر صديقا
وكان يبالغ في اكرام العلويين وفرق في الحرمين اموالا عظيمة حتى انه لم
يبق في الحرمين في ايامه سايل ولما بلغ اهل المدينة موته حزنوا
عليه وعملوا ماتمه في البقيع وعن ابي ملك جرير بن احمد بن ابي داوود
قال قال الواثق يوما لابي اصحرت كثرة حوايجه يا احمد قد اختلت
بيوت الاموال بطلباتك للاذين بك والمتوسلين اليك فقال يا امير
المومنين نتايج شكرها متصلة بك وذخاير اجرها مكتوبة لك ومالي
من ذلك الا عشق اتصال الالسن بحلو المدح فيك قال يا ابا عبد الله
والله لا منعك ما يزيد في عشقك ويقوى من همتك فينا ولنا ثم لم
ينفحش بعدها بحاجة يعرضها عليه وحكي ابن الاثير انه لما توفي
المعتصم وجلس الواثق في الخلافة احسن الى الناس واشتمل على العلويين

وبالغ فى اكرامهم والاحسان اليهم والتعهد لهم بالاموال وفرق
فى اهل الحرمين اموالا لا تحصى حتى انه لم يوجد فى ايامه بالحرمين سايل
قال ولما توفى الواثق كان تخرج اهل المدينة كل ليلة من نسايهم
الى البقيع طايفين يبكين عليه ويندبنه مناوبة بينهم حزنا عليه
لكثرة احسانه اليهم وقال واطلق فى خلافته اعشار سفن البحر
وكان مالا عظيما ومرض بالاستسقا وعولج بالاقعاد فى تنور مسخن
ووجد عليه خفة فعاوده وسد سخونته وقعد فيه اكثر من اليوم
الاول فحمى عليه واخرج منه فى محفة فمات فيها لست بقين من ذى
الحجه سنه اثنتين وثلثين ومايتين ولما اشتد مرضه احضر المنجمين فنظروا
فى مولده فقدروا له انه يعيش خمسين سنة من ذلك اليوم فلم يعش بعد قولهم
الا عشرة ايام وكانت خلافته خمس سنين وتسعة اشهر وايام
وعمره اثنان وثلثون سنه وكان ابيض مشربا بحمرة فى عينه اليسرى
نكتة بياض وسلك مسلك ابيه المعتصم وعمه المامون فى القول بخلق
القران وان الله لا يرى فى الاخرة بالابصار وحكي انه لما ثقل فى
علته التى مات فيها حيل الى الاتراك وتداعى عليه انه قضى فدنا منه
تركي يقال له اساح ليعلم هل مات ام لا فلما دنا منه فتح عينيه ونظر
الى اساح فرجع القهقرى فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق

وسقط

وسقط اساح على قفاه لما نظره هيبة له ورعبا لما داخله من النظر
اليه ثم لم يمر على الواثق الا ساعة حتى مات فاخذ وجعل فى بيت فما افام
الا يسيرا فوجد وقد اخرجت الفار عينيه فسبحان القادر الفعال لما يريد
لا اله الا هو ثم كان بموته قوة شوكة الاتراك ثم دولة المتوكل على الله
ابى الفضل جعفر بن محمد المعتصم بدا امره بكشف المحنه ودحا مجارى سيلها
ومحا اية ليلها واطلق من طافت بهم السجون من المصرين لنكارها
والمصرحين بسوء اثارها وشرع القران الكريم وقال انه منزل غير
مخلوق وصفه من صفات الله القديمة سابقا غير مسبوق فايد الحق
ونصره وشدد اليه رايه ونصره الا انه كان منحرفا عن امير المومنين
على ابن ابى طالب كرم الله وجهه ويرمى ببغضه ويجرى من لا خلاق له بحط
مقداره وغضه حتى قيل انه كان ياثم محثا كان عنده اسمه عبادة
ان يصنع له بطنا يشبها بعلي رضى الله عنه ثم يامره بان يرقص ويغني له بما نزع
كانما عن ظلمه ظلمه ويدع قايله وما با بامه وكان يتغمص بذكره بكذب
يضعه واختلاف يرفعه الله به كلما اراد انه يضعه حتى قيل ان ابنه
المنتصر كان يحرج قلبه هذا الاستهتار ويقدح عنده نارا طار
منها ذلك الشرار وانه دخل عليه يوما وذلك المسخرة قد تلبس بتلك
الحال وتمر وقته بزخرف ذلك المحال والمتوكل قد استغرب ضحكا

اهل الشام يسمون بالعراق [illegible] الاعلى الاطلاق
[illegible] العراق وساكن فيه [illegible]

واستعذب بدونه السقيم ما حكي منه المستخر وزجره ثم تقدم
الي ابيه بلامه وما عذره وقال له يا امير المومنين انما هو امير المومنين
علي بن ابي طالب ولو لم يكن له ما له من الفضل لكان ابن عمك وانا ناكل
قطعه من لحمك ثم وعظه ونهاه ونصحه لو قبل نصحه او وعاه فما صبر
الا ريثما ولى ثم امر ذلك المستخر الطرف الوضيع الساقط ان يغني ويقول

غضب الحلت لابن عمه راس الفتى في كس امه

• قد قال ناكل لحمه فاحبته باطيب لحمه •

وامره ايضا ان يغني ويقول

• عار الفتى لابن عمه • راس الفتى في حر امه •

فلما قتل المتوكل والفتح بن خاقان مل معهما ذاك الساقط الحقير
وعجل بروحه الي النار وبئس المصير وكان المتوكل مغرى بالبنا وانفق
فيه خزاين ابائه واسرع فيها دبيب الفنا فبني من المنازل قصور اسماء
لها المنازل قصور ولما اتى دمشق راي ما فيه من منظرها ولا عيشه
من نظرها استحسن اوطانها واحب استيطانها قال سما بنو اميه الي المحاسن
كل شي وخيم ما بين داريا والمزه حيث يركض جواد الطرف مل طلقه
ويرخص النسيم من الطل فايض عرفه وتغاير الارض ضرع السماء وتساقط
زمرد الدوح على لولو المسا فاحدله المني طيب المكان وحسنه واطربه اد بعني

طرب ويرقص غصنه ناسي هناك قصورا سمح بناوها باموه وتطاول الي دليلها
طلق السهم وما جاء الا الي الصفه وهم بان ينقل اليها الدواوين ويعمر
بها ربع خلافه اموي من احقاب سنين ثم صاف التفقه فشخص الي العراق
وعاد لما قدر من ان دمه بها يراق وفي هذه النوبه انشد يزيد بن محمد المهلبي

ولما ازال المحنه جمع الناس علي مذهب ملك بن انس رحمه الله
والما كان في الانحراف عن علي كرم الله وجهه في الغاية التي لا بعدها
وسال علي بن محمد الرضي ممتحنا له ليجد له سبيلا الي قتله قال له ما تقول
في العباس قال ما اقول في رجل افرض الله طاعته علي خلقه وافرض طاعته
علي نبيه فامر له بمايه الف درهم وخلي سبيله وانما اراد طاعة الله
علي نبيه ولكنه اوهمه ولما ازال المحنه في الانحراف عن علي كرم الله
وجهه في الغايه وامر بهدم قبر السيد الحسين بن علي كرم الله وجههما
وخراب ما حوله من المساكن وان يحرث ويزرع فعمل فيه الناس اشعارا
من احسنها قول بعضهم

تالله ان كانت اميه قد حنت قتل ابن بنت نبيها مظلوما •
فلقد اتاه بنو ابيه بمثلها اضحى حسين قبره مهدوما •
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا في قتله فتتبعوه رميما •

قلت وقد حكى ابن الاثير عجبا خالف ما بالغ حد التواتر من نصب المتوكل

قال وقيل لبعض من تقدمه من الخلفا المامون والمعتصم والواثق
في محبه علي واهل بيته وانما كان ينادمه ويجالسه جماعه اشتهروا
بالنصب والبغض لعلي عليه السلام منهم علي بن الجهم السامي الشاعر وعمر
الرخجي وابو السمط من ولد مروان بن ابي حفصه من موالي بني اميه وعبد الله
بن محمد بن داوود العباسي المعروف بابرجه وكانوا يخوفونه من العلويين
ويشيرون عليه بابعادهم والاعراض عنهم ثم حسنوا له الوقيعه
في اسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين ولم يبرحوا به حتي
ظهر منه ما كان نغطي هذه السيه جميع حسناته وكان من احسن الناس
سيره ومنع الناس من القول بخلق القران الي غير ذلك من المحاسن قلت

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فان القرين بالمقارن مقتد

وقتل ليلة الاربعا لاربع خلون من شوال دارقي
سنه سبع واربعين ومايتين بالسيوف في مجلس الشراب باتفاق من ابنه
المنتصر وبغا التركي

ثم دوله المنتصر بالله ابي جعفر

محمد بن جعفر المتوكل انتصر لابن عم بيته وانتصب له انتصاب حمي
الانف ابيه وانتصف لذي قرابته من ابيه وارتعه في وبيل المرعى وبيه
واسقي له اسير العذ وطوقه بحبيه وواطي عليه صوارم الاتراك ووالي
اليه عزايم الادراك حتى قتل تلك القتله وبرد غيظه وشفي العله لهذا مني

بالهلك

بالهلك بعده وما هني بالملك ولا طالت له مده فكانت قضيته شبيهه
بقضية شيرويه كلاهما قتل اباه فما تمل الملك تملكه واباه فما
سعى الى السرير حتى قصرت خطوة اجله وقصرت سطوة المنايا على عجله
نخفرت كتب التهاني بالتعازي ووسمت سمه فعله بالمحاسن والمخازي
فمن حمله على انه غار لله ولابن عم رسوله شكره ومن حمله على انه غال
اباه للملك لم يغفر له ذنوبه المعدوده ومن يوم مدت الايدي بالمبايعه
اليه قال الناس هذا لا تزيد ايامه على مدة شيرويه وكان من غريب
الاتفاق انه بسط في ذلك اليوم بساط جات قدام مقعد المنتصر صوره
مصوره وحولها اسطر مسطره فاحضر من قرا له ذلك الخط وعربه فوجد
مضمون احرفه المكتتبه هذه صوره شيرويه قتل اباه فما دامت ايامه
ولا هني بالملك بعده فتطير المنتصر من ذلك وتقرر عنده انه هالك
فلما هلك عجب الناس من ذلك الوفاق حتى ظن بعضهم ان هذا وقع بالقصد
لا بالاتفاق وحكى احمد بن الخصيب خرج يوما مسرورا فقال ان امير
المومنين راى كانه صعد درجه حتى انتهى الي خمس وعشرين مرقاه
ثم قيل له قف هذا اخر عمرك فتاولها ابن الخصيب الخلافه وانما كانت جميع
عمره فعاش بعد ذلك اياما ومات فحسب عمره فكان قد اكمل خمسا وعشرين
سنه حصل له ورم حار في السه من نزلة حادثه فمات بعد ثلثه ايام

حدفها وقيل وهو الاكثر انه وجد حرارة فقصد بمبضع مسموم فمات ومن
العجب ان الطبيب الذي فصده احتاج الى الفصد فامر تلميذه بفصده فاخرج
له مباضع وفيها ذلك المبضع المسموم ونسيه ففصده به فمات وقيل بل اصابته
علة في راسه فقطر الطبيب ابن طيفور في اذنه دهنا فورم راسه ومات
وقيل غير هذا وكان ينشد لما اشتدت به العلة

فما فرحت بدنيا اخذتها ولكن الى الرب الكريم اصير

وما كان ما قدمته راي قلته ولكن بقضاها اشار مشير

ويروى انه قال لابنه لما احس بالموت عاجلت فعوجلت وقد ذكره ابن الاثير
فقال كان المنتصر عظيم الحلم راجح العقل غزير المعروف راغبا في الخير
جوادا كثير الانصاف حسن العشرة وامر الناس بزيارة قبر الحسين عليه
السلام وامن العلويين وكانوا خائفين ايام ابيه واطلق وقوفهم وامر
برد فدك الى ولد الحسن والحسين ابني علي كرم الله وجهه واستعمل على المدينة
علي ابن الحسن بن اسمعيل بن العباس بن محمد قال علي فلما دخلت عليه اودعه
قال لي يا علي اني اوجهك الى لحمي ودمي ومد جلد ساعده وقال الى هذا
اوجهك فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملهم يعني ال ابي طالب فقال
امتثل امر امير المومنين ان شاء الله وذكر من كلامه والله ما عز ذو باطل ولو
طلع القمر من جبينه ولا ذل ولو اصفق العالم عليه ثم دولة المستعين بالله

ابي

ابي العباس احمد بن محمد المعتصم ولي بالمشاورة وبلي بالمساورة وغالبه
المعتز حتى غلبه وناصبه حتى انتزع منه الملك وسلبه وكان الثغ اللسان
لا يعرف الالفاظ من عثراتها ولا يعمر النطق في لحن معانيها وكان
يجعل السين ثاء ويبدل كلامه الغث كله زبدا غثاء وكان من سفلة
الخلفاء لا يصعد به جده هاشم ولا جده الذي هو لمعاطس الاعداء رغم
ولوجوههم هاشم لا يطاوعه على الحزم الراي الرائب والعزم الخائب
الخائن وكان اردى في هذا من الامين حالا والذي بحالا واستوزر
وزيرا ناسبه في هذه الاحوال وجانسه على فعله فحال حتى اختل
سياج دولته وانفل جيش صولته وال امر المستعين الى ما ال وما آلى
سوء رايه في سوء مآل وكان مع هذا غير مقبول الصورة ولا مأمول
السورة الا انه لم يخل من مجالس انس وندمان ونفس تبادر ببذل
المال صرف الزمان وكان يهب البدر ويعد بامثالها اذا انذر وكان
لا يهمل ود الصديق ولا يميل الى من وشى به اصغاء التصديق وكان فيه مما
حمدها تان الخلتان والحسنتان وكان ينظم الشعر الا انه من سقط
المتاع وجيء به بلا كلفة الا انه مما تجود به الطبيعة لا الطباع وكان
قد بويع بالخلافة يوم الاثنين لست خلون من ربيع الاخر سنة ثمان
واربعين ومائتين ثم بايع الاتراك اخاه المعتز فارسل المعز اخاه الموفق

نزل بغداد وحاصرها فلم يزل امر المستعين يضعف وامر المعتز
يقوى فبعث الى المعتز يسله ان يعطيه خمسين الف دينار ويقيم حيث
شاء وعلى ان يكون بغا ووصيفا اللذين كانا صنيعه له احدهما على الحجاز
وما والاه ثم خلع سنه اثنتين وخمسين واراد ان ينزل البصره فقيل
انها حاره فقال اتراها احر من فقد الخلافه ثم اختار نزول واسط
فلما صار بقرب سر من راي تلقاه سعيد الحاجب فبانا بهما فاصبح المستعين
ميتا ولا اثر به وقيل غير هذا فقال جنيد الكاتب المعروف بابا دجانه

ايها بني العباس ان سبيلكم في قتل اعبدكم سبيل مهيع
رقعتم دنياكم فتمزقت بكم الحياه تمزقا لا يرقع

قال ابن الاثير لما اراد المعتز قتل المستعين كتب الي محمد بن عبدالله بن طاهر
يامره بتسليم المستعين الى سيما وارسل احمد بن طولون في تسليمه فاخذه
احمد وسار به في القاطول فسلمه الي سعيد بن صالح فادخله سعيد منزله وضربه
حتى مات وقيل بل جعله في رحله محرا والقاه في دجله وقيل كان قد حمل
معه دايه تعادله فلما اخذه سعيد ضربه بالسيف فصاح وصاحت دايته فقتل
وقتلت معه وحمل راسه الى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقيل له هذا راس المخلوع
فقال ضعوه حتى افرغ من الدست فلما فرغ نظر اليه وامر بدفنه وامر لسعيد
بخمسين الف درهم وولاه معونه البصره

ثم دولة المعتز بالله

ابي عبدالله

ابي عبدالله الزبير بن جعفر المتوكل وقد اشرنا في ذلك المستعين الى ان المعتز
ناصبه حتى اسر منه الملك واهتزله اهتزاز سيف لا ينبو فيه والمسك بناصيه
على الامر حتى قوم اوده ونصبه وقدم مدده اليه ونصبه
وجهز اليه اخاه الموفق فكسر ثم اجهز عليه فتم بعد حروب
افنيا فيها الاعمار وبنيا فيها اصروحا تنسلق عليهما منها الاعمار
لكثره ما طاح بينهما من حابل مهج وطاف من حابل دهج فطيب
المعتز سقام الملك وشفي وصبه وكفي عصبه فاستعاد سلطانه
ممن غصبه واستنقذ شيطانه المريد ورجمه بشهب نباله وحصبه
ورجمه فانفاه ثم بدا له فشفا غليله وان كان قد قطع عصبه وكان
المعتز احسن خليفه راي كان البدر طالع من طوق قبابه والظبي رائع
حول خبابه برز يوما في ثوب اخضر مذهب فاشبه غصنا ورقيا
خلص اليه الاصيل ولم يذهب وكان يتعشق يونس بن بغا وكان
مثله في حسنه وحسناه وبطيه في سنه وسناه حتى يقال انه
ما راي احدا مثلهما عاشقا ومعشوقا موافقا جمالا وتناسقا
كمالا وتفارضا شغفا وتقاربا كلفا فكانا غصنين سمها
وبدرين اتسقا وكلف المعتز به حتى كان لا يقدر يصبر عنه لحظه
ولا يضيع مع غيبته لفظه واشتغل به عن كل ما سواه ووجد به وجدا

قل من نادبه فيه او ساواه وغاب عنه ساعة يرى فيها امه
وهي تموت فقال

تغيب فلا افرح فليتك لا تبرح
وان جئت عذبني بانك لا تسمح
فاصبحت ما بين دين ولي كبد تجرح
على ذلك يا سيدي دنوك لي اصلح

وقد قيل ان اسمه الزبير وكان يوصف بالحزم والعزم على صغر
سنه فلما ولي الخلافة صغيرا استقبل باعبايها وكان قد بويع
بعده لاخويه المويد ثم الموفق ومن كلامه قوله عن جماعة
المستعين اما تنظرون الى هولاء الهمج الطغام الذين لا اسلة بهم
ولا اختيار لهم قد زين لهم بحمم الخطا سوء اعمالهم فهم
الاقلون وان كثروا والمذمومون اذا ذكروا وانه لا تصلح
لقود الجيوش وسد الثغور وابرام الامور وتدبير الاقاليم
الا رجل تكاملت فيه خصال اربع عزم تقنو نه عند موارد الامور
حقايق مصادرها وعلم يحجزه عن السهو والتغرير في الاشيا الامع
امكان فرصتها وشجاعة لا تنقصها الملمات مع تواتر حوايجها
وجود يهون تبدير الاموال عند سوالها نعم واثنتان استفاد الحجاب

عن

عن الرعية والحكم بين القوي والضعيف بالسوية واخرجت له
امه يوما قميص ابيه المتوكل ملوثا بالدماء لتحرضه على اخذ ثار
ابيه من الاتراك وكانت قد قويت شوكتهم فقال ارفعيه يا اماه
لا تصيرن قميصين يعني انهم ان فطنوا لذلك قتلوه ايضا فتلوث قميصه
كما تلوث قميص ابيه ودام مدته مع الاتراك منغصا يحكمهم متعصا
بحوهم ثم اجتمع الاتراك عليهم وطالبوه ان يخلع نفسه ولم يزالوا
يضربوه حتى اجاب الى الخلع وكتبوا بذلك كتابا على نفسه
ثم ادخلوه على المهتدي فقال له اخلعت نفسك قال بل خلعت ووجي
في قفاه حتى سقط ثم اقيم فقال خلعت نفسي وسلمت ورضيت ثم
اخرج في الحر حافيا فطلب نعلا فلم يعطاه فادمى سرار رجله ومشي
عليه ثم عذب بانواع العذاب وادخل حماما وهو عطشان ثم اخرج
فطلب ماء فجيء بماء مثلوج فشربه فمات وذلك يوم الاربعا
لثلث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومايتين ومدة خلافته
اربع سنين وسبعة اشهر وكان عمره اربعا وعشرين سنة
وكان ابيض اللون اسود الشعر جميل الصورة

ثم دولة المهتدي

بالله ابي عبد الله محمد بن هرون الواثق وكان كلقبه مهتديا بطريق السلف
الصالح مقتديا وللعفاف تابعا وبالكفاف قانعا جانحا

عمر بن عبد العزيز وسلك مسلكه الحميد فما تكثر من الدنيا
ولا تكبر بالعليا واقبلت عليه الايام فما اغتر بخداعها ولا اغتر
بمتاعها ولا اصباه بديع رونقها ولا استماله صنيع بانقها
واخرج ما اكنز الخلفا من انيه الذهب والفضه وضربها نقودا
وفرقها حقوقا لا جودا وامر بالعدل ورجع اليه فصاباه وطبع
عليه سجاياه فلم يوافق صلاحه زمانه الفاسد ولا نفق اصلاحه
سوقه الكاسد ولم يكن من ارباب الدوله الا منهمك في فساد ومسلك
في سلك لا يطمين به الوساد فكرهوا ايامه وودوا لو انقضت وانها لا
تكون قد انقضت اقبلت حتى مضت فعابوه بما فعل مما يمدح وقالوا انه
لا يستصلح وقد حكي عنه بعض العلما قال حضرت المهتدي يوما من
رمضان بعد العصر وطال مجلسي عنده فلما اردت القيام قال قد جاءت
المغرب وان فطور الصيام فهل لك ان تفطر عندي الليله فما وسعني الا ان
اجبت قوله فلما اذن الموذن اجابه ثم دعا بكوز ما فشرب منه وسقاني
ثم قمنا الى الصلاة فاديناها واعقبناها بركعتي السنه ونفلناها ثم قال
يا جاريه العشا فجات بسكرجتين في احديهما جريش ملح وفي الاخرى
زبيب وخل ومعهما رغيفان فتقدم وقال كل ثم قال بسم الله ثم اكل واكلت
وانا اظنه شيا قدمه قبل طعامه فرفع يدي فقال لي الست كنت
صايما

صايما فقلت نعم فقال اولست تصبح غدا صايما فقلت بلى قال فما هذا
الاكل فقلت يا امير المومنين او هذا هو طعامك فقال نعم
فان الحلال المحض لا يحتمل اكثر من هذا فدعوت له واكلت ثم انصرفت وقد
استحوذ على قلبي استحواذا ثم اذنت العشا الاخره فقمنا الى الصلاة
فصلينا المكتوبه وما معها ثم قمنا بالتراويح فكملناها اجمعها
ثم اخذت مضجعي ثم تنبهت انه الغفوه بعد الغفوه فاجده قايما في مكانه
يصلي فوالله ما زال هكذا حتى اصبح الصباح قال عبد الله بن ابرهيم
الاسكافي جلس المهتدي للمظالم فاستعداه رجل على ابن له فامر
باحضاره فاحضروه واقامه الى جانب خصمه ليحكم بينهما فقال الرجل
للمهتدي والله ما انت الا كما قال القايل حكمتموه فقضى بينكم ابلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوه في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر
فقال له المهتدي اما انت ايها الرجل فاحسن الله مقالتك واما انا فما
جلست حتى قرات ونضع الموازين القسط ليوم القيمة الايه قال فما رايت
باكيا اكثر من ذلك اليوم وكان يقول الا يستحي بنوا العباس
الا ان يكون فيهم مثل عمر بن عبد العزيز ولما ولي اطرح الملاهي وحرم
الغنا والشراب ومنع اصحاب السلطان عن الظلم رحمه الله عليه
ثم دوله المعتمد على الله ابي العباس احمد بن جعفر المتوكل

وكان اخوه الموفق ابو احمد طلحه بن المتوكل الملقب بالناصر قايما
بامر الدولة كلها قابلا لا يرد ظلها والمعتمد ليس له من الامر شي كانه
ميت وهو حي قد وطيه الموفق على ام راسه وغلب على ملكه وناسه
وعلى يده على ما اشغلها به من كل جواريه وكاسه وكان هم الموفق
جيوشا يجهزها وممالك يحررها واموالا يكثرها واعمالا يملو كتبه
يرقم بها السير ويطرزها وهم المعتمد تمنيق بنا وتابيق غنا وارتياد
روضه غنا واعتقاد كاس بدام وجاريه حسنا ثم ندم المعتمد
حيث لا ينفعه الندم وعلم ان وجوده كالعدم فنفي بنفس نفس
المصدور وبنا وه ناوه المحرور وهم بامر الحزم لو يستطيعه وحاول
حالا ولا يجد من يطيعه وكتب سرا الى ابن طولون والى صاحب
افريقيه يشكوا اليهما حاله مع اخيه ثم مع ابن اخيه ويصف لهم
سوء حاله وما هو فيه بمواثما حالت بينهم وبينه عوارض القدر وشقه
البعد وكان الموفق لا يفك عنه وثاق حجر ولا يرفع بيده قهر ذكر
ابن الاثير عنه انه احتاج الى ثلثمايه دينار فلم يجدها فقال

اليس من العجايب ان مثلي نرى ما قل ممتنعا عليه
وتوكل باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شي في يديه
اليه تحمل الاموال طرا ويمنع بعض ما يجبي اليه

قال

قال وكان اخر من سكن من الخلفا سر من راى ثم لم يسلكها
بعد احد منهم قلت دام على ما به من ايام اخيه الموفق ثم مات
الموفق وقام ابنه المعتضد فكان اشد شي في حلق المعتمد وما
مضت سنه حتى سمه وكفاه هم الدنيا واكتفي همه يقال ان المعتضد
سمه وقيل بل افرغ في حلقه رصاصا مذابا وقيل بل ملا له حفره
من ريش ورماه فيها فما غما **ثم دولة المعتضد** بالله ابي العباس
احمد بن الموفق ابي احمد طلحه بن المتوكل كان ابوه في خلافة المعتمد قد
اعتقله لما خافه واعتمده حذرا ان ساقه الى الخلافه وذلك لسعي اسمعيل
بن بلبل الوزير بينهما بالنمايم ووعي قلب الموفق عليه بالسمايم وما سعر
ان امامه منصب الامامه وان الخلافه لا سعي حلافه وان الملك معصم
لا سرك منه بغير سوار ومعقل لا يخلي منه بلا اسوار فلبث في الاعتقال
مضيقا عليه في مكان اقصر من طول العقال ويفرله المعتقل لسه نطع
البساط ويخطف بصره بالايماض حتى يجبل له سرق العمايم فلبس اخضر
ودخل المعتقل على انه يتفقد العماره فتفقدها ثم دخل الطهاره فنزع
ذلك السراويل وخرج فلما وجده المعتضد سره وابتهج فكان يدعه علي
عينيه ويعده بينه وبين الحايط وينظر اليه فوجد نحوه لونه حفظا
لصحة عينه ولم يكن عنده الا ابن دغلام لا يفي به زد كلام وكان المعتضد

يشتغل وقته بمصحف يقرا فيه القران العظيم ودعا يفرغ به باب
السميع الكريم ودخل عليه الوزير ابن بلبل يوما والمعتضد يقرا
فوضع الى جانبه المصحف واخذ يخضع للوزير ويتلطف وكان يدخل
عليه ليجد ما ينم به ويبني احاديث كذبه وكان الموفق قد خرج الى الجبل
فزاد خوف المعتضد من غرة فيه يحصل وكان يخوف دخوله
عليه على غفلة ويتشوق لا يكاتب اباه عنه بكذب يعجل قتله ويجعل
نظره اليه سبيله ويحلي به مثله مثله فيامر بقتله ولا يكشفه ولا
يجد من ينبه عنه ولا ينصره قال المعتضد ما معناه وكان ابن بلبل
يحسني في كل يوم مراعيا خبري وساعيا في قص اثري ويظهر
انه يتردد الى خدمه يودها وانما يردد ثقة يردها فلما دخل
علي ذلك اليوم قال ايها الامير اعطني المصحف لاتفال لك ان كنت تبلغ
مولك فلم اجبه بشي ولم اجبه بموافقه ولالي فاخذ المصحف وفتحه
فكان اول سطر صفحه عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
فينظر كيف تعملون فاسود وجهه وارتد حتى كان كالليل او هو شبهه
ثم اطبق المصحف وفتحه ثانيا بادبا ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين فازدادوا قلقا واضطرابا
واضطران يفتح بابا ثم فتح المصحف ثالثا فوجد عاجلا لا رائيا وعد
الله

الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما
استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم
من بعد خوفهم امنا فوضع المصحف وللخوف قد حلله والحف ثم قال
ايها الامير انت والله الخليفة بلا شك فما حق بشارتي وحال
قبولك لاشارتي فقلت الله الله في دمي وما عليك الا تكون السبب في
عدمي واسل الله ان يبقي امير المومنين والامير الناصر الموفق وما
انا وهذا ولم ازل به اترفق واقول مثلك في عقلك لا يطلق القول
بمثل هذا الاتفاق وانا احوج منك الى غير هذا من الارتفاق فامسك
عني وقد كاد ياخذني مني ثم ما زال يحادثني ويخرجني من حديث
ويدخلني في اخر الى ان جرى حديث ما بيني وبين ابي وانه ربما
كاد يواخذه بسببي ثم اقبل يحلف بالايمان الغليظة انه ما سعى
علي بمكروه وانه ممن لم يخرج صدره علي ولم يغيره قصد فتنه
خوفا ان يزيد وحشته مني فيسرع الى التدبير في تلفي واريه من
الود ما لم يكن في ثم صار كلما اخذ معي في الاعتذار والتنصل كانما
ابلغه مني الانذار وانا اظهر له التصديق وابسط معه مباسطة
الصديق حتى سكن قلق راحته وما شك انني اعتقد براءة ساحته
وما كان باسرع من ان جا الموفق من الجبل فقد استشرت به علته

ومات واخرجني الغلمان من المجلس واروني مكانه واودنوني
سلطانه وقاد الله الخلافة الي ومكنني من ابن بلبل فاخذت ثاري
بيدي وكان المعتضد ملكا مهيبا اذا اغتاظ توقد لهيبا وبويع
بالخلافة وقد تمزقت كل ممزق وتوزع ملكها وتفرق وقد صار
كل طرف سدنا بر وكل اقليم يحقق عليه يد ملك جابر واضمحلت
الحرمه كانها لم تكن وضعفت الامه كانها لم تكن ولم تهن فقام حتى جمع
شملها المبدد ومنع اديمها المقدد وكان في الغيبة مثل موافقة
في الكنيه ابي العباس السفاح في تعرض وجهه للكفاح وكل منهما
اقام دوله بني العباس وافاد لها انف كل ذي باس وكلاهما كانت
خلافته للخلافة العباسيه بانيه ذاك اوله وهذا ثانيه وكانت له
على الاتراك وارباب دولته سطوة تجاف بها ابصارهم ان تخطف
واعمارهم ان تنقطف حذرا من ضيغمه المفترس المفترس وارقمه
المنهس المنتهس وعقابه الخطوف الكاسر وعقابه المنكل بعذاب الاخر
فانه كان اليم العذاب عظيم العقاب وكان يدكي عليهم الحرس ويذكر لهم
من امور بيوتهم ما يلجمهم بالخرس وما عرف احد بعد المعتصم اخف منه
الي عدو ركابا ولا امد على بلد اسكابا لا تحط له سرج ولا يحل له عن
موكب طوق ديج وقد حكى ابن ظافر في سياسة الملوك انه كان لا يبرز

إلا

الا محفا ولا يستصحب ثقلا الا خفا وقرر النوروز واقر عليه
رزق الجند المفروز وتبعه عليه من بعده من الخلفا ووفوه حسابه
وما قدروا على الوفا وكان غاية في الحزم والعزم حكى شارح العبدونيه
قال لم تزل الاتراك مذ مات الواثق يتحكمون عليهم في خلافتهم يعني
تحكم الرجال على صبيانهم حتى كانت ايام المعتضد فغلبهم الغلبه التي يجب
ان يكون لمثله على امثالهم واذلهم وردهم الى مراتبهم من العبوديه
وكان المعتضد مهيبا لا يقدم احد على امر من امور الا مغرورا وكان
يسمى السفاح الثاني لانه جدد ملك بني العباس ووطده بعد ان كانت
بددا خلفته الاتراك وفي ذلك يقول ابن الرومي

هنيئا بني العباس ان امامكم • امام الهدى والجود في ذاك يشهد •
كما بابي العباس اسس ملككم • كذا بابي العباس ايضا يجدد •

ولقد اتفق في ايامه امر فضيع كشفه الله له فعظم في نفوس اتباعه
وانه كان لا يتجرى احد منهم ان يكلمه ما في نفسه مخافه صولته
وكان احد كبرا دولته قد بني بناء عاليا مشرفا على منازل جيرانه
فلم يقدر احد يعارضه فاشرف منه فراى جاريه بارعة الجمال
فسال عنها فقيل ابنه تاجر فخطبها الى ابيها فابى ان يزوجها
الا من تاجر مثله فلم يزل يرومه ويابى فزور كتاب تزويج بشهادة

عشرة من المعدلين ثم اخذها بظاهر الشرع فتحيل ابوها حتى
دخل في زي فعلة البنا في قصر كان المعتضد قد شرع فيه فاتاه
يوما يشرف عليه فوقف له وذكر له حاله فارسل في طلب الزوج والشهود
وسالهم كيف كان الحال فما استطاع رجل منهم ان ينكر فوضع ذلك
الزوج في جلد ثور طري وضرب بالمرازب حتى اختلط لحمه ودمه ثم
امر به فافرغ بين يدي تنور ثم امر بالشهود فصلبوا وامر لذلك الرجل
بالبيت وبجميع ما تركه زوجها من صامت وناطق وكان مما لا يحصى وحكى
ابن الاثير انه امر بالكتاب الى جميع البلدان ان يرد الفاضل من سهام
المواريث الى ذوي الارحام وبطل ديوان المواريث وذكره فقال كان
شهما شجاعا مقداما ذا عزم ملعه حبر وصف خادم ابن ابي الساج
وعليه قبا اصفر فسار من ساعته فظفر به وعاد فدخل انطاكيه
وعليه القبا الاصفر فقال بعض اهلها الخليفه بغير سواد فقال بعض
اصحابه انه سار فيه ولم ينزعه عنه الى الان فكان عفيفا قال
وقال القاضي اسمعيل بن اسحق دخلت على المعتضد وعلى راسه احداث
روم صباح الوجوه فاطلت النظر اليهم فلما قمت امرني بالقعود
فجلست فلما جلست قال لي ايها القاضي والله ما حللت سراويلي على حرام
قط قال ابن الاثير وكان فيه شح قلت ما هو بالقليل وحكى ابن ظفر

ان

ان قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون لما زفت الى المعتضد
اعجبته فوضع راسه في حجرها يوما فنام فازالته عن فخذها بلطف
ووسدته وخرجت من البيت فاستيقظ المعتضد فدعو ناداها
فاجابته من قرب فقال لها اسلمت اليك نفسي فذهبت عني فقالت لم
فقالت لم اذهب عن امير المومنين ولم ازل كالئه له قال فما اخرجك
قالت ان مما ادبني به ابي ان لا اجلس مع النيام ولا انام مع الجلوس فاستحسن
ذلك منها وحكى صافي الحرمي انه لما مات المعتضد كفنه في ثوبين
وهي قيمتهما ستة عشر قيراطا وولد ولما حضرته الوفاة قال
واه اه لـــه

تمتع من الدنيا فانك لا تبقى ... وخذ صفوها ما ان صفت ودع الرنقا
ولا تامنن الدهر اني امنته ... فلم يبق لي حالا ولم يرع لي حقا
قتلت صناديد الرجال ولم ادع ... عدوا ولم امهل على ظنه خلقا
فلما بلغت النجم عزا ورفعة ... وصارت رقاب الخلق اجمع لي رقا
رماني الردى سهما فاخمد جمرتي ... فها انا ذا في حفرتي عاجلا القى
فيا ليت شعري بعد موتي ما ارى ... الى نعمة الله ام ناره القى

ثم دولة المكتفي بالله ابي محمد علي بن احمد المعتضد وكانت له ممن
انفى ابوه جيوش تضيق بها جيوب العراق وتضيع بينها هبوب النسيم

في الآفاق خلا انه كان عقيد عقار وسمير دفوف واوتار واليف
ندمان وحليف ادمان لا يخلع عنه ثوب عناق ولا يخدع عن النفاق
ساق بساق لم يوحد الملاح من مقلتيه ولا كووس الراح من شفتيه
دابه في هوى واداته في جوى لا يقصر عن حب اغيد وعبدا
واجيد وجيدا فلهذا اما عسكره الى الاعدا رايا ولا داته ولا
اثر حسانا ولا اجتنابه على كثرة الفتوق في جيب ملكه والانخراط في جيب
سلكه فتسلطت القرامطه وتبسطت في البلاد بلا رابطه وصرخت
تلك الدعوة في اذان الانام وزادت في اذان الاسلام ثم فعلت تلك
الفعله في الحجر الاسود واسرت خاله من وجه البيت الحرام مع انه
قاتل القرامطه مرتين وكر عليهم جيشه الحول كرتين وعاد
بالنصر في كل مرة لكنه لم يخنهم ولا قطع نسلهم وحرثهم وانقرضت
في ايامه الدوله الطولونيه حضر محمد بن سليمان الى مصر لمحاربة هرون
بن خمارويه وكانت بينهم كوابن واسا من ابيه اعيان من الطولونيه
وكان قد كتب منهم اناس الى المكتفي بالميل اليه فلما حضر الجيش ودخل محمد
بن سليمان بجيش المكتفي مصر وفتحها واستولى على دور ال طولون
وامسكهم واشخصهم الى بغداد ثم عاد محمد بن سليمان وقد استقل بفتح
مصر والشام وولى المكتفي معونة مصر عيسى النوشري فخرج عليه الخلنجي

وكان

وكان ممن باخر من قواد المكتفي بمصر وعجز النوشري عنه فامده
المكتفي وتوفي المكتفي

ثم دولة المقتدر

بالله ابي الفضل جعفر بن احمد المعتضد بويع صغيرا ولو يع امره
وكان صغيرا وكانت امه هي التي تنفذ الامور والقهرمانه ام موسى
تدبر الجمهور وجلست في دار العدل وقربت عليها القصص واقرت
الصدور بالقصص وكان الوزير اذا قيل له في شي قال حتى اراجع
السيدات والتوابع تخرج اليه عنهن واكثرها بالسبابات فكانت
ايامه دولة النسا ودولة السفله لا الروسا فكان الناس كانهم قوم
لا يعرف خليفه يرجع له تمدا ولا حوضا لاحد الاصنياعا ولا يرد بيد
تملكت ارضا ولا صنياعا اعراض موهوبه واعراض منهوبه وشكايا
مرفوعه وبلايا موضوعه وخلايق تتظلم وخلايق سلف كريم تتالم
وكان المقتدر عقله عقل امثاله من الصغار لا يحن لملكه ولا يغار مشغولا
وراحته مشغوفا بلعبه يتيه في ملكه العقيم بالسوقه ويحدله من
جواريه معشوقه ويقف تحت طاقتها تعرها ويترقب لها غفلات رقبا
ينتهزها وربما وقف اليوم الكامل وهي لا تجيبه وراى جاريه
واخفى كانه واتى اليه رقيبه فمن نصله ومن تحرجه واونه يعرف
ه واونه تنكره وتارة يسعد بروجها وتارة يسير با وجها كل هذا شي

اسعله وطنه لذة له فيفعله وكان ربما ركب حمارًا واردفها وراه
ومر بسوق عمله في قصره واسكنه الجواري واوطنه كواعب كالدراري
وجعل عندهن انواع الطعام ومنهن الخباز والطباخ واللحام والخمار
وعنده الخمار والمدام فيقف على الحانوت ويشتري قدر ما يحتاجه من
القوت وكذلك ما يريد من الخمر فاذا اكتفى حمل الكل في الخرج خلفه ومر
ثم ينطلق الى مكان اتخذه في القصر شبيها بالقرية وينزل به ويقضي معها
يومه كله في اكله وشربه ثم اما تجي جاريه على انها عاشق اخر لتلك
الجاريه التي يعشقها يريد ما اراد منها فيقوم بذراعها فتارة يغلب
وتارة يغلب وتارة تجي جاريه على انها صاحب الشرط فاخذهما ويذهب
م بامر بالمقتدر بان يطاف به في شوارع بغداد فيطاف به في رحاب
القصر وينادي عليه هذا جزاء من يتجاهر بالمحرمات في مثل هذا
العصر وكان المقتدر منقطعًا الى امثال هذا اللعب ما اجتهد في سواه
ولا رغب ولهذا اختلت حاله مرات وخلع ثم عاد كرات لكنه مع هذا
اللهو المفرط واللعب الذي ما بلغه منبسط ولا لحقه بعده منتهك
ولا سبقه اليه قبله سوقه ولا ملك كان سعيدًا محظوظا شديدا
اذ كر من المرام حظوظا وكان واسع النفقات سابغ الصدقات
ودانت له الافاق شرقها وغربها وبعدها وقربها ولم يبق شي مما كان

في

في ملك الخلفا الاول الا مذعنا لامره ممعنا في التاهب لنصره
لا تحمي اطرافها الا بعسكره ولا تسمع اسرة ملوكها الا بالخضوع
لمنبره واتفق في ايامه عجايب وغرايب منها انه بعث له من مصر
طرايف منها تيس يحلب منه اللبن وبعث اليه من عمان طاير صيني اسود
يتكلم بالهندية والفارسية افصح من الببغا وورد عليه البريد بالدينور
بذكر ان بغلة له وضعت فلوة ونسخه بصاير العارفين الخالق ما يشا بغير
مثال ذلك الله البارئ المصور له الاسما الحسنى ومما قضاه الله المصور
في الارحام ما يشاء ان الموكل بحر الطواف ذكر ان بغلة لرجل يعرف
بابي برده وضعت فلوة ووصف اجتماع الناس لذلك وتعجبهم
مما عاينوه فوجهت من احضرني الفلوة والبغلة فوجدتهما كميتا ورايت
الفلوة سويه الخلق تامه الاعضا منسدله الذنب يشبه ذنبها اذناب الدواب
فسبحان الذي لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب قال شارح القصيدة
العبدونية وقد حكي انه اتفق مثل هذا سنه خمس وخمسين واربعمايه
بطليطله وكانت البغله شهبا كانت لانسان سقا وفلوها الى الصفرة
قلت ويحكى لعصرنا الصاحب شمس الدين محمد بن الشيرازي ان
مثل هذا اتفق في بلاد حلب وسمي به المكان واسنبته قال ورايت
ذلك بعيني واثبت به محضر على الحاكم ومما اتفق في زمان المقتدر انه

وجد بمصر كنز قديم ومعه ضلع انسان طوله اربعة عشر شبرا وعرضه
شبر **واما خروج** عبد الله بن المعتز عليه وكان سببه انه
لما ولي المقتدر استصغر فجا محمد بن داوود الوزير فاخرجه من داره
الى دار ابرهيم المادراني ووجهوا الى القاضي محمد بن يوسف يوم السبت
العشرين من ربيع الاخر سنة ست وتسعين ومائتين وحضر جماعة
العلما والقواد فخلعوا المقتدر وبايعوا ابن المعتز الا بعضهم ولقب بالمنتصف
بالله فلما ادنت المغرب ضربت الدبادب له وضربت من قصر المقتدر واشتغل
الوزير بكتب الكتب الى النواحي وكاد الامر ان يتم لو اراد الله ننقض
العزايم وابطل التدبير لان سوسن الحاجب كان قد عاقد ابن المعتز
على ان يكون حاجبه ويمكنه من المقتدر فبلغه في تلك الليلة ان ابن المعتز
استخلص يمنا اللصوي للحجابة فانتقض سوسن عليه واحكم الامر للمقتدر
فلما اصبح ابن المعتز خرج قاصدا قصر المقتدر فلما بلغ الحسنى خرج عليه
العبيد والرجاله فمنعوهم واعانهم العامة فرجع ابن المعتز الى داره وعلم
من ابن اصبح ثم ان المقتدر جهز عسكرا من الخيل والرجال فاحاطوا بدار
ابن المعتز ففر من كان فيها وبقي ابن المعتز وحده فتسلل هو ووزيره وثبت
الحسين بن حمدان فقاتلهم الى الظهر فاصابه سهم ففر الى داره واخذ
منها ما يريد ثم خرج الى سوسراي واما ابن المعتز فانه هرب واتى دار ابن

الخصاص الجوهري وكان ممن بايعه فعرف خادم له فنم به فاخذ والقي
في صهريج ثلج فمات به وهو ذو الادب الغض والتشبيه المصيب ومن
بدايعه قوله

وجردت من اغماده كل مرهف اذا ما انتضته الكف كاد يسيل
ترى فوق متنيه الفرند كانما تنفس فيه القين وهو صقيل

وقوله

ظبي يخلي من الاحزان ودعني ما يعلم الله من همي ومن قلق
كانه وكان الكاس في يده هلال اول شهر غاب في شفق

وقوله

قد انقضت دولة الصيام وقد بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره يفتح فاه لاكل عنقود

وقوله

اذا ما طعنا بطون الدنان سال دم الكرم منهن سورا
كان خراطيمها في الزجاج خراطيم نحل سقين نورا

وقوله

ولما تلاقينا وهزت رماحنا وجرد منها كل ابيض باتر
واو معشرا الا بيعر الموت غيرهم فما برحوا الا برحم الحوافر

فغر فاه اي فتحه وفغر فوه اي انفتح يتعدى ولا يتعدى

ولما بويع بن المعتز دخل رجل على ابي جعفر الطبري فقال له كيف تركت
الناس قال بويع عبد الله بن المعتز قال فمن رشح للوزارة قال محمد بن داود
بن الجراح قال فمن ذكر للقضا قال الحسن بن المثنى فاطرق طويلا ثم قال
هذا امر لا يتم ولا ينتظم فقيل له وكيف قال لان كل واحد من هولاء
متقدم في معناه على ابناء جنسه والزمان مدبر والدنيا موليه وكان
هذا على ما قال ولم يكن في ابن المعتز ما يعاب به سوي نقص حظه وكمال
ادبه وكان سبب قتل المقتدر بموضع يعرف بالتل حمل بوجه نحو باب الشماسيه
ان باتيه جند منها والناس في اثناء ذلك يتسللون نحو مونس وكان مونس
قد جا للبصره والمقتدر في مهماته غير انه من كان يحسد مونسا اغروه
به وقالوا له انما جا لقتلك ولكن غلب عليه عبيده وكانوا قد غصوا بمونس
وقالوا له اما ان تخرج لقتاله ولا احدناك واسلمناك اليه فخرج وهو مكره
وقد كانت امه تمنعه فلما لم ير بدا من الخروج ودع امه وتمثل بقول
ابن السروي

طامس حشاك فان دهرك موقع بك ما تحب من الامور وتكره
واذا احذرت من الامور مقدرا فهربت منه فنحوه تتوجه

فلما خرج اليه جعل اصحابه يتسللون منه حتى بقي وحده فقصده عبد
اسود فضربه على عاتقه فصاح ما هذا ويلك ثم تعاوده بالضرب حتى قتله

ثم

ثم ارسل مونس قاتله وقتله اذ لم يكن غرض مونس قتله وانما كان غرضه
ان يكون صاحب امره وانما المقادير تنفذ احب العبد ام كره وولد

ثم دولة القاهر بالله

ابى منصور محمد بن احمد المعتضد كان لا يستقل
لسانه من عوج ولا زمانه من هوج ولم يكن له يوم بويع ما يلبس
حتى البسه جعفر بن ورقا ثيابه وقدمه للمبايعه وتقدم وطفق الناس
في المتابعة وكان احطر رتبه من اخوته وارفع مرتبه في حوته لولا
طيش لا يرفع معه منار ويعاتب او يقع به من الفراش على النار فدام
مدة خلافته وايامه سنون واحكامه جنون وتصديقه ظنون
وتحقيقه منون لا تقف مع تدبير سوس ولا يتوقف في تدمير نفوس
وكان يتطاول الى فعل اباته بهمة خانها الراي الثاقب وعزته
شانها انها لا تفكر في العواقب فعاجل اقواما ما كان ضره لو طاولهم
وامكن لهم حتى استاصلهم لكنه كان خابر العزيمه خايف الفوات على
اول ما يظفر به من الغنيمه يورطه عظيم تهوره وتسلطه على ما بيده سقيم
تصوره تا دي به تفريطه الى انه خلع وسمل ثم لحق بسخط الراضي وسمل
ثم عطف عليه فتعرض لا مر اطرح به واهمل وكان في داره ماله دزق
نفسه ولا درهمه فقام يستعطي في المسجد الجامع حتى اعطي ما

بالوانه الحياه لما امسكت بالارماق او الدمع لما بلت به الاماق
ثم دولة الراضي بالله ابي العباس محمد بن جعفر المقتدر وكان
مطاعا صئولا قطاعا وصولا وهو اخر من جمع من الخلفا شعره
في ديوان وجلس لهم جلوسا عاما في ايوان وقام خطيبا على
المنبر وفعل افعال من بر وحاضره الندما وسامره منهم كواكب نقلها
الارض لا السما وكان يتحرى عوايد سلفه في ترتيب الخلايف
وترتيب الوظايف وكان عارفا بلغة العرب عاكفا على ما لا حرج فيه
من الادب مولعا بالادب ولوع المطيرك بريا والمعري بالثريا وجميل
بن معمر ببثينه ومصعب بن الزبير بسكينه وله فيه نفس ينسي به
حبيب ويسخ بطربه ما ذكر عن غريب مما لم يوصف باكثر منه علي بن جريج
ولا اصنف في اخس منه اسمعيل بن شريح وكان جوادا اطلق اليمين يهب الالاف
الذهب لا المبين معا وبني من خلق وصي وخلق رضي وكان الراضي لا يرى على
احد ساخطا ولا لصعق بن جنبيه ضاغطا فلا يبيت له نعما ولا يزال الراضي
راضيا يوهبه من افاد المعاني الاسما   قال ابن الاثير الجزري
كان الراضي سمحا سخيا يحب محادثة الادبا والفضلا والجلوس معهم وختم الخلفا
في امور منها انه اخر خليفة له شعر يدون واخر خليفة خطب كثيرا على منبر
وان كان غيره قد خطب بعده الا انه نادر قليل واخر خليفة كانت نفقاته

وجوايزه

وجوايزه وعطاياه وجراياته وخزائنه ومطابخه ومجالسه
وخدمه وحجابه واموره على ترتيب الخلفا المتقدمين قال وكان اديبا
شاعرا وانشد له قوله

يصفر وجهي اذا تامله طرفي ويحمر وجهه خجلا
حتى كان الذي بوجنته من دم وجهي اليه قد نقلا

وكذلك انشد له قوله يرثي اباه المقتدر

ولو ان حيا كان قبرا لميت لصيرت احشائي لاعظمه قبرا
ولو ان عمري كان طوع مشيتي وساعدني المقدور قاسمته العمرا
بنفسي ثرى ضاجعت في تربه البلى لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا

ومن شعره ايضا قوله

كل صفو الى كدر كل امن الى حذر ايها الامن الذي تاه في لجة الغرر
اين من كان قبلنا درس العين والاثر در در المسب من واعظ ينذر البشر

وحكي عن ابي الحسن العروضي مؤدب الراضي انه قال غدا على الراضي يوما
وفي يده درج فوضعه واقبل على ما كنت ولطفه له فاشرع يحصله
ثم اعار عني واخذ ذلك الدرج بتصفحه فقلت له ما درجك ايها الامير
فقال حكمة من حكم الفرس مما ترجم لامير المومنين ابي جعفر المنصور
المستحسنة فقلت اسمعني ما فيه فقرا على انه لا يغر فساد الملك مع صلاح

ندرايه كما لا ينفع مع فساد ورايه كثير نفع وينبغي للملك ان يسوس
وزراه بثقة يمكن فيها احتراس لا يوجد معه حذر وانس يسوي هيبته
وليحذر كل الحذر من اختصاص بعضهم دون بعض وتفضيل بعضهم
على بعض فالوزرا للملك كالطبايع للجسم صلاح الجسم باعتدال
طبايعها وتساويها في القوة كما ان عطبه في قوة بعضها على بعض قال
العروضي فقلت ايها الامير انك اليوم غير محتاج الى هذا وشبهه
فقال كلا اني اليه لمحتاج وان كان عندك علم منه فافدناه وان لم
يكن عندك فاستفده لكي تفيدناه قال فعلمت ذلك سمو همته وثقوب
فطنته وحكي عن العروضي انه قال امليت على الراضي في صباه كلاما
لقدمه وهو ان قدمه شاور اصحابه في رجل يؤمره على جيش اراد
ان يبعث لمحاربة بعض من جاور خراسان من الكفار فقيل له هل لك
في فلان فقال ذاك رجل ذو كبر ومن تكبر اعجب برايه ومن اعجب برايه
لم يوامر نصحاوه ومن على بالاعجاب ودبر بالاستبداد كان من الصنع
بعيدا ومن الخذلان قريبا ومن تكبر على عدو واحتقره ومن احتقر عدوه
قل احتراسه منه ومن قل احتراسه كثر عثاره وما رايت محاربا قط
تكبر على عدوه الا كان مخذولا لا مهزوما مغلولا لا والله حتى يكون اسمع من فرس
وابصر من عقاب واهدى من قطاه واحذر من عقعق واجرى من اسد

واوثب

واوثب من فهد واحقد من جمل واروغ من ثعلب واسخى من ديك
واشح من صبي واحرس من كركي والح من كلب واصبر من ضب واحمل
من نمل فان النفس انما تسمح بالعناية على مقدار الحاجة وانما تعنى
بالتحفظ على مقدار الخوف وقد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب راي
ولا لمتكبر صديق ومن احب ان يحب قال العروضي فكتب الراضي
ذلك بخطه وعكف على دراسته حتى حفظه في مجلسه ذلك فلما حصله
ارتاح وطرب واقبل علي فقال لعل الزمان ان يبلغ بي الى ان اتادب بهذه
الاداب **قلت** وحكي انه سري ليلة على ظهر الكوس والبرق
قد بسم ونعس وقام ونعس وخفي فظهر كانه ثغر خود تبسم محتشمة للعس
كانه عمر الحاجب او يد حاسب او كاتب مات على رغم الدجى ثمارا واومأ
وكان نارا فقال

احدثه وظلام الليل يسهدلب والبرق يطبق احفانا ويفتحها
فلا تسلني وسال كيف ليلتنا لنا امور ولكن لست اشرحها

ثم دولة المتقي لله وهو ابو اسحق ابرهيم بن المقتدر لم يزل
في الملك معلنا وفي الملك متقلبا لم تقم له قناة في يد مسعف ولا جرى
له امر على متوقف وكان في حجر لا ينفك عنه لصنعه ولا يسع مصفه
لما هو عليه من ضعف القوى وتسلط اهل الهوى لم يسمه له طرف الخط

المتناوم ولا اعقل ملازمته رقت الدهر المداوم الى ان طوى الموت
جلابيب سنه واراه ما كان يخوفه انه سيريه فحل ربته واحلى
منه كاس الملك وعرسه وخلع خلع الاسمال وال امره الى ما ال
ثم دولة المستكفي بالله ابي القسم عبد الله بن على المكتفى بن
المعتضد كان لا يكف ذيله عن فجور ولا يعف ليله عما لا يصح له دجور
لا ينفك في عنايه ظلام ولا ينتقل عن بطن جاريه الى ظهر غلام ولا
تزال بيده مفرطقه بمنديل متوجه بكاس الا انها غير سلسبيل وكان
مجلسه معمورا بالعمار معمورا بالدنان كانه حانه بناذا دني بطريق
لا بغداد وكان ربما لم يكتف بمن عنده فتطلب له من نسا المدينه
العواهر ومن ابناء اهلها من يكلفه عمل النسا الفواجر لا يعرف
برا ولا حسنا ولا يخف محمله عن ذكر ولا اتى هذا مع عدم تدرع
على حكم ولا سماع لامره الا اذا سمعت الصم البكم وكان في جميع اموره
كانه لم يزعه واعظ دين ولم يردعه من له معتقد به يدين حتى كان
ليتشبه من بني اميه بالوليد بن يزيد وما ينقص عما يريد بل يزيد
وتلاشت في ايامه الخلافه واضمحلت وانتكثت عقدتها الوثيقه
وانحلت فامحت واهيه القوي ضعيفه لا تتماسك من شدة الجوي
اما قمرها فسقط واما نجمها فهوى ثم دولة المطيع لله

ابي القسم

وبها
ما لدعرس الا الابصار

ابي القسم الفضل ابن جعفر المقتدر ولم يكن له من الامر شي ولا له
فيها ممتد ظل ولا في لم يكن له من الخلافه الا رسمها ولا من الممالك
الا ان يضاف اليه اسمها قد سبح مما لا يستطيب وقنع باسمه على سكة
نقاش ومنبر خطيب وكان في الخلافه كانه سر عفى وعلى المنابر اسم
شي غير مري ما فرح بان ينفذ له امر ورايا به ولا حكم حتى ولا في
اسبابه ما له ذكر خارج حجابه ولا شي يتحرك به بين حجابه قد جعل
قصر مجلسه وقيد مجلسه واكثر ما يتحصل له من اخل بلاده مقدار
ملو خاصرته من زاده بل كان في بعض الاوقات ربما راجع من حجر عليه
في نور بيته بتوسع وترمنه يتجرع قوتا يعطي ووقتا يمنع سوى انه
ما منح في العطا ولا فسح له في كثرة الخلطا وكان لا يمكنه ممانعه ولا يستطيع
ولا يمكنه الا ان يكون لما يقال له السامع ولما يومر به المطيع الا انه
طالت مدته وهو على هذا الحال المقفى والامر الغير مرضي ولا غير
لذته ولا نكير ولا نوسيع له في مجال الحيله ولا تفكير ثم كانت اخرته
انه خلع نفسه وولى ابنه وخلى فكره مما كان فيه واخلى ذهنه
ثم ما عاش الا ايام وخلف اولاده ابنا وبنات اباي ثم دولة
الطايع لله ابى بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع ولم يكمل السنين
ولم يعمل بامره الا فيما وقعت عليه نواظر المقلتين وكانت دولته

بعد ابيه نائبه اسنين وهو وابوه سوا في الحالتين فما قطع ولا وصل
ولا اتصل به احد ولا انفصل وكان يحدث باساة ايهم ثم يحدث له انه
لا ينم وكان المتبوع التابع والمطاع الطايع لا يكلف حمل عب ولا يكفل اخراج
حب بل هو منعم على قدره الكبير كالبعير كيف ما صرفوه انصرف ومهما سار
توليه اقترب ان وقفوه لا يتهم للحرك وان مسوه مشي وان تركوه سرك
كان شاهدا كانه غايب وزاهد الا انه راغب ثم خلع وسمل وسجن ومكث
نحو عشر بن سنه في داره حبيسا ثم دفن الى ان اتاه الموت المريح ونقلوه من قبر
الى اخر من داره الى الضريح **ثم دولة القادر** بالله ابي العباس
احمد بن اسحق بن جعفر المقتدر بويع بالمشاورة وابوه حي واوصى اليه بالاستنابة
وما اتهم حي وكان لما اجتمعت عليه الشورى وحثت له الادا اليه اربابا مشورا
قد لبس بالبطايح ثياب طايح تجهز اليه الشعار الخليفتي واتاه بالسواد في حليه
الشاب الغني ومما بعث اليه من الارث الابوي الاثر النبوي فلما قدم لقي باجلال
الخلفا وجمال المواكب بالسادات والشرفا حتى اذا دخل القصر دخل من سعة
الفضا الى ضيق الحصر وطال سني ملكه حتى جاوزت احدى واربعين وتغيرت
دول الملوك ولا يجد من على الارث يعين فكان كلما اتى اي سلك سبيل
من كان قبله في التضييق وتركه من قبله في فضاء المتسع في مضيق وكان
في صباه مقصورا على حرب وهيام وحور مقصورات في الخيام له كلف

بالجواري

بالجواري والعذاري الهيف ذات كل ردف ثقيل وخصر لطيف وله بكوس
المدام اهتمام وبكوب السابقين الى حل الغرام التيام وبما ينفق بين عمره
مع غير الندام اغتنام وكان لا يبرح ضريع جام ملان او في استحما م
لرحيق ريق فلانه او ام فلان ثم ما نهضت له كلمه ولا قط بالسيف
راس عدوه ولا قلمه فكان مده ولايته لا يضر ولا ينفع لا ولا يبرح
لانه بامر لا ولا ان يشفع عما كان على شي كما قالوا قادرا لا وفيا ولا غادرا
ثم مات حتف انفه ولا شكر الناس من لينه ولا شكوا من عنفه الا انه
مد ولي الخلافه نسك ورجع عما سلك وكانت له مهابه الا انه لا
قتل ولا سفك وذكر ابن الاثير في وقايع اثناييه ان قرواش بن المقلد
العقيلي خطب للحاكم صاحب مصر بالموصل والانبار والمداين والكوفه
وساير اعماله خطبه اولها الحمد لله الذي انجلت بنوره غياهب الغضب
وانهدت بقدرته اركان النصب واطلع بنوره شمس الحق من العرب
فبعث القادر الباقلاني الى بها الدوله بن بويه في ذلك فبعث الى
قرواش فقطع خطبه العلويين ولما مرض القادر وارجف بموته جلس
جلوسا عاما واذن للخاصه والعامه فوصلوا اليه فلما اجتمعوا
قام الصاحب ابو الغنايم فقال خدم امير المومنين داعون له بطول
البقا وشاكرون لما بلغهم من تطوله لهم وللمسلمين باخبار الامير ابي جعفر

لولاية العهد فقال الخليفة قد اذنا في العهد فالقب السلطان وتعل
ابو جعفر علي السرير الذي كان قاعدا عليه وخدمه الحاضرون وقد نقل
ابن الاثير ان الديلم والاتراك كانوا قد طمعوا في الخلافة قبله فلما وليها
اعاد جدتها وجدد ناموسها واطال في هذا ومثله وذكر له مناقب
خير وزهادة ولعل ذلك كان اخر حاله ومما نورده لترجاله ويحكى
عن الانباري قال بعثني بهاء الدولة اليه وساله فسمعته ينشد ذكره منه

• يا عامر الدنيا اتعمرها لم يبق فيه مع المنية ساكن •
• الموت شي انت تعلم انه حق وانت بذكره متهاون •

قال فقلت الحمد لله الذي وفق امير المومنين فقال المنة لله الذي الهمنا
بذكره ووفقنا بشكره المرشع قول الحسن البصري في اهل المعاصي هانوا
عليه فعصوه ولو اعزهم لعصمهم وذكر انه صنف كتابا في السنة توفي
في

ثم دولة القايم بامر الله ابي جعفر عبد الله ابن احمد القادر
ولي بعهد ابيه القادر وعهد زمانه بعد فيه امور كلها من النادر
ولي مرتين وسار فيهما سيرتين فاما الاولى فكان فيها لصيد وقنص
واما الثانية فكان فيها لتصدو وقصص وامتدت ايامه اكثر من ابيه
وكثر فيها تخليط اعدايه ومحبيه وكان ارضى من ابيه نبا وامضى سنا واهب

صبيا

صبيا واشب الى العلو على صبي وكانت همته ملوكية وان لم يجد سبيلا
الى اقتداح زنادها ولا رسلا الى قراح عهادها وكان لا يقنع الا بما كان
عليه اوله ويقرع باب عزايمه والاقدار لا تنوله فكان لا يزال يبتسم
من نفسه دخان اوار ويظهر على وجهه شعاع ما لم يوار ويكتم حاله
والله مبديه ويخاف الناس والله احق ان يخافه ولا يخفيه وكان زماما
المرتهبه من الطرب ويعقه لا يرويه من ماء العنب فكان ربما بسطه المدام
فتحدث ونشطه من عقال المداراة فحل ولم يتلبث وكانت عليه
عيون موكلة بما ترى ومسامع لا تكذب خبرا طاعوى به قلب من كان
في يديه موفرا كالمرتهن ولديه موفرا كالممتهن واعان عليه حاشيه
سوء كانوا حوله واعوان سيئة لا تطيق قوته ولا حوله وكان منهم ابن
رئيس الرؤسا وكان عدوا لارسلان البساسيري وهما الخلافة
فالا في اوسبر وطغرا ابن رئيس الرؤسا بارسلان الساسي وملك فلم
يسمح وافسد ولم يصلح وكان الاولى بمثله وهو رب القلم وذاك رب السيف
ان يعفو اذا قدر ويصفو اذا اكدر لما التفت الى ما هو به جديرا
ولا عاقب الى معاقبة ضعيف لا قدير فنكل به اشد التنكيل ومثل
به اقبح التمثيل وبسط عليه العذاب الاليم وسلط العقاب على الحريم
وفعل في ذلك فعل من طغى ونوخ بعيرا مضيعا لم ينخ لما قنعت تلك الشوكة

الا بخلع الخليفه والقبض عليه وارحافه بالحيفه وتعويقه مرسمًا
عليه في دار بالحديثه وسعت في اعضاء حوله تلك السوكه الخبيثه دعاه
الا دعيا سكان القصر بمصر تحسنوا لهم موالاه المستنصر وطال
سعيهم معهم ولم يقصر حتى استجابوا لكلمتهم ودب فيهم سم حمتهم
وخطب ببغداد والعراق للمستنصر ابي تميم معد بن الظاهر العبيدي
خليفه مصر وحمل على اعناق المنابر نقل ذلك الاصر الى ان انقضت
سنه وما غمضت مقلا سنه ثم انتحى له ملوك المشرق وردوا رنامته
المشرق ومدوا اظل عصره المونق فتوجوا روس المنابر والمفرق واجروا
على علوابه الجواد المعرق وبمن المشام بما اعرف فيه المعرق وافيم
القايم واعيد الى بغداد واعلامه سى ايتاحا وترسل للبشرى
بين يدي نهاره ياحا فدخل الى قصره ونول دسته وحل في صدرها وحلي
جيده بدرها وحل به منصب الخلافه على ما كان اواسني وجد حتى
ظفر باعدايه وبلغ مما تمنى وانفرضت في ايامه دولة العجم
وانقضت بغير عود من النضال عجم فطلع طالع الخلفا ونجم
وصار مستقبلا لو اراد الولوح على الاسد لهجم او العروج الى
السحاب لصار وصاب وانسجم واما ابن رئيس الرؤسا فانه اكل
مما طبخ واحرق بما نفخ هذا قبل ان بدال القايم وبداركه الدور

على

الظالم لكن البساسيري لم يلح في تقاضي دينه ولا كفر بهلاكه رب
دينه بل قنع من لم يلح في تقاضي دينه ولا كفر بهلاكه رب دينه
بل قنع من الاقتدار اربابه اظهره ولبسه طرطورًا وركبه
على جمل واشهره ثم لما ثبت تلك القايم عهد الى ابنه ذخيره الدين
ابي العباس محمد فعجل الزمان باتفاق الذخيره وقدر بانتقالها
الى الله الخيره فاودع القايم ربه من الذخيره ما كان دخر وودع
على الضريح قلبه وما كان به قد فخر ورجع البكا ثم استرجع
من اسه المعدى لبن الذخيره اشاعه الاخر وعهد اليه وعقد
لنجم سما وغيث همى وبحر زخر وقد ذكره ابن الاثير وقال وكان
القايم جميلا مليح الوجه مشربا حمره حسن الجسم ورعًا دينا زاهدًا
عالمًا قوي النفس بالله تعالى كثير الصبر وكانت له عنايه بالادب
ومعرفه حسنه بالكتابه ولم يكن يرتضي اكثر ما يكتب من الديوان
وكان يصلح اشيا وكان يوثر العدل والاحسان مريدا لقضا حوايج الناس
لا يرى المنع من شي يطلب منه قال محمد بن عامر الوكيل دخلت يومًا الى المخزن
فلم يبق احد الا واعطاني قصه فامتلات اكمامي منها فقلت في نفسي لو كان
الخليفه اخي لاعرض عن هذه كلها فالقيتها في البركه والقايم ينظر ولا اشعر
فلما دخلت عليه امر الخادم باخراج الرقاع من البركه فاخرجت ووقف عليها

ووقع فيها باعراض اصحابها ، قال لي يا عامي ما حملك على هذا قلت
خوف الضجر منها فقال لا تعد الى مثلها فانا ما اعطيناهم من اموالنا شيا
انما نحن وكلاؤه رحمه الله توفي

ثم دولة المقتدي بامر الله ابي القاسم عبد الله بن محمد الذخيرة
ابن القايم وكان تحت كنف بني بويه كانه صبي ضرب الحجر عليه مع ما كان فيه
من عقل وسكينة وفضل يصلح دنياه ودينه وكان لافراط التضييق عليه
لا ياخذ لقلمه نصا ولا ينفذ حكما ولا قضا ان اغضى على ما يكره عينه ولم
يدر كيف يتقاضى دينه الا انه استزوج بمراسلة يوسف بن تاشفين
وبرد حرقته بمكاتباته وما سفين وجهات بينهما عرض الارض وسر
البر وعرض البحر وملوك العبيديين بمصر بين يديهما حاجز وحايل بينهما لا يزيله
عاجز وانما كان تعلل نفسه بالمنى ويؤمل مدد النصر من هنا او هنا
فلم تنقطع بينهما المكاتبات ولا حجبت ارواح الابتدات والمجاوبات وكان
يرغد عيشا بعلالته ويتملا ريا ببلالتها وربما كتب الى ملوك ما وراء النهر
تعويل الوسول بالردو التهدد وقيل له لو قمتم بامور الدين وتركتم
الاباطيل السفه واقاويل الشبه واخذتم بما تبين لا بما اشتبه وبما يخبركم
من الحق او الخبر لما تسلطت عليكم احكام الجايرين ولا سطت بكم ايدي
الحكام المجاورين لكنكم تعلمتم وقلتم وعلمتم وجهلتم وعدد عليهم مساوي

ما ارتكبوا وفضايح ما احتقبوا وكان المقتدي ممن يرتاح للندى ويلتاح
بجمر هدي دله هدي ماثور ساطع ارج المنثور كانه بالعبير نضح وبرشاش
ما الورد نضح يوثر للخير ولا يلتقي عليه مساعدا ويوثر للجود ولا يخلف
عليه مواعد ويقارب حال السلف ولا يكون متباعدا ويقارن همامي العمام
ولا يقدم راعدا وكان ابوه ابو العباس محمد الذخيرة قد مات كما ذكرنا
في زمان ابيه القايم وتلقى من رضوان ربه تحية القادم فلم يكن
للقايم دابا الا تاديب المقتدي وقراة سير الخلفا الصالحين عليه
كعمر بن عبد العزيز والمهتدي واعلامه باحوال الدول مسيبها ومحسنها
وامره بتصفحها والاخذ باحسنها حتى كان لو تمكن بادره وحاتمه لا ول
الغيث او بادره وقد ذكر ابن الاثير انه مات فجاة قال كان قد احضر
عنده تقليد السلطان ركن الدولة ليعلم فيه فقراه وتدبره وعلم فيه
ثم قدم اليه طعام فاكل منه وغسل يديه وعنده قهرمانته شمس النهار
فقال لها ما هولاء الاشخاص الذين قد دخلوا علي بغير اذن قالت فالتفت
فلم ار شيا ورايته قد تغيرت حالته واسترخت يداه ورجلاه وانحلت
قوته وسقط الى الارض فظننتها غشية لحقته فحللت ثوبه فوجدته قد
ظهرت عليه امارات الموت فما سكت وقلت لجارية عندي ليس هذا وقت اظهار
الجزع والبكا فان صحت هلكت فاحضرت الوزير فاعلمته الحال فشرعوا

في البيعة لولي العهد وكانت ايامه كثيرة الخير واسعة الرزق وعمرت به محال بغداد وتوفي

ثم دولة المستظهر بالله ابي العباس احمد بن عبد الله المقتدي

ولم يكن مثل ابيه في باسه بل كانت له يقظة بيسة وكان مقبلا على لهو مشتملا على زهوة يميل الى الخمر ويميل به سكرا ويميد بعطفه فيسجد ثملا لاسكرا لا يعرف راحة الا موصولة براح ولا افتراح مسرة الا باقداح فلا يعطل حسا الكووس ولا حبب عقد العجوز العروس اوقاته كلها طرب وانتشا وحرب في كووس نذ وربما ابدى به وربكة وعشا وكان ذا حظ من الادب وحض اليه وندب وباسمه الف ابو محمد القسم بن محمد الحريري كتاب المقامات بامر وزيره شرف الدين ابو شروان بن خالد وكان بن جهور يقول ان الذي اشار عليه بها في قوله فاشار من اشارته حكم وطاعته غنم انه المستظهر وقد ذكره بن الاثير وقال كان لين الجانب كريم الاخلاق يحب اصطناع الناس ويفعل الخير ويسارع الى اعمال البر والمثوبات مشكور المساعي لا يرد مكرمه تطلب منه وكان كثير الوثوق بمن يوليه غير مصغ الى سعاية ساع ولا ملتفت اليه وقاله وكانت ايامه سرور للرعيه

فكانها

فكانها من حسنها اعياد وكان اذا بلغه ذلك فرح به وسره واذا تعرض سلطان او نايب له الي اذي بالغ في انكار ذلك والزجر عنه قال وكان حسن الخط جيد التوقيعات لا يقاربه فيها احد يدل على فضل غزير وعلم واسع ومن شعره قوله

• قد اخلف الوعد بدر قد سعفت به من بعد ما قد وفي دهوي بما وعدا •
• ان كنت انقض عهد الحب في خلدي من بعد هذا فلا عاينته ابدا •

قال بن الشريشي وكان للمستظهر رغبة في الطلب وعناية باهل العلم قال وحدث ابن جهور انه دخل بغداد في ايامه وبها الف وخمس مائة رجل حامل علم وكلهم قد اثبت اسما وهم السلطان في الديوان واجري على كل احد من المال بقدر حظه من العلم قال وكان ابن جهور يحدث ان الحريري الف المقامات كلها على الركاب وذلك ان المستظهر لما امره بصنعتها خرج كالحافظ على العمال وكان يخرج في الابرد بن يمشي في صفتي دجلة والفرات يصقل خاطره بنظر الخضرة والمياه فلم يقصر فضل العمل الا وقد اجتمع له ما بنا مقامه فخلص منها خمسين واتلف الباقي وصدر الكتاب ورفعه فبلغ عنده اعلى المراتب انتهى كلامه قلت وفي ايام المستظهر اخذت الفرنج بيت المقدس واكثر بلاد الشام وظهر التهتك بالقبائح

وقلة الاحتشام وفشى امر الربا وشرب الخمر والزنا فكثرت الملاهي
وقلت النواهي وعظمت تلك الدواهي فعجل لهم العقاب وعذبوا
باخذ البلاد منهم وهو اخف العذاب وكان المستظهر ذا نادرة
كتب اليه الابيوردي قصه وكتب على راسها الخادم المعاوي فكشط
الميم فصارت العاوي • وحكي عن بن جمهور ان المستظهر
جلس يوما للندما والجو قد لبس الغمام لام ولبس منه بدخان حريق
لا يضي له جمر واسبل ذيله كانه طيالسة الشهود وجنح الرباب منه
مثل ارملة الوفود وسد فروج الجو مثل نفسه للجنود وقعقع
بجمه السحاب بدف قدامه طبول الرعود وانتضى سيوفه البرق الا انها
لم يكن في الغمود فقال من يصف هذا اليوم فندر رجل منهم يعرف
بالاركيجي فقال يوم غمام ورعود ومطر وبارق ملتهب بلا شرر
كانه في عينه اذا التهب ذو جمرة قد زمانا واستتر مذ ملك المستظهر
الهادي يظهر حلمه وعفوه اذا اقتدر فطرب لقوله وقال لا اشرب
يومي كله الا على ما قال ووصله بخمسمائة دينار وحمله على فرس
من خواص خيله وحكي انه زارته جارية له تسفر عن صباح وتفتر
عن اقاح كان بها مغرى وكاد يملا بها صدرا فاطال عناقها ولثم
خدها وشال ساقها فخانته حالته ولم تطاوعه الته فنهض لاستعمال

الما فوجد وكعا من بعض الاما فانتشر عليه انتشارا لم يملك
بعده الصبر حتى فعل ذلك الامر فلما فرغ قال

• زار الحبيب ولم يكن لي عنده زورته مساعد •
• وسطا اللعين وناك من لا يشتهيها نيك مارد •
• يا من يصلي في الكنايس ثم يخرا في المساجد •

ثم دولة المسترشد بالله
ابي منصور الفضل بن احمد المستظهر
وكان مع الملوك كشان الخلفا قبله وعلى ما كان عليه من كان مثله
وكان الغالب عليه جمال الدوله سنجر غلبه من حجب وحجر والمسترشد
يظهر اعراضا في ابتغا ويسر حسوا في ارتغاء كانه زند النار
ظاهره حجر وباطنه اوار وبقي يتربص بسنجر الدوائر ويوقد
له البواتر وسنجر لا يقع في حبالته ولا يلين له جانب حالته الى ان نذر
لسنجر اجل احله انتح والقى مرط امله واطيح فخف عن صدر المسترشد
ثقل ذلك الطود وامن تخطم ذلك العود وقام نور الدوله مسعود بن سنجر
ولم يكن المسترشد ممن يتهيبه ولا يخافه ويجد في توقيه فطمح الى الوقوف
على امر مملكته وعمل على موت مسعود وهلكته ليحلو له الجو ويتبع
الاسد الذاهب بالبو فقال الشريف الغرناطي فصنع المسترشد
دعوة عظيمة لنور الدوله مسعود بن سنجر ووجوه الدوله

ونوى قتلهم ففطن لذلك مسعود فدخل عليه في رجلين من
قرابته واوى الي تقبيل يده فجذبها جذبة شديدة القاه بها عن
السرير الى الارض والقى عمامته في عنقه واراد خنقه ثم كف عنه
وخرج وفي قلبه منه ما فيه منه قلت ـــــــ وبقيا على ازورار
البغضا والانحراف يتقلبان على مثل الرمضا ثم قتل بعد ذلك بايدي
الباطنية واورداه المنية قتل بارض الاعاجم ودخل عليه الاجل
الهاجم وكانت قتلته بباب اصبهان القديمة وتوت بها وبكا به
المقيمة وكان يمني نفسه الاستقلال بالخلافة من غير شريك ولا
مزاحمة تكون لمليك وكان المسترشد يتشدد عند تراكم ويتزايد
الرجال في حربه انا الاشقر الموعود بي في الملاحم وكان هكذا
اشقر ابيض كان لولوا على صفحاته يرقص واني لعينه بغداد فاظلم
جوها لملم ممانه واظل اهلها عم وفاته وارتجت لمهلكه اكناف العراق
وفاضت دجله بالدموع التي تراق ولم يبق بها حبيبة الا وبها نايحة ولا
جارحة الا وفيها جارحة لما فقدت من بعد سويه وعدل اماث
العدو وخوفه حكي مويد الدوله اسامة بن منقذ قال كان المسترشد
يلحق بالصدر الاول من سلفه في علو الهمه وحسن السيره والاقدام
العظيم فانه لما التقى هو وعماد الدين زنكي بن اقسنقر في المصاف

بعض قوت

بعض قوت وانا حاضر المصاف ضرب له خيمة من اطلس اسود ووضع
له فيها تخت وجلس عليه والخيل تطرد نكسر عسكر زنكي في يوم
الاثنين السابع والعشرون من رجب سنه ست وعشرين وخمسمايه
فاستولى على كل ما فيه وانهزم زنكي الي الموصل وذلك الاقدام سبب
تلفه وانشد القاضي جمال الدين محمد بن واصل للمسترشد

انا الاشقر الموعود بي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مزاحم
سيبلغ ارض الروم خيلي وينضي باقصى بلاد الصين بيض صوارمي

ثم ان المسترشد حاصر في العشرين من رمضان سنه سبع وعشرين
وخمسمايه مدينه الموصل فقصد باب المسترشد جماعة من
الامرا السلجوقيه وخدموه وقوي بهم واتفق اشتغال السلاطين
بالخلف الواقع بينهم فارسل المسترشد ابا الفتوح الاسفرايني
الواعظ الى عماد الدين زنكي برساله فيها خشونه وزادها ابو الفتوح
زيادة في الجنة ثقة بقوة الخليفه وناموس الخلافه فقبض عليه
عماد الدين زنكي واهانه ثم دام الحصار على الموصل نحو ثلثه اشهر
فلم يظفر منها بشي فعاد الى بغداد وحكى الامير سديد الدوله ابو محمد
ابن الانباري كاتب الانشا قال وقع بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه
وبين المسترشد خلف وخرج المسترشد لقتاله مرتين وكسر فلما مات

السلطان محمود وولي اخوه السلطان مسعود بن محمد استطال نوابه
بالعراق وعارض الخليفه في خاصيته فوقعت بينهما وحشه وتجهز المسترشد
للخروج وجد في ذلك فدخل اليه الوزير شرف الدين علي بن طراد
الزينبي وكمال الدين صاحب المخزن وانا معهما وكان المسترشد قد طرد
نواب السلطان عن البلاد ورتب صاحب المخزن للنظر في المظالم
فلما دخلنا قال له الوزير يا مولانا في نفس المملوك شي فهل يؤذن له
في المقال فقال قل فقال الي اين تمضي وبمن تعتضد والي من تلتجي ومقامنا
ببغداد امكن لنا ولا يقصدنا احد والعراق فيه لنا الكفايه فان
الحسين بن علي عليهما السلام لما خرج الي العراق جري عليه ما جري ولو
اقام بمكه لما اختلف عليه احد من الناس فقال لي الخليفه ما تقول
يا كاتب فقلت يا مولانا الصواب المقام وليت العراق يبقي لنا فقال
لصاحب المخزن يا وكيلي ما تقول فقال ما في نفس مولانا وانشد
الخليفه قول المتنبي

واذا لم يكن من الموت بد فمن العجز ان تموت جبانا

وخرج وخرجنا معه فلما قاربنا همذان وقع المصاف بين الخليفه
والسلطان مسعود بن محمد بمكان يسمي داي مرك قريب همذان فلما
اصطفت العساكر نفر من معسكرنا جميع الاتراك الي ناحيه السلطان

ثم

ثم وقع القتال فانهزم الخليفه وارباب المناصب وحمل الوزير وصاحب
المخزن وانا ونقيب العلويين الي قلعه سرجهان قريب قزوين
وبقي الخليفه مع السلطان وسار معه في بلاد اذربيجان الي ان وصلوا
الي مراغه فهجم علي الخليفه ثلاثه نفر من الملاحده والباطنيه
وهو في خيمته فقتلوه وقتلوا معه ابن سكينه وكان يصلي به
وذلك في يوم الخميس لاربع بقين من ذي القعده سنه تسع وعشرين
وخمس مايه فلما قتل الخليفه اظهر السلطان مسعود الجزع العظيم
والحزن الكبير ودفن الخليفه بمراغه ووصل الخبر بذلك الي العراق
فحزن الناس عليه حزنا عظيما وبويع بالخلافه ولده الراشد
ببغداد واستقرت خلافته فيها وذكر الشريف الغرناطي ان المسترشد
عهد الي الراشد حين بلغ وانه بلغ لتسع سنين وانه لو كان يمكن
اعادها سفاحيه منصوريه قلت ثم قدم السلطان تبريز وضرب
عنق دبيس بن مزيد صاحب الحله قال ابن الانباري لما قتل المسترشد
احضرنا السلطان مسعود وقال ما التدبير في امر الخلافه ومن تولي
فقال الوزير الخلافه لولي العهد يعني الراشد وقد بايعه الناس ببغداد
وجلس واستقر وبويع له من قبل قتل ابيه بولايه العهد وبويع له الان
بالخلافه فقال السلطان ما لي الي هذا سبيل ابدا ولا اقره عليها فانه تحدثه

نفسه بالخروج مثل ابيه كان قد خرج على اخيه محمود مرتين
وعلى مسعود وهذه اخرى فتم عليه ما تم وبقيت علينا شناعة
عظيمة وسبة الى اخر الدهر فانه يقال قتلوا الخليفة وهم كانوا
السبب في عود الخلافة الى هذا البيت ولا اريد ان يلي الامر الا رجل
لا يدخل في غير امور الدين ولا يحقد ولا يجمع ولا يخرج على
ولا على اهل بيتي وفي دار الخلافة جماعة فاعتمدوا على شيخ منهم
صاحب عقل وراي وتدبير يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا ولا يخرج
من داره قال ابن الانباري ثم ارسل السلطان مسعود الى عمه السلطان
سنجر بن ملكشاه يستشيره فيمن يولي الخلافة فارسل اليه يقول
لا تولي الخلافة الا من يضمنه الوزير وصاحب المخزن وكاتب الانشا
فلما وصل السلطان همذان اجتمع بنا واشار بهرون بن المقتدي
وعرفنا بما امر به عمه السلطان سنجر فقال الوزير اذا كان الامر
يلزمنا فنحن نولي من نريد وهو الزاهد الدين الذي ليس في الدار مثله
فقال السلطان من هو فقال الامير ابو عبد الله محمد بن المستظهر فقال
وتضمن ما يجري منه فقال الوزير نعم وكان الامير ابو عبد الله
صهر الوزير على ابنته وانها دخلت يوما الدار في خلافة المستظهر
فراها الامير ابو عبد الله فطلب من ابيه تزويجها فزوجه بها فدخل

ربها

بها وبقيت عنده ثم توفيت فقال السلطان ذلك اليكم وكتموا الحال
لئلا ينتشر الامر فقتله الراشد ثم رحل السلطان والجماعة نحو بغداد
فاما الراشد فانه لما بويع ببغداد بالخلافة بعد مقتل ابيه المسترشد
بالله ارسل الى الامير عماد الدين زنكي بن اقسنقر يستدعيه لنجدته
وضمن له ان يكون السلطنة والملك للملك الب ارسلان بن محمود بن محمد
بن ملكشاه الذي عنده اتابك وان تكون اتابكية السلطنة والخلافة
بحكم عماد الدين **ثم ولي الراشد بالله** ابي جعفر منصور
بن الفضل المسترشد وكان ابيه يسترشد وعلى نحو ما قرره يجل
ويعقد ويبعد ويقرب ووجد لمهلك ابيه ما لا تقدر ملك نار ولا تدرك
نار ونسب الى مسعود ابن محمد قتله وانه الذي قرر غيلته وهو لا يجد
سبيلا ولا يستنجد قبيلا خشية ان يفطن لمرامه فيعاجل قبل ابرامه
ثم صرفه القدر عما اراد وابكى السيف والنجاد وبويع بعد ابيه المسترشد
وكانه لما ابيه لم يسترشد رشد ضلالته لا نعلم بولي مرشد وضلالته لا تعرف
لنا رشد ولا يبشد فكان ~~ينشد~~ يبيت على مثل حسك السعدان ويتململ
كلما حضر الابردان وفطنت الملوك لما تناجي به وساوسه ويسار
به ضمائره وهواجسه وكان طائشا عجولا يركب معارف ومجهولا فخافت
ابتداره وخشيت اذا تمكن اقتداره لانه اسد اهيج واقم حرك لامر مريج

فما تمكن ولا تفرع لان ساور ولا يلدغ بل خلع خلع الرداء والقي

القا الدارع للامه الحصدا وانبت عليه محضر بانه فسق ولولا الملة

لقالوا انه مرق وفارق الدين وقطع حبله من حيث رق وقد تقدم في

ترجمة ابيه المسترشد الخبر الغريب في سرعة بلوغه مبالغ الرجال

وما كان من مبايعته بعد مقتل ابيه واباء السلاجقة له لافراط

خوفهم منه وجراه الراشد وتسرعه وخفة نفسه واهم السلاجقة

امره وجعلوه نصب عينهم ومن الغرايب ان المسترشد كان اعطاه

عدة جواري فحملت منه جارية حبشية صغرا وهو اذ داك ابن تسع

سنين فانكر المسترشد هذا ثم امر بان يطا جارية حملت قطنا فوطيها

فلما قام عنها اخرج القطن وعليه المني فاري المسترشد ثم امر بان يفعل

كذلك في جارية اخرى فكان الامر كذلك فحينيذ ايقن ببلوغه والحق

الولد وذكر ابن الاثير في خلعه ما ملخصه انه كان قد كتب خطه

بانه متى جند او لقي احدا من اصحاب السلطان مسعود بالسيف فقد

خلع نفسه وكان قد لقيهم بالسيف حين قصد طايفة منهم ان يحجوا عليه

دار الخلافة فافتى الفقها بخلعه فقال وقيل غير ذلك قلت والصحيح

ان السلطان مسعود خانه واعانه الوزير شرف الدين علي بن طراد الزينبي

وكمال الدين ابن الفضلان صاحب المخزن وابن الانباري كاتب الانشا

لخوفهم

لخوفهم منه ووافقهم على ذلك اصحاب المناصب ببغداد الا البسير لانه

كان قد امسك بعضهم وصادر بعضا وحشا قلوبهم له بغضا وامسك ثم انتهى

امره انه قتله الباطنية في

ثم دولة المقتفي لامر الله

ابي عبد الله محمد بن احمد المستظهر وكان ممن يبطن خلاف ما يظهر كان يظهر

قبل مصير الخلافة اليه الانقطاع والعبادة وملازمة السجود

والسجاده مع سوء معتقد وطويته وقبح عقد ونيه وظلم لا يامن

معه بري وتسلط كالاسد الجري لم يكن فيه نزاهة المقتفي ولا كان

لامر الله المقتفي بل كان يتجنى سوابقه ولا يختفي وسري الى خارج

قصره ولا يكتفي وهو مع ذلك يصانع ويداري ويستر العار بالعواري

ولا يطهره من رسه ثوبا ولا ينتظر له توبة اوبا بل هو في دنس لا

ينقى وذنوب لا تتوقى وملازمة زخارف لا تبقى وسماع ملاه لا يلقى

بين ضروب ملاح ريقها يسقي ولهيب راح لا يصليها الا الاشقى هذا

الى ما فيه من نكوب عن الرشاد ونكول عما شيد سلفه وشاد ولم يكن

بعيدا من ابيه المستظهر في مواصلة اللهو ومواقفة الخمر وترصيع

اوانيه بيواقيته لكنه كان يزيد عليه بانه ظالما عسوفا حاكما

جايرا عنيفا طالت مدته وغلت وقطعت اعمار الخلق حتى انفصلت

هذا كله وعارضه اشيب وقد ان له المشيب الا انه لبس السواد لما اسرج

له الاشهب على انه لما نحسه الايام حسن شانه وبرته الليالي فاصل
جلبابه وسدده الوقايع وسعه سم النقايع ونورت لمته العوب فسودتها
وعزت همته عما عودتها وعرفته قدر ما فرط في لياليه الاوايل وايام
شبابه القلايل فانكر دلك الزمان بما بدله من الهواجر ودفع
تلك السحوف وقد كن لا ترفعن الا بالمحاجر اد كان لا ينكر ودلك الدمي
ولا يسعر منه نفارا الوحش من قايض وابن نكصه اسهما نحرفت نفسه
عن ماء تلك العناقيد ونبع مساقط اعين تلك العدم لم يزل به
الجد حتى رفل في برد الشيب واقبل على ما لم يحمد معه باخر المشيب
على انه ابد من عون الدين ابي المظفر يحيى بن هبيره بود يبو لابصارمه
سيان رايه وصارمه وسنان مواصله ومصارمه ما قوم مثله
ابو مسلم في خراسان ولا فعل نظيره في الاندلس عبد الرحمن ولا قام
قيامه في اول الدوله فتى شيبان ولا في مملكة الفرس رستم
بن دستان ولا سلك الا سبيل اصف مع سليمان فكان نعم العون
في منع الصون فقد كان يجهد ولا يعيا ويميت الاعدا وهو يحيى فسد
عوار المقتفي ووازله وقدح زناد سعادته واوراه حتى وطي ملوك
ال سلجوق ووطد ملوك الدول ودوحها ومحا بصباح رايه ليلها
ونسخها فاعاد الي روس الدوله العباسيه حوتها واعزها شما

وبقيه

وبقيه قد بشر حوتها ثم لما مات المقتفي وقام بعده ابنه ابو عبد الله
محمد وتلقب بالمامون فما تمت بيعته ولا سالمته المنون عاش بعده
نحو شهر وما كمله ولا تم له منذ دكر ما امله بل لم يزل الحبل محمولا على
غاربه طرفه بيده والطرف الاخر بيد جاذبه حتى بويع اخوه المستنجد
ودفع الامر الى المستنجد قال ابن الانباري فلما كان يوم الاحد سابع
عشر ذي القعده سنه ثلثين وخمسمايه مضينا مع الوزير ابن طراد
الزينبي الى دار السلطان مسعود بن محمد ونحن معه فاخذ السلطان خطوطنا
بالضمان ثم اصبحنا فحضرنا عند الامير ابي عبد الله محمد بن المستظهر وشرطنا
عليه مطاوعة السلطان على ما ضمناه عليه فرضي به ثم مضينا الى السلطان
فاعلمناه بما كان فامر بمبايعته فلما كان من الغد صعدنا الى الدار
فاخرجنا منها اشيا لالات الغنا وما لا يليق وشهد جماعه من اهل
الدار ان الراشد كان يشرب الخمر فافتى الفقها بخلعه وحكم القضاة
بذلك فخلعوه ودخلت الى الامير ابي عبد الله نحن انا والوزير وصاحب
المخزن وتحدثنا معه وناولته رقعه فيها ما يلقب به فكان فيها المقتفي
لامر الله فقال مبارك ثم مد يده فاخذها الوزير وقبلها وقال بايعت سيدنا
ومولانا الامام المقتفي لامر الله امير المومنين على كتاب الله وسنه رسوله
صلى الله عليه وسلم والاجتهاد ثم اخذها صاحب المخزن وقبلها

وبايعه على ذلك ثم اخذت يده وقبلتها ثم قلت بايعت سيدنا ومولانا
الامام المقتفي لامر الله امير المومنين على ما بايعت عليه اباه واخاه وابن
اخيه في ولاية عهده ثم قمت من عنده ودخل الامرا والقضاة والعلما
واكابر الناس فبايعوه ثم حضر السلطان مسعود عنده وكلمه المقتفي
بكلام وعظه فيه ثم عرفه ما يلزمه من طاعة الخليفة وامره بالرفق
بالرعية والاحسان اليهم وخوفه عاقبة الظلم فبايعه السلطان
وقبل يد الخليفة ورجع الى دار السلطنة واما الراشد فانه اقام
بالموصل عماد الدين اتابك زنكي ثم ارسل زنكي الى بغداد القاضي
كمال الدين محمد بن الشهرزوري فلما حضر قيل له بايع امير المومنين
فقال امير المومنين عندنا بالموصل وله في اعناق الخلق بيعة متقدمة
وطال الكلام ثم عاد الى مثله فلما كان الليل جاءته امراة عجوز سرا
وابلغته رسالة عن المقتفي مضمونها عتابه فقال غدا اخدمه خدمة
يظهر اثرها فلما كان الغد احضرت الى الديوان وقيل لي في معنى
البيعة فقلت انا رجل قاض ولا يجوز لي ان ابايع الا بعد ان يثبت
عندي خلع المتقدم فاحضروا الشهود وشهدوا عنده بما اوجب
خلعه فقال هذا قد ثبت ولكن لا بد لنا في هذه الدعوة من نصيب لان امير
المومنين قد حصلت له خلافة الله في ارضه والسلطان فقد استراح ممن كان

بقصده

بقصده فنحن باي شي نعود فرفع الامر الى الخليفة فامر بان يقطع عماد
الدين زنكي صريفين ودرب هرون وحربى ملكا وهي من خاص الخليفة
وان يزاد في القابه وقيل هذه قاعدة لم يسمح بها لاحد من زعما الاطراف
ان يكون له نصيب من خاص الخليفة فعاد وقد حصل على جملة صالحة
من الاموال والتحف وكان المقتفي من ذوي الهمم العالية والآراء
السديدة والسياسة الوارعة من رجال بني العباس الافراد مكث في الخلافة
اربعة وعشرون سنة منها سبعة عشر سنة في مداراة الملوك السلجوقية
وسبع سنين وشهور مستبدا بنفسه مقارعا للسلاطين قامعا لمردة
اولئك الشياطين مدوخا للبلاد دافعا للخوارج عليه وحضر مصافات
عدة وثبت في حصار بغداد وكان ذلك شهورا يجري في كل يوم منها
مصافات وهو رابط الجاش ثابت الجنان منشرح الصدر منبسط الامل
وكان في نفسه قساوة وغلظة وايد بوزيره عون الدين ابي المظفر
يحيى بن محمد بن هبيرة ووزر له رابع ربيع الاول سنة اربع واربعين وخمس مائة
وهذا وزير لو كان للوزرا لذكرته كاحدهم ولكنه كتاب اجله ونعله
دليل عليه وسا ذكرته مع الوزرا في الاتصاف الا اسوة بهم للتسمية
ولكنه يعد من عظما الخلفا وكبرا الملوك لعظم ما فعل وجليل ما صنع
وهو الوزير الذي انطق الدولة العباسية بعد الخرس واجرى عودها

الماءَ بعد اليبس

وتعرف الخلفا ان حظوظهم في جنبه الاسراج والالجام

ووزر بعد للمقتفي وشد ازره فيما كان يعتلج في صدره ويتمناه
من علو قدره ولم يزل يسحب الدولة السلجوقية سحب المبارد ويدنف
لها في ارب النحل سم الاساود ويسم ولاة الاطراف على ما فرض
الله عليهم من نصر الايمة ويوقد مصابيح بصائرهم في كشف ليالي
الفتن المدلهمة ويوبخهم على ما قنعت به هممهم الدنية وما غشيهم
من الذل والصغار في طاعة السلجوقية حتى شذب عن دولة
العجم من كان نصرها على الخلفا ويفعل في تفريق تلك الجموع
ما لا فعل نصير مع الثريا حتى صار كل من كان للسلجوقية على الخلافة
عونا قادحا للخلافة على من عداها عينا وهو لا يسلك في ذلك الا المسالك
المرضية ولا يدعوا الا بالنصائح الوعظية ولا يحض الا على نصر كتاب
الله وسنة نبيه المثلى ولا يبعث الهمم الا لتكون كلمة الله هي العليا
ولا يخضع بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض ولا يرسل سهم قول فيقنع
بما دون الغرض ولا يغضب الا لانتهاك محارم الله وتعدي حدوده
ولا ينهى عن منكر الا محذرا لمرتكبيه من عذاب الله ووعيده ولا ينجح
له سعي فينسب النعمة الا عند الله تعالى ولا يقوم مقاما فينسب له مع الدهر

مقالا

مقالا ولا افعالا ولا آراء ولا يسمع برجل ولي عظائم الامور الدينية
والممالك السلطانية وهزم الجيوش خائضا لغمراتها معرضا ورده
لاسنتها وظباتها كان اشد تبرما الى الله من حول نفسه وقوتها
منه ولا اكثر اعترافا بفعل الله فيه فيما يصدر بالمباشرة عنه
فما ادعى لنفسه فعلا ولا قولا ولا اعتقد لها قوة ولا حولا لكنه
يذكر كفاية الله التي جبرت نقصه وقومت خطاه وقدمت على المشرفية
سطاه ويقول ما رأيت في هذا الامر الذي لابسته انفع من دعاء وجدته
في مجموع لابن سمعون ولا ابلغ من ذكر رأيته في كتاب فضائل الاعمال
لابن ابي الدنيا ولا كان في قلبي اوثق من ركعات تعلمتها من فلان المجاور
بجامع المهدي وذكره الوزير ابو غالب عبد الواحد بن مسعود الشيباني
بهذا وقال لقد كان لهذه المحاسن من افعاله واقواله هيئة وصيغة لا
ينهض العبارة باداءها ولا تؤدي الحكاية جزءا من اجزائها وللصدق
عليها شواهد من جنس ما تسميه الصوفية ذوقا لا يدركه الا من خالطه
ورأى هيبته وسكينته وخضوعه لله واستكانته واعتزازه
بالله في كل مقام يتخاذل فيه القوي وينقصم فيه الا من استمسك بالله العزيز

وهو مع الله على علاته ماض مضاء المشرفي الصارم

وقصد السلطان مسعود بن محمد بغداد سنة خمس واربعين وخمسمائة

وتلقاه ابن هبيرة الى النهروان وابلغه سلام الخليفة واستبشاره
بمقدمه وانتظاره لتقدمه ثم عاد وقد ملأ الصدور بما شاهده
ارباب الدولتين من قوة جنانه وطلاقة لسانه ومهابته التي
ظهر على السلطان مسعود اعظامها وهان عليه ملك ممالك أهل
بيته ونظامها وقال ابن الفضل

ولما رأى السلطان عزمك التي هي السعد اعشاه عن اللحظ نورها
وما زال من فرط المهابة مطرقاً بعينيه حتى ما يكاد يديرها

ثم باكر اليه ثاني يوم دخوله مهنياً بالاستقرار والاياب
الذي قربه القرار ثم خطب خطبة ابلغ فيها موعظة السلطان
وتذكيره بآخرته وتمثل مقامه بين يدي الله ومسائلته وعدد
له ما فرض الله عليه لخليفته وخليقته وما طوقه من مجاز الملك
دون حقيقته وشرح له المظالم التي يلزمه اثمها وان غاب
عنه علمها وساط به وزرها وان خفي عنه امرها وختم ذلك بدعاء
له بالصلاح والهداية والنجاح والكفاية فظن كل من حضر ذلك الموقف
انه لا يسلم من بطشه ولا يسام من آثار البلاء له وبسببه حتى
توهم قوم ان موجدته منه ستتعدى الى الخليفة ضررها ويستطير
في الدولة شررها فلما استتم كلامه رفع السلطان طرفه عهدي بعبد

يسماع

سماع مثل هذا الكلام وانا ارجو ان يظهر علي بركتك فلا يقطع
عني تذكيرك في كل وقت وانصرف واتبعه السلطان بخلال وقماش وخيل
ومماليك اتراك وجارية تركية فوصلت اليه الهدية وهو جالس
في داره بين سمار مجلسه وحضاره وفرقها كلها عليهم ولم يمسك لنفسه
شيئاً سوى الجارية ثم بعث اليه هدية يسيرة لا يكون لبعضها مجارية
وقصد البقش كوخري امراء من السلجوقية فسأل المقتفي خروج اليهم
ومعه ابن هبيرة وبان فيها من هذا الوزير واقدامه وتبريزه غاية
لا يرى فلامه ما اقام الهيبة في صدور الأعداء وحسم الداء بالدواء
كانه خاض تلك الحروب ولقي الاسنة بنحره ربيب المبارز والمباشر
وتبوى مقاعد الحرب بين يدي تلك العساكر شاهراً سيفه عائش
رابط وعزم ضابط وطليعة كل نجم صاعد لا هابط يتدبر صائب
وتدبير على الأعدا لا يرعى صحبة صاحب وكانت النصرة للخليفة وعساكره
وبردت برد الشهاب ببشائره ونهب عسكر الخليفة ما لا يتناوله الحصر
ولا يتناوله الا النصر قال الوزير ابو غالب حتى كان الفرس الجيد
يباع ببغداد بدينار والبغل الجيد بدينارين فاما الغنم فبلغت كل
عشر بن شاه بدينار ودامت بهذا الرخص والكثرة نحو شهر ثم عاد
للخليفة وقد خشع بصر الاعداء لمهابته واتسع امله باعتزازه على العدو

واهانته ثم في سنة خمس وخمسين مائة وصل سليمن شاه
بن محمد شاه الى خدمة المقتفي ملتجيا اليه فاكرمه ووسع ضيافته
وصدق في قبوله تفرسه وعيافته ومال الخليفة الى تمليكه
ولم يكن ذلك من راى بن هبيره وعاود الخليفه فيه مرارا وقال
هذا امر دفع الله عن الخليفه شره وكشف عنهم ضره فلا يجد ما
اطمانت النفوس على تعطيله وسكنت الى ما جهدت في تبطيله فقال الخليفه
هذا قد لجا الينا وسلك غير مذاهب اهل بيته في الاستكانة والخضوع
ولو اراد جمع عسكر اوفساد في الارض لقدر عليه وحيث قد اتى الامر
من بابه فلا بد من اجابته فاستدعى الى دار الخلافه وجلس له الخليفه
جلوسا عاما في مجلس عظيم حضره ارباب الدوله والمناصب والامرا
والخدام والقرا والفقها كلهم متاهبون بالسواد وجلس الخليفه
من وراء شباك وقام ذلك الجمع بين يديه سماطين طويلين ووقف
الوزير ابن هبيره على كرسي بين يدي الخليفه وحضر سليمن شاه
فقبل الارض ثم عدل به الى بيت افيضت عليه الخلع فيه بالطوق والسوارين
والتاج والخلع التامه وقدم له فرس الخليفه بمركبه وقلد سيفين
وعقد له لوائين واقيمت له الخطبه على منابر ولايه الخليفه كلها
ونعت نعمات الدنيا والدين قسيم امير المومنين وعاد الى دار السلطنه

التي باعلا بغداد وحمل الخليفه اليه من الثياب والمال والخيل
والبغال والجمال والاعلام والسلاح ما لاحد له وكذلك حمل اليه
الامرا وكانت وفاة المقتفي بعلة التراقي وهو خراج بين كتفيه مكث
به خمسة عشر يوما ومات يوم الاحد ثاني ربيع الاول سنة خمس وخمسين
وخمسمايه ودفن ثاني يوم الثانيه وصلى عليه بن هبيره ومما يحكى انه كان
قد اخرج عشر جباب اطلس لبطرى من المخزن المقتفوي فسلمت الى المطري
ولم يثبت في دساتير الديوان وسهوا عنها حتى طلبت في السنه الثالثه فاحضر
المطري وتوعد وهدد فاعترف انه باعها واما الذنب للراعي حيث نعس
والذي حرمها المطري في حقه احق من اربابها بسرح عنه ولا يتعرض
اليه والسلام قال بن واصل كان المقتفي فاضلا حسن العقيده وله شعر
حسن من جملته

قالت احبك قلت كاذبة غري بذا من ليس يسهل
قالت لما ادراك قلت لها الشيخ ليس يحبه احد

بالله ابي المظفر يوسف بن عبد الله
المقتفي وكان يغمر العبد الصالح المعد للمصالح اول شي فعل انه رد مظالم
كان ابوه احتقر اوزارها واحتقب شملتها واوزارها لم يهب ان هجر الفحشا
اوزارها ولا خاف فيها جهة الاسود اوزارها تحلى بالعدل ولبه وتحلى

كالوبل في الازمة فلم يزل يكفر سيئات تلك الذنوب ويغسل ادناس
تلك العيوب بالذنوب الى ان نسيت القروح واسيت الجروح وتداول
الناس شكر المستنجد وتحدث به المغير والمنجد فكلما بعث للادواء
منجحا ومن اللاواء مريحا وللالاء مبيحا وكان يتامل القصص ويوقع
عليها بيده يحق حق بكلماته ويبطل باطل ببطله بازالة ظلاماته بقيام الليل
وبحسن تهجده ولا ينتقل الا من موضع سريره الى مسجده لا يعدو يمينه ولا
بعدما ملكت يمينه مع اقتصار وتقطع واختصار لا يطلب الدنيا الا
لبذلها ولا يجمع الاموال الا لتشتيت شملها وهو في هذا كله يقدر محدود
وظل لا مسقص ولا ممدود بل لا باخذ شيا الا من حله ولا يصرفه الا في اهله
لا جرم انه ضرب به المثل السرود وسحب له اذيل البرود مع انه استفاد
من عدوه وانتقم وشرب دمه والتقم الا انه كان يغلب حلمه على غضبه
وجده على لعبه فلهذا قيل انه قريب وفنه ولم يمثل بعده سمت ذي وقار
الا يسمنه بويع يوم موت ابيه فقبض على جماعة من اهل الظلم واسقط
ما استجد من المكوس واذهب بسعود ايامه النحوس وكان المستنجد قد
تسامع الاتراك فتكلم بلغتهم ولعب معهم الصوالجة وبعد خلافته
بشهرين اصطدم في الميدان هو وقايماز الارجواني امير الحاج فوقع
قايماز وفرسه ميتين وتوفي بن هبيرة سنة ستين بالفالج واستولى

عضد الدين ابو الفرج بن المظفر بن رييس الروسا بعده على الدولة واجري
على اقطاعه وكان مايه الف دينار وتوفي على فراشه يوم السبت تاسع
ربيع الاخر سنة ست وستين وخمسمايه قيل مات على فراشه وقيل
ان بعض من كان احفظهم من الامرا بامساكه من كان امسك من اصحابهم
لتمهد دولته وتسلط بن البلدي في ظلم الناس داهنوا المستنجد حتى
مرض فهجموا عليه وحملوه بفراشه الى حمام واغلقوها عليه واوقدوها
فمات ثم اخذ بن البلدي ومثل به والقيت جثته في دجله

ابي محمد الحسن بن يوسف المستنجد

دوله اضاءت الايام باشراقها وصحت الدنيا بافراقها واغابت الظلما
لدعوتها واجابت مصر وساير الامصار لدعوتها وقومت عوج اليماني
واقامت ميل الرديني وعزت الاعدا بغير كتايب وركبت الى الهيجا سوى
الجنايب وعاجت على الديار الا بالاصدور الركايب وما قنعت هممها
بالشرق وممالكه الفساح والعراق وسكانه الفصاح وما في بلاد من
جنوب وشمال واتساع ما فيه من كور اعمال وعمال وما حواه البحران
وما دونه النهران حتى استعاد بالتقدمات الى ربيع احدثه واسترد
حربه وحيزته وفتح مصر واسترجع منها ما كان في ايدي العبيديين وسح
بالله بن المهدي ذلك الدين وغلب منها على ما لاوت عليه الدهور حتى نبت

مددها وبليت على الجديد جدّتها وقهر الخليفة السُّوء ووزراؤه
وزري ملكه وسر الناس ازدراؤه وكان صلاح الدين اذ ذاك الوزير
وحلية لبدته اسد من بين خلال القصر من شياطينه وبدل دعاته
بسلاطينه وغلب الرشد لانحصار شانه بغوايته وظهور الحق على تسويل
ابليسه له وتزيينه وذهبت بتلك الدولة بغيا بالسقم وقد اضنته
وبلا بالفقر وقد عنت واستتم الله ممن جاد به رداء كبريائه وخلص
الخلاص الهاشمي من وصراد عبابه ورميت عن سلالة العصر حتى اله
ذلك العصر وطفيت لاهل القصر نار ترمي بشرر كالقصر وتجردت
العزيمة النورية لكيشف لم ملمها وكشط غيابه عميها حتى كفت الدولة
العباسية امرهما وتفت ما نسب من الدنائة الى ابن عمها فزالت عنها
عار ذلك النسب المدخول والحسب المعروف المجهول واصبحت مصر في حلل
الشعار العباسي ترفل الى اقاصيها وتخطر في حلية الشباب ما شاب
من لمم نواصيها ثم شرع التصميم الصلاحي في بلاد الفرنج وسوم قوسه
لا كل بلادهم واستغدق صل سيفه لحصادهم وسارت دفعه رمحه
تحمل روسهم لا اجسادهم وتخطت قدوم مجانيقه لدك اطوادهم
ولو كان هذا موضع استقصا آية لا نسا العجايب في قصه وبنا على
الهلال مقدار دياديها ونقصه وبويع المستضي بالله تاني بوم ابيه

واستوزر عضد الدين بن رئيس الرؤسا بعد عظايم جرت بسببه ثم اراد
الحج فقفز عليه شيخ متصوف فقتله وقفز اخر على صاحب الباب
فقتله وقتل ابن عضد الدين بكة قاتل ابيه وفي سنة سبع وتسعين انته
النيشوري بقطع خطبة العاضد العبيدي بمصر واقامة الخطبة له
وكان قد عظم عنده شان صلاح الدين وهم بان يسلم اليه عمان الاسلام
ويلقي اليه سداد السلام وبعث اليه وهاداه وصالحه بحفه
وعاداه واهدى اليه فرسين اسعد برابطهما واسعد بنشاطهما
وكتب بالخط الفاضلي في الجواب عنهما وكل سرف الخادم بالجواد بن وتسلم
واسلم حافر الفرسين اللذين طبهما للادب فارسين وللجلالة ملكين يسوح
الرياح عليه ووعد بالقتلة لان التحجيل كسهم الشجاع وقد حالي عرهي
القرطاس واطلع منهما في فلك العرجمين مرسلين بعدو بهما الشياطين
ويهدي الناس وهما روضا حسن تفتحت في غرتيهما نوارتان ونار داكض
شرارتان وراى اليمن بناصيتهما معقدا والفلك لراكب صهوتيهما مقعدا
والفتوح النصر قد طلعت عليهما تحجيلا والعجب قد شمع منهما وفيهما تسبيحا
وتهليلا واني تطفر خواطر البشر بعيهما او وصفيهما وقد سبقا
خواطر الرياح لما كادت تنشب تحجيل او طفتهما في رياح لحمها شكلها
ولولا ذلك لطارت وافلاك غرورها انجمه ولولم يكن كالفلك لما سارت واعطيه

ابية العطا واذا اسرف النسب الى جودها افاد الجيل ما في اعطافها
من الخيلاء ولولا ما الهديين السابقين من عادة العدو والذي يعارفان
به ظلمها سبقا لما فارقا ظل حضرة الامام الذي هو الظل لله حقا وكيف لا
يكون ظل الله في الارض وشعاره ولونه شعار الظل ولونه فادام الله
هذا الظل واما فاما المراد منه وكونه ومات المستضي في اواخر شوال
سنة خمس وسبعين وخمس مائة **ثم دولة الناصر لدين الله**
ابي العباس احمد بن الحسن المستضي وهو الذي شد الخلافة وقواها
وعدل الدولة وسواها وتداركها وهي رمق فانعشها ونحفها وهي دفين
فنبشها وخاشن الملوك ونابذهم في الحفاظ وواخذهم حتى
بالالفاظ ونافسهم في لقب ونافسهم وما ارتقب واظهر قوة من ضعف
ورسم خلافة كانه لم يعف وكان قد اخذ الناس بالارصاد وتعد اخبارهم
بالاقتصاد وكان لا يكاد يخفي عليه بواطن امورهم وما يخفي خطرات
دورهم ثم يجدد نمّهم بها كانه بكاشف او كانه عارف لكنه كان طامح النظر
الى الحزم لا ينفعه طب الحزم ولا يبرده جور الحلدان يجور في بغداد الجور
وولد مع تشيع الا انه لبين برفض ولسع لو خلي لاكل الارض وكان بادي
الراي له في كل يوم عزل وولاية وبه عز الدول الى غاية وعهد الى
ولده الظاهر ابي نصر محمد ثم عزله ورفع اسمه على المنابر ثم انزله وكان

السبب في هذا ما مر عليه خلقا وخلقا وعلما وعدلا ورفقا وباسا
صارع به تحضر ابيه الجاموس وصارع لوشاء العبوس كان قد خرج
الناصر وهو معه الى البطايح فراي جاموسا غضب راسه الهوي
وهو طامح وقد اوي الى بطيحه استنبك شجرها واحتبك ماوها ومجرها
فقال الناصر لا يعرض احد الى هذا الجاموس فانه لا يخلوا من بادرة
بوس وكان جاموسا قد ناشك لو عاث لافسد فنزل اليه الظاهر غير
مكترث وابرم له عزما غير مكث فلما راه الجاموس صوب اليه روقيه
وطاطا لينطحه بقرنيه فجرد الظاهر سيفه وتقدم اليه وضربه
ضربه قطع بها عنقه الى ان طلقه فحقد عليه الناصر نقمها واراده
بها ودفع الله نقمها مهما كان يوشوم الناصر من تقدم ابنه الثاني عليه
والله يوجرم ويهي الامر للظاهر ويدخره ومع هذا فما نفذ الناصر
على شي اكثر من انه عزله عن ولاية العهد وصرفه ثم احوجه الله اليه
فولاه وصرفه ثم نذكر بقية حال الناصر نقي وفني في هذا وافتي ووضع
ترتيب الرفاق ووضع معهم كووس الوفاق ولبس السراويل والبسه لاهل
ذلك الحبل ورمى البندق وبوزله واحتاط الحنطه ورمى الوجهين ووضع
له في احكامه المفترح واستباح في تشريعه ما المرح وادعى في الربي
وادعي له وسلك مدة في هذا سبيله لا على الطير حسا من الجبن ولا نزال

فتني بدلقه سيرها طايرة في السما فيصيبها بالعين قد جعل الجلاهق
احد سلاحيه لا يدع الصباح والعشا من اعتناق راحيه لا يرح الرفاق
من رواجيه ولا طاير يطير بجناحيه وقصد السرداب المعد عليه النوبة
للمنتظر ووقف عليه ونادى لو اسمع وقال انا ابن عمك بغير مدفع ودينك
ديني وما بعد اقتداري في الارض وتمكيني منه اوان ظهورك فاخرج
فانا القايم بامورك فلما لم يجب ولا قام من غير قلبه بما وجب علم
بطلان ما كان يخيل له من خرافات تلك المخاريق وضلالات ما خرج
به عن الطريق فترك سور ذلك التشيع وتعلل من التكثر في الترويج
بها والتشيع ثم ما كان الا منتسبا وفي مذاهب اهله المذهبة متعصبا
ومات ولده علي ووجد عليه وجدا كاد يذهب بعقله وينزع من
صدره سويدا قلبه واعاد الظاهر الى ولاية عهده وقدم له من
صهوة المنبر ما لا يصلح الا للبدر بويع يوم موت ابيه ونثرت الدنانير
والدنانير والدراهم يوم بيعته ومدحه الشعرا فممن اجاد ابن
التعاويذي بقوله

وراى الغانيات شيبي وقد عرض وقلن الشباب خير لباس
كيف لا يفضل السواد وقد اضحى شعارا على بني العباس
امناء الله الكرام واهل الجود والعلم والتقى والباس

ولقد

ولقد ردت الخلافة منهم بامام الهدى ابي العباس
ملك جل قدره عن مثال وتعالت الاوها عن قياس
يا لها بيعة احدثت من الاسلام بالي رسومه الادراس
ولى الله امرها فله المنة فيها عليه لا للناس

ثم أخذ امره بالحزم الا انه كان له اختلاط باعوام ليس الفتوة
من عبد الجبار ومقدم الفتيان وله رفاق وكان متدينا صالحا
وبناله صومعة بباب كلواذي ومضى قاصدا الحج فدرج ودفن بالمعلا
ورمى الناصر البندق وخالط ندماه ووضع في ابتابه المفتح في تشريع
الرمي والرماه وكان الناصر بصيرا بالادب له اليد الطولى ان نظم
او كتب كتب اليه سعد الدين بن شيبب صاحب المخزن بذكر حال مجد الدين
بن الصاحب قبل ان تقدم عليه وقال انه صبي يجهل الامور لعدم خبرته
بها والدول تحتاج الى الشيخ الحول القلب وما ناسب هذا المعنى فوقع
الناصر عليها كم يدري الدوح انه من قضيب
ثم اوقع بعد ذلك بابن الصاحب ثم استوزر جلال الدين بن يونس وخلع
عليه ومشت القضاة وارباب الدولة في خدمته وكتب اليه
الانصاري ان المملوك قديما ولي امير المومنين وقد تاب علي يد
ابن الجوزي وترك الخدمة فوقع عليها ما يصلح للمولى على العبد حرام

وكتب اليه رجل يسأل المساواة بابن شاوا فوقع عليه ابن شاوا
لا يساوي شروانه فتقدم عليه وقتله شر قتله وكتب اليه عن السلطان
صلاح الدين • الغني في لطي فان لخرقتني سقف ان لست لياقوت •
• كل من حاك يدعي النسج لكن ليس داود فيه كالعنكبوت •
فكتب جوابه
• نسج داود لم يفد صاحب الغار وكان الفخار للعنكبوت •
• وبقا السمند في حومه النار مزيل تفضيله الياقوت •
واستنصر في بعض اوقاته بمن اجابه الى موعد اخلفه في ميقاته فكتب
اليه سبط اسامه بن منقذ
• وعماد في رجع الندا جوابه فاذا عرا خطب فاقصد من دعي •
• مثل الصدا يخفى علي كانه ابدا ويملا بالاجابة مسمعي •
ومما ذكره ابن الاثير في حوادث ايامه عزل وزيره نصير الدين بن
مهدي العلوي لانه اسا السيره في اكابر مماليك الخليفه حتى هرب
مظفر الدين سنقر وجه السبع امير الحاج الى الشام ثم اتبعه قشتمر وقالوا
هذا يريد بعد مماليك الخليفه ليأخذ الخلافه وكثرت الاقاويل فيه
لكونه علويا ومما قيل في ذلك
• الا مبلغ عني الخليفه احمدا توق وقيت السو ما انت صانع •

وزيرك

وزيرك هذا بين امرين فيهما فعالك يا خير البريه ضائع •
فان كان حقا من سلاله احمد فهذا وزير في الخلافه طامع •
وان كان فيما يدعي غير صادق فاضيع ما كانت لديه الصنائع •
قال ابن الاثير ولما عزل ارسل الى الخليفه يقول انني قدمت الى هاهنا
وليس لي دينار ولا درهم وقد حصل لي من الاموال والاعلاق النفيسه
ما يزيد على خمسمايه الف دينار واسال ان يوخذ مني الجميع ويفرج عني
وامكن من المقام في المشهد اسوه ببعض العلويين فاجابه الخليفه الناصر
انا ما انعمنا عليك بشي فنوينا استعادته منك ولو كان ملء الارض ذهبا
ونفسك في امان الله وامانتنا ولم يبلغنا عنك ما يستوجب خوفك غير ان
الاعدا قد اكثروا فيك فاختر لنفسك موضعا تنتقل اليه موفورا محترما
فاختار ان يكون تحت كنف الخلافه لئلا يتمكن منه عدو فيذهب بنفسه
ففعل ذلك ومما حكي عنه انه منع الطيور المناسب لعرم الاما يوخذ
من طيوره ومنع رمي البندق الا من ينتمي اليه فاجابه الناس الا ابن السفت
وهرب من العراق ولحق بالشام فارسل اليه يرغبه في المال الجزيل
ويبعث اليه في الرمي فلم يفعل فانكر عليه بعض اصدقائه هذا الامر
وقال له تفوت نفسك الغنى بامتناعك من فعل ما لا كان يضرك فقال يكفيني
فخرا انه ليس في الدنيا احد لا يرمي للخليفه الا انا وقد ذكر ابن واصل

قال كان الناصر عظيم الهيبه عالي الهمه وافر العقل حسن السياسه
متيقظا لا يفوته امر مما يجري في بلاده وغيرها من بلاد الاسلام
وكان له اصحاب اخبار يطالعونه بما يحدث من الامور في كل صقع فخافه
الناس خوفا شديدا وهابوه وكان الانسان في العراق لا يجسر ان
يجري في بيته وخلوته ما يخاف الانكار عليه منه حتى كان يتوهم
من اهل بيته واخص الناس به انه ينقل خبره الي الخليفه وفتح في ايامه
فتوحات كثيره واتسع ملكه جدا واستولى علي خورستان والجبل
وفتح كثيرا من بلاد العجم وقامت الدوله العباسيه حشمه لم يكن مثلها
موجودا الا في الزمن القديم ثم قبل استيلا الملوك علي العراق لكن
الفقها اهينوا في زمانه اهانه بالغه لاستظهار الشيعه به عليهم
فقال صاحب المحزن

احبابنا نوب الزمان كثيره وامر منها رفعه السفها •
هل يستفيق الدهر من سكراته واري اليهود بذلة الفقها •

وفي جمادي سنه اثنين وثمانين وخمسمايه حكم اهل النجامه انه
يكون هوا عظيم يهلك اكثر الناس فيه ويرمي الجدران لاقتران
الكواكب في برج الميزان فدخل للناس منه رعب عظيم واستعد
بعض الملوك لعمل سراديب تحت الارض واعد فيها الاقوات والعطر

لأجل

لاجل وخم الهوا فقضى الله بان الهوا انقطع تلك الليالي البته حتى
ان ضوء الشمع ما كان يميل فقال ابن المعلم شعرا منه

قل لابي الفضل قول معترف مضى جمادي وجانا رجب •
وما جرت زعزع كما حكموا ولا بدا كوكب له ذنب •
يقضي عليها من ليس يعلم ما يقضي عليه هذا هو العجب •
فارم بتقويمك الفرات فالاصطرلاب خير منه صفره الخشب •

ثم دولة الظاهر بامر الله ابي نصر محمد بن احمد الناصر وقد تقدم
له في ذكر ابيه ارج لا يركد نسيمه وتحرك روض لا يمل شميمه ووصف
طود لا يرقا صاعده وبحر لا يتعب وارده وسحاب لا يعار ابده
ومقسط ياتي يوم القيمه على منبر من نور ومنصف لوا بهم عليه وجه
الحق لشق عن سنا فجره قلب الدجور وكان امام عدل وغمام وبل
وقيم دين وصنيع عشرين وكافلا بازاله كل شنيعه وكاسرا الصوله
بدع الشيعه وكل شنيعه كشف عن تمويهات المذاهب ونقب واني علي
ما اخر ابوه من رفيق غيهم وعقب براي رام لا يخطي صوابه وذكا فطن
لا يلتبس مذاهبه وكان لله منه جانب لا يضيعه وسير كالمسك تجتهد
في كتمانه بنيد بعه وقد اومينا بطرف الاشاره الي ما كان من مصارعته
لحضور ابيه الجاموس حتى اكن له هذا وفي قلب ابيه غلا من الحقد

وامكن لاجله من ساقه فبدا كالخلخال ومن عنقه غلا كالعقد
مما كان في نفس ابيه من تقديم هوى اخيه على هواه ومباينته في المعتقد
لما طواه لان الظاهر كان على خلاف الباطن من عقيدة ابيه كان كل منهما
في طرف لا يخادع فيما عرف فاما الابن فاستقام على الطريقه واما ابوه
فانحرف فامسكه وكبله بالحديد وثقفه والقى على عاتقه نجاد ولايه
العهد ونزع مطرفه ثم لما مات اخوه علي واقصر بيت ابيه من ولد له بلي
وارمى عقله الذاهب وكان اثر المصاب كانه قد بلي بذهاب لبه واصيب
بكل عقله لا ببعض قلبه اعاد تقليد ولده الظاهر ولايه العهد واعاده
المنبر كمينة النهد بمهاله والسرير بما لم يكن الا له من حين فارق مهجور
المراضع وقاطع دروة المهد وخطب له ببغداد ثم صار الى الامصار وضرب
اسمه على السكك وانا روحه الدرهم والدينار ثم هو مع هذا كله مرتهن عند
ابيه في التعويق متقف في الحديد بالقيد الوثيق موكلا به في دار ترك
عنده فيها جاريه ورتب له فيها كفايه جاريه قد ايقظ عليه عيونا لا تهجع
حتى يوقظ اخرى ورقبا لا تغفل شفقا ولا فجرا حتى شا الله ان
ينشق صدفته عن درتها وينصدع صخرته عن دررتها ويسرح افنان غابته
عن قسورتها وتمحص بدن ارضه ليخرج بدرتها فمات ابوه ورغم معطس
من كان يابا ه يريد ان لا يكون اخوه وخرج من معتقله خروج الاسد

من

١٤٢

من وجاره والكوكب الدري من حجب افوله والبدر التمام من حدور
سراره وامضي استقضا المشرفي المرهف وخلص من التثقيف خلوص السمهري
المثقف واصفقت الايدي على مبايعته بالامامه ورقا ذروة
المنبر وعليه لوا الكرامه وهيا الله له ما اراده من الخير واحسن له
الحسنى واحل الغير بالغير واعادها عمر به للبين بينها جناح وقربه
خدم فيها البدر من العشا الى الصباح ولم يكن في خط زمانه ان تدوم
وان تتم وعدله قمرها المنير وعيون اخبار النجوم فكتب لا ترى في
مدته الاسنه وكتابا واماما ومحرابا وسيبنه محبت وبدلت ثوابا
وعدلا فتح له بابا وظلما سد له بابا وقابلا يهدي وقابلا كان في حر الهجير
ظل عليه ندا ورفقا ارف بالامة من الوالدات على الفطيم ولطفا
بصد سموم الشمس ويادن للنسيم وشكرا له بروع العذاري فلمس جانب
العقد النظيم وقد ذكر الوزير ابو غالب نسخه ما كتب عن الناصر
بخلع ولده الظاهر لما خلعه بخط المكين بن العلقمي ومنه وقد كان
امير المومنين قلد ولده ابا نصر محمدا ولايه عهده ورشحه من بعده
مؤملا منه التخلق بشريف اخلاق امير المومنين التي هي من اخلاق
ابايه مقتبسه وعلى اساس التقوى مبنيه موسسه فلما ان
رفت تكامل سنه راي من نفسه القصور عن التزام شروط هذا الامر

واستعفا منه وسأل امير المؤمنين نزع لباسه عنه وكتب خطه
بنزوله عن ذلك وتركه وحل ما عقد له منه وفكه وبعض من حاله وامره انه
لا يصلح لخلافة المسلمين في الحاضر ولا في غيبته عمره واشهد بذلك عليه
وخلع نفسه عما كان فوض اليه وامير المؤمنين لم يكن غفل في كل وقت تابعها
وطرائقه واستقرائها وتتبع خلايقه واستخبارها الى ان استبان ما كان
من احواله يلوح وتالق نجمه من مراصد الوضوح فلم يسع امير المؤمنين
الا استخارة الله في اقالته وطلب رضاه سبحانه في حل عقد ولايته واقالة
ولده وحل ما له من ولاية العهد في المسلمين عنقه ونقض ما اليه عهده
واسقط ذكره من الخطب ومحا اسمه من السكك احتياطا من تقلد اوزاره
وتحمل اثقال اثمه واصاره وامير المؤمنين قد شهد لله بما علمه وان
كان على ولده ولم تأخذه لومة لائم في لزوم منهج الحق وجدوده قال الله
تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او
الوالدين والاقربين وحيث اتاك امير المؤمنين ابا نصر محمدا وخلعه
ونفى عنه جلباب ولاية عهده ونزعه لم يران يعين على احد بعينه
تحريا لاحتساب ما يحمل الاوزار وتوخيا لما هو اسلم من الاخطار
ومما ذكره ابن الاثير ان اباه وجميع اصحابه ارادوا صرف الامر
عنه فابى الله الا ان يظهر امره ويعلي جده وانه ولي الخلافة بأمر الله

لا يسعى احد فلما اظهر من العدل والاحسان ما اعاد به سيرة العمرين
حتى لو قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لصدق القايل
فانه اعاد الاموال المغصوبة من ايام ابيه وغيرها وكانت شيا كثيرا
واطلق المكوس في البلاد جميعها وامر باستقرار الخراج القديم في العراق
جميعه من غير زيادة واسقط ما جدده ابوه وكان مالا لا يحصى منها
ان قرية يعقوبا كان خراجها القديم عشرة الاف دينار فلما مات الناصر
حتى صار ثمانين الف دينار واقام العوض من جهة اخرى قال واذا كان
هذا من جهة واحدة فما الظن بباقي البلاد قال وامر بان لا يوخذ من
حران خراج قال وكانت صنجة الذهب في المخزن تزيد على صنجة المعاملة
بين الناس نصف قيراط يقبضون بها ويصرفون بصنجة المعاملة فخرج خطه
الى الديوان واوله ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم
قد بلغنا ان الامر كذا وكذا فتعاد صنجة المخزن الى الصنجة التي يتعامل
بها المسلمون واليهود والنصارى قال وكذلك فعل في اطلاق صنجة
الديوان وكان في كل دينار حبة وتقدم الى القاضي بانه كل من عرض كتابا
صحيحا بملك يعاد عليه من غير اذن وولى الحسبة وبيت المال رجلا صالحا
حسنا فقال له يا امير المؤمنين ان مذهبي ان اورث ذوي الارحام فقال

له اعط كل ذي حق حقه واتق الله ولا تتق سواه وأمر بإبطال أوراق
الصباح التي يرفع بما كان في تلك الليلة من احوال الناس فقيل له إن
العامة تفسد بذلك فقال نحن ندعو الله ان يصلحهم ولما ولي وصل
الى صاحب الديوان من واسط وكان قد اخذ اليها ايام الناصر
لتحصيل الاموال فاقعد ومعه ماية الف دينار وما يزيد عليها
وكتب مطالعة يستخرج الامر الظاهري في حمل ما معه فعاد الجواب
باعادة المال على اصحابه ممن كان اخذه ظلما منهم وارسل الى القاضي
عشرة الاف دينار ليودي بها عمن هو محبوس في حبس الشرع ولا مال له
قال ابن الاثير ومن حسن نيته للناس ان الاسعار كانت غالية في الموصل
والجزيرة فرخصت واطلق حمل الاطعمة اليها وكانت ممنوعة فصار
فصار المكوك بربع دينار وقد كان بدينار وثلاثة قراريط وقال لقد
سمعت كلمة اعجبتني جدا وهو انه قيل له في كره الذي تخرجه وتطلقه
مما لا تسمح نفس بعضه فقال انا فتحت دكاني بعد العصر وقال انه تصدق
ليلة عيد النحر وفرق في العلماء واهل الدين ماية الف دينار ثم ذكر
وفاته وقال وكان نعم الخليفة جمع الخشوع والخضوع لربه والعدل
والاحسان لرعيته وكانت خلافته تسعة اشهر واربعة وعشرين
يوما ولم يزل منذ ولي الخلافة يزداد في كل يوم من الخير والاحسان

الى

الى الرعية فرضي الله عنه وارضاه واحسن منقلبه ومثواه فلقد
جدد من العدل ما كان دارسا واذكر من الاحسان ما كان منسيا
وكان قد اخرج قبل وفاته توقيعا الى الوزير بخطه ليقراه على
ارباب الدولة وقال الرسول امير المومنين يقول ليس غرضنا ان يقال
برز مرسوم او نفذ مثال ثم لا يرى له اثر بل انتم الى امام فعال احوج
منكم الى امام قوال

ومضمونه

بسم الله الرحمن الرحيم اعلموا انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاونا
اغفالا ولكن ليبلوكم ايكم احسن عملا وقد عفونا لكم عما سلف من
من اخراب البلاد وتشريد الرعايا وتقبيح السمعة واظهار الباطل
الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة وتسمية الاستيصال والاجتياح
استيفاء واستدراكا لاغراض انتهزتم فرصها مختلسة من براثن ليث
باسل وانياب اسد مهيب تتفقون بالفاظ مختلفة على معنى واحد
وانتم امناوه وثقاته فتميلون رايه الى هواكم وتمزجون باطلكم بحقه
فيطيعكم وانتم له عاصون ويوافقكم وانتم له مخالفون والان فقد بدل الله
سبحانه بخوفكم امنا وبفقركم غنى وبباطلكم حقا ورزقكم سلطانا
يقيل العثرة ويقبل المعذرة ولا يواخذ الا من اصر ولا ينتقم الا ممن
استمر يامركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه

لكم نخاف الله فيحو نكم مكره و برجوا الله و برغبكم في طاعته فان سلكتم
مسالك نواب خلفآ الله في ارضه و امنآيه على خلقه و الا اوقع بكم
ما تكرهون و السّلام قال ابن الاثير و لما مات يعني الامام الظاهر
رحمه الله وجد في بيت داره الوف رقاع كلها مختومه لم يفتحها فقيل
له لتفتحها فقال لا حاجه لنا فيها كلها سعايات و قال بن الاثير لم
ازل علم الله مند ولي الخلافه اخاف عليه قصر المده لخبث الزمان وفساد
اهله و اقول لكثير من اصدقابنا ما اخوفني ان تقصر مدة خلافته
لان زماننا و اهله لا يستحقونه فكان كذلك قلت وحدثني احد
اشياخي في تجويد الخط المحرر شمس الدين محمد بن اسد الحراني الكاتب
المعروف بالنجار ان الشيخ محمد بن عبد الله البغدادي حدثه انه كان
من خزنه الكتب بدار الخلافة وانه حمل قصصا عدة للناس ليعرضها
في مجلس الوزاره فلما كانت نوبته بخزانه الكتب تخرج من باب السر
فوجد القصص في منديل عند قماش الشيخ محمد فنظر فيه ووقع على الكل
فكان منها ما هو باطلاق مصورات ورد ظلامات بما يزيد على عشرة
الاف دينار ثم تركها مكانها حيث لا يدري احد بها رحمه الله وتوفي

ثم دولة المستنصر بالله ابي جعفر المنصور ابن محمد الظاهر

جهد

جهد في طريقة ابيه و ما بلغها و حام على مناهله و ما سوغها لكنه
قارب معناها و قام حتى داناها و اسبغ شهواته من المظالم وفطمها
و زم نظراته عن المحارم وحطمها و اظهر السنه و اقامها وسمك في
اعلا السما مقامها فكان لا يكبر راس متتبع الارفضه و لا يتنفس نظر
مبتدع الاعضه و لا يستكثر رافضي الا رفضه و حل عقد سعه وقضه
انه افرط في كبريا الحجاب و خالف اباه و لا اباه في فرط الاعجاب
و كانت الملوك تخب المستنصر و تستطيل امد عوارفه و لا تستقصر
و كانما جا عقيب جده الناصر لان ايام ابيه كانت لم تكن لانه
ما برح فم حتى غاب و لا اضحى ضيعه حتى واراه الغاب فاراح من
تجني الناصر تعب خواطرهم و من تعنى الرسل بينهم وبينه نظر
نواظرهم و كان قد امر بوطايف الرسل ورتب لهم لطايف الانزال
في السبل فسارت بهم اليه ركايبهم الدلل و الصعاب و تحدرت
اليه فصاره بطون الاوديه و شعاف الشعاب ثم انتقل الى الله مبوا
في جنه الكرامات ممرضا بعد الصبر و الكريمات ثم دولة
المستعصم بالله ابي احمد عبد الله بن المنصور المستنصر وهو
اخر الخلفا في بغداد بل اخرهم في سابر البلاد بالاستبداد وكان
محدثا سنيا محمدا سنيا تفقه على مذهب احمد و نبسه باوله في كلما

هو احمد وكان من ذوي العقول الا ان بارية كان والبصاير الا ان الله
اعماه ليمضي مراده واعرى باللعب بالحمام فجلب على المسلمين جالب الحمام
جمع منه عشر بن القطاير الا انها كانت مياسم اكثرها قلابات قلبت
الدوله وانهكت الحزم ومنى بوزير بل بكلب خنزير رافضي خبيث
غير مامون حي ولا على حديث ورع في سوام الملك دسه ونفق على الخليفه
كذبه لانكد بيه وجلب نمو اطانه التتار ما اصر بالامم قتله لا تعذيبه
ولم نجد حمد كمن زخ فطنه حاله ولا تدبيه تغطى على نصر الاسلام تلبيس
تدليسه وغط دما الامه تسليط ابا لبيسه وكان في دبيبه ارقما
وسقى كووس الضرا كطعم ابيه علقما فلا كان العلقمي وما ولد لقد ولد
افعى والقى عصاه فلمه فاداهي حيه تسعى لقد اتى شيا نكرا واطعم الناس
من طعامه العلقمي مرا فحسن للخليفه جمع المال وكانت التتار سرا
ومدلهم الامال. وبغي بقطع الفا فالفا من الجند وبوفر مالهم للديوان
وانما يريد اضعاف جانب الخليفه وارجاف جوانب الارض بوهن قوته
الضعيفه فلما فل حد العسكر وقل عديدهم الاكثر استقدم عسكر
العدو وبرسله وبكتبه واستدعى بن الفسح بوهاده وكتبه فجا
من لا قوه للبلاد بحمل بعضهم ولا طاقه للنجوم بمسار ركضهم فغرق
جدول الاسلام في سارهم واحرق نور الايمان بنارهم وبدات الخلافه

بعبد

بعبد الله السفاح وختمت بعبد الله المعتصم ولم تدر الملة لمن يستخصم
واخذ رحمه الله وقتل وهجمت بغداد وقتل الرجال وسبي النسا والاولاد
والفت الهاشميات في دجله بارواحها وارتجت النواحي بنواحها
وكاد الاسلام يذهب بجملته والدين المحمدي يطوي ملاه ملته وانقرضت
الدوله العباسيه الا بقيه اتت مصر وتوطن براجهم انطفى وامض
بر بنها في احريات الليل ثم اختفى وكان المعتصم يسكن الى وزيره المويد
بن العلقمي ويسبل نصحه ويميل الى اعتلا قدره ورفعه ولا يزال يلاطفه
ويهاديه ولا ينقطع مكاتبته اما محاوبته او ببياديه اهدى اليه
مره قصب اقلام وكتب معها بعثنا الى الوزير اعزه الله بقصب يراع
مودته بانه لدينا في المحل الاقصى لا يبراع فليكتب بها مسرفا وفي الارض
وشكا بها على رغم من يشناه مصرفا فلما اتت ابن العلقمي قام لها
وقبل الارض وقبلها واعتقل خطها المسعفه واسلها ثم كتب قبل المملوك
الارض شكرا للانعام عليه باقلام فلمت اطفار الحدثان وقامت له
في حرب صرف الزمان مقام عواسل المران واجتنه ثمار الاوطار
من اغصانها وحازت له قصبات المفاخر يوم رهانها فيالله كم عقد
دمام في عقدها وكم بحر سعادة اصبح من مدادها ومددها وكم
منا دحط استفام منعقا نها وكم صوارم خطوب فلت مضاربها

مطروف مرهفاتها فالله تعالى ينهض الملوك بمفروض دعايه
ويوفقه للقيام بشكر ما اولاه من جميل رايه وجزيل حمايه وكانت
افته بلافة الاسلام ودينه ولما قدم هولاء كولا راحه الباطنيه
عن تلاعيهم امتد الى استكال البلاد وواطاه ذلك الوزير الدميم
حتى طوى البلاد الى العراق ثم اوهم المستعصم انه قد اكد له سبب
الصداقه معه فخرج لملتقاه فى الفقها والادبا واهل الشرف فى يوم
الاثنين سابع عشر صفر سنه ست وخمسين وستميه فلما راه امر
به فرفس حتى مات ثم دبس تحو افر الخيل ثم وقع السيف وعظم الخطب
وامتهنت المصاحف حتى عملت للخيل معالف وهدمت المساجد ولم يبق
متظاهر بالصلاه الاحايط جدار ساجد وخلت المنابر والاسره
وخلعت الخلافه خلع النعل وطفى نور الحق وطمس معلم الهدى وكور
الليل على النهار وغال الخسوف الشموس والاقمار ولو شار تبك
ما تعلوه وولد المعتصم وقتل
وكان عمره ومدته
ثم لم يبق للخلافه بقيه ذكر الا لمن وصل منهم
الى مصر واتصل بالظاهر بيبرس البندقداري بها وها اذكرهم
فاولهم **المستنصر بالله** ابو القسم احمد بن محمد الظاهر بن

احمد

احمد الناصر وصل الى مصر وبايعه قاضي القضاة تاج الدين
عبد الوهاب العلامى المعروف بابن بنت الاعز ثم الظاهر بيبرس ثم
عامه العلما واهل الشرف ووجوه قريش وعامه ارباب الدوله
وكان شهما لا يطاق وشبهما ما لسمه درياق ورام ان يمضي
بسهمه من مصر من بالعراق وضاق الظاهر به لما راى منه ومن
وناره المبثوث فى نفوس الخلق فما صدق ان وردت على المستنصر
كتب اهل العراق باستنقاذ امه فجهزه فى جيش استخدمه له وخرج
معه الى دمشق وكان الظاهر يركب الى خدمته في كل يوم ثم سار الى
العراق فى دوله كامله بارباب الوظايف والشعار الكامل ففتح كثيرا من
البلاد الغرابيه حتى اتى العراق تجاه اهلها وتلك شيمهم من قديم
ونصرهم لكل نابر بدعوة حق وخرج التتار فقاتلهم وثبت حتى قتل
واستحر القتل فى عسكره الامن عجل الهزيمه وكان قدومه مصر
ومبايعته في

ثم الحاكم بامر الله ابو العباس احمد بن محمد بن الحسن بن علي
ابن الراشد بن المسترشد ومن هناك يلتقى بعمود النسب المستعصمي
وكان غاية فى الخير والفضل والثبات ولما قدم ابي الحسام البرلي
وقد ملك البيره فبايعه واستخدم له ثم اتى عيسى بن مهني امير آل

ثم قام في ناصره وقاد له جمهور عساكره فخاف الظاهر بيبرس عاقبته
وخال انه لحب باسه فلاطف عيسى بن مهنا وراسله في تجهيزه الى
مصر لتابعه وانه لا يجد حرجا في صدره ان يطاوعه وكان للظاهر
على عيسى بن مهنا يد يرعاها ولكنه عنده نجاح لا يخيب مسعاها
وراى في هذا اصلاحا للناس وجمعا لكلمة الاسلام فعمل على هذا
وقدم الحاكم مصر وتابعه الظاهر بيبرس الا انه حجر عليه وبعد مدة
اسقط اسمه عن السكة وابقاه في الخطبة ودام ممكنا الا انه ممنوع وموسع
عليه الا انه مضيق له بالنسبة الى ما يستحق فلما انتهى الامر بالدولة الشريفة
الملكية الاشرفية الصلاحية سقى الله عهدها فسح له واحل له قصر
الكبش وبواه منزله وكان العزم الاشرفي كله مصروفا الى استفتاح
العراق واعادة الخلافة الى مقرها في صدر ذلك الرواق وتصريف حكم
الحاكم في تلك البلاد واقامة الدولة العباسية على ما كانت عليه بالامرا
والوزرا والاجناد ثم توفي

ثم قام ابنه **المستكفي بالله** ابو الربيع سليمن بعهد ابيه
وكان حسن الجملة لين الحملة مع فروسية كانت فيه لو وجد لها حين
ابراز او اصغى حد الاحراز الا انه لم يجد لنفسه مساغا ولا لفضيلته
بلاغا فكان لا يرى لسهولة الجانب ومداهنة المجانب الاوطا من رمله

واضعف

واضعف من نمله وذلك انه توفيا ممن عرفت عليه عمه عهد اليه ابوه
الحاكم بالخلافة بعد ابنه المستمسك الامير ابي عبد الله محمد حين توفي
المستمسك وتجرع ابوه صاب مصابه وطوى جوانحه على داء اوصابه
ثم جعل بعده العهد الى ابرهيم ولد المستمسك ظنا انه يصلح لان يصرح باسمه
على المنابر ويجي على ذيال ابائه الاكابر فلما توفي الحاكم وخرج سلار
كافل الممالك فمن دونه في جنازته وقاموا نحو كرامته وعزائه بويع
المستكفي بيعة طوقت الرقاب وطولت له ذيل الخلافة على الاعقاب
وكان هو وسلطاننا كانهما اخوان لما بينهما من الفة جامعة ومودة
لغرق الاعدا قامعة وحضر نوبة مرج الصفر وكان على اعدا الله
المظفر سار سلطاننا به فابدا الله بهما هذه العصابة وكان يومهما
مرج الصفر ثاني يوم الصحابة كل منهما هد اركان العدو وهدم بنيان
اهل الغرور لم يزل به لو سيم الخلافة آثار باقية وشي حفظ به تلك
البقية المتلاشية حتى كان من نزول السلطان عن الملك سنة ثمان
وسبعماية ما كان وحصل الاجتماع على المظفر بيبرس فقلده
المستكفي وسوره وصيره حيث صيره فنقمها عليه السلطان واسرها
له ثم لما قام السلطان لاسترجاع ضالته وابتناه المظفر من كرسي
ضلالته استجاش المظفر بالمستكفي يجدد له الولاية ونسبت في السلطان

اقوال اليه حملت السلطان على التحامل عليه فما عاود الزمان عقله وحل
من الحظ الناصري عقله وعاد السلطان سنة تسع وسبع مائة
الى محنه وعاد ما الف من محنه اعرض عن المستكفي كل الاعراض ودبت
بينهما الامراض فلم يزل يكدر على المستكفي المشارب ويقف دونه في وجوه
المآرب حتى تركه في برج بالقلعه في بيته وحرمه وخاصه من يلوذ بحرمه
وبقي على هذا مدة حتى قام قوصون ورجل اخر معه لا اسميه ولم يزالا
بالاطفان السلطان حتى انزله الى داره واطلع هلالا له نصوا من سرار
ثم نسب الى ابنه صدقه التعلق ببعض خاصه السلطان وتردد ذلك الغلام
اليه فنفي الغلام واصعد بالخليفه الى قوص فقدمت له مطايا السفين
وانزل معه بعض حرمه وقد حفين ثم اقلعت بهم تلك السواري وعادوا
اجنة في بطون تلك الجواري الا انه لم ينقص من رواتبه ولا اسقط اسمه
عن المنابر وعبر على هذا مده يعلك فيها نفسه الى ان علقت بابنه صدقه
اشراك المنون وجالت في منيته الظنون فجزع عليه جزعا شديدا
استخف وقاره وحركه بل اطاره ثم لم تطل به المده ولا بقي الا قليلا بعده
وكانت وفاته سنة اربعين وسبع مائة ودفن بقوص وذلك بعد
ان عهد الى ابنه الحاكم ابي العباس لكنه لم يجد عهده راعيا ولا ابنه
بعده لوصيته فيه واعيا

ثم قام ابن اخيه **الواثق بالله** ابرهيم بن المستمسك ابي عبد الله محمد
بن الحاكم وقد تقدم القول فيما اصاره اليه جده من العهد بعد المستكفي
ظنا انه يكون صالحا او نجيب لداعي الخلافه صالحا فما نشا الا في تهتك
ولا دان الا بعدم تمسك اغرى بالقاذورات وفعل ما لم تدع اليه الضرورات
وعاشر السفله الارذال وهان عليه من عرضه ما هو باذل وزين له
سوء عمله فراه حسنا وعمي عليه فلم ير مسيئا الا محسنا وغوى باللعب بالحمام
ومشترى الكباش للنطاح والديوك للنقار والمنافسه في المعز الزرابيه
الطوال الاذان واشيا من هذا ومثله مما يسقط المروه ويثل عرش
الوقار الى ان صار لا يعد في سفله الناس هذا الى سوء معامله ومشترى
سلع لا يوفي اثمانها واستئجار ادر لا يقوم باجرها وتحيل على درهم
بلا بعه كفيه وسحت يجمع به فمه وحرام يطعم منه ويطعم حرمه حتى كان
عرضه عرضه للهوان واكله لاهل الاوان فلما توفي المستكفي والسلطان
عليه في حده غضبه وسار المحامل عليه في شده عليه طلب هذا الواثق
المفرق المائق الا انه غير المضطر وكان ممن يمشي الى السلطان في عمه بالنميمه
ويعقد مكايده على راسه عقد التميمه فحضر اليه واحضر معه عهد جده
فتمسك السلطان في مبايعته بشبهته وصرف وجه الخلافه الى جهته
وكان قد تقدم نقض ذلك العهد وفسخ ذلك العقد وقام قاضي القضاه ابو عمر

ابن جماعة في صرف راي السلطان الى امضاء عهد المستكفي لابنه الحاكم
ابي العباس فلم ينصرف واراد السلطان على اقامة الخطبة باسم الواثق فلم يفعل
فاتفق الرايان على ترك الخطبة للاثنين واكتفى فيها بمجرد اسم السلطان
ثم حل موت المستكفي اسم الخلافة عن المنابر كانه علا درونها وخلا الدعا
للخلفا من المحاريب كانه ما قرع مرونها فكانما كان اخر خلفا بني العباس
وشعارها عليه لباس الحداد وعود تلك السيوف الحداد ثم لم يزل الامر على هذا
حتى حضرت السلطان الوفاه وقرع الموت صفاه فكان مما اوصى به رد الامر
الى اهله وامضا عهد المستكفي لابنه وقال الان حصحص الحق وحنا على مخلفه
ورق واعتزل ابرهيم وهزل وكان قد رعى رعي الهيم وستر اللوم بثياب
اهل الكرم وتسمن وسمه ورم وتسمى بالواثق واين هو من صاحب هذا الاسم
الذي طالما سرى رعبه في القلوب وامتت هيبته الغيوب وهيهات لا تعد
من الزنابير النحل ولا الناموسه وان طال خرطومها كالفيل وانما سوء الزمان
قد ينفق ما لبد والهر يحكي انتفاخا صولة الاسد وقد عاد الان يعض يديه
ومن يهن يسهل الهوان عليه
ثم قام الحاكم بامر الله ابو العباس احمد بن المستكفي امام
عصرنا وغمام مصرنا قام على غيظ العدى وعرف بفيض هذه الندى
صارت به الامور الى مصايرها وسبقت امل مصابرها فاحيا رسوم

الخلافه

سادس عشر مسالك الابصار

الخلافه ورسم بما لم يستطع احد خلافه وسلك مناهج ابائه وقد
طمست واحياها بمناهج ابنائه وقد درست وجمع شمل بني امية وقد طال به
الشتات واطال عمرهم وقد اختلف الشيات ورفع اسمه على ذرى المنابر وقد
غير مدة لا تطلع في افاقه تلك النجوم ولا يسح من سحبه تلك الغيوم السجوم
طلب بعد موت سلطاننا تغمده الله برحمته وانفذ حكم وصيته في تمام
متابعته والتزام متابعته وكان ابوه قد احكم له بالعهد المتقدم عقدها
وحفظ له عند ذوي الامانة عهدها ثم سلطن الملك المنصور ابا بكر بن
السلطان وعمر له من تخت الملك الاوطان قلت وقد كان حين طار الخبر الى
مصر بموت ابيه اشيع انه لم يعهد اليه واما الناس قد بيع اجماعهم
عليه فكتبت صورة مبايعة له وهي بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه
ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما هذه بيعة رضوان
وبيعة احسان وبيعة رضى يشهدها الجماعة ويشهد عليها الرحمن
بيعة يلزم طايرها العنق وتحوم بشايرها على الافق وتحمل ابناها
البراري والبحار مشحونة الطرق بيعة يصلح الله بها الامة ويمنح بسببها
النعمة ويؤلف بها الاشتات ويجعل بينهم مودة ورحمة بيعة تجري بها
الوفاق وتحاري الرفاق ويسري الهنا في الافاق وتتم احمرار الكواكب

على حوض المجره الدماق بيعه سعيده ميمونه بيعه شريفه بها
السلامه فى الدين والدنيا مضمونه بيعه صحيحه شرعيه بيعه
ملحوظه مرغبه بيعه تسابق اليها كل رتبه وتطاع كل طويه ويجمع
عليها شتات البريه بيعه يستهل بها الغمام ويتهلل البدر التمام
بيعه متفق على الاجماع عليها والاجتماع لبسط الايدي اليها
انعقد عليها الاجماع فاعتقد صحتها من سمع لله واطاع وبذل
فى تمامها كل امرئ ما استطاع حصل عليها اتفاق الابصار والاسماع
ووصل بها الحق الى مستحقه وافرد الخصم وانقطع النزاع تضمنها
كتاب مرقوم يشهده المقربون ويتلقاه الائمة الاقربون الحمد
لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ذلك
من فضل الله علينا وعلى الناس والينا ولله الحمد والى بني العباس
اجمع على هذه البيعه ارباب العقد والحل واصحاب الكلام فيما قل
وجل وولاة الامور والاحكام وارباب المناصب والحكام
وحملة العلم والاعلام وحماة السيوف والاقلام واكابر بني عبد
مناف ومن انخفض قدره واناف وسروات قريش ووجوه بني هاشم
والبقية الطاهرة من بني العباس وخاصة الايمه وعامة الناس
بيعه ترى بالحرمين خيامها وتخفق على المازمين اعلامها وتتعرف

عرفات

عرفات بركاتها وتعرف بمنى ايامها ويومن عليها يوم الحج الاكبر
ويوم ما بين الركن والمقام والقبر ولا يبتغي بها الا وجه الله الكريم
بيعه لا يحل عقدها ولا يبيد عهدها لازمه جازمه
دايمه دايمه تامه عامه شامله كامله صحيحه صريحه متبعه مرجحه
لم يبق صاحب علم ولا علم ولا كاتب بسيف ولا كاتب بقلم ولا رب حكم
ولا قضا ولا من يرجع اليه فى اتفاق ولا امضاء ولا امام مسجد ولا
خطيب ولا ذو فتوي يسال فيجيب ولا من جنبي المساجد ولا من
تضمهم اجنحه المحاريب ولا من يجتهد فى راى فيخطى او يصيب ولا محدث
بحديث ولا متكلم فى قديم او حديث ولا معروف بدين وصلاح ولا
فرسان حرب وكفاح ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح ولا ضارب
بصفاح ولا ساع بقدم ولا طاير بجناح ولا مخالط للناس ولا قاعد
فى عزله ولا جمع كثره ولا قله ولا من يستقل بالجوزا لولوه ولا
من يقل فوق الفرقد ثواه ولا باد ولا حاضر ولا مقيم ولا ساير
ولا اول ولا اخر ولا مسر فى باطن ولا معلن فى ظاهر ولا عرب
ولا عجم ولا راعي ابل ولا غنم ولا صاحب اناه ولا بدار ولا ساكن
فى حضر وباديه بدار ولا صاحب عمد ولا جدار ولا ملجج فى البحار
الزاخره والبراري القفار ولا من يتوقل صهوات الجبل ولا من يسيل

على العجاجة الديل ولا من يطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل
ولا من تظله السما وتقله الارض ولا من تدل عليه الاسما على اختلافها
وترتفع درجات بعضهم على بعض حتى امن بهذه البيعة وامن عليها
وامن بها ومن الله عليه وهداه اليها واقر بها وصدق وغض بها
بصره خاشعا واطرق ومد اليها يده بالمبايعة ومعتقده بالمتابعة
ورضي بها وارتضاها واجار حكمها على نفسه وامضاها ودخل تحت
طاعته وعمل بمقتضاها وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين
والحمد لله الذي نصب الحاكم ليحكم بين عباده وهو احكم الحاكمين والحمد
لله الذي حول بيته من ايدي الظالمين والحمد لله رب العالمين ثم
الحمد لله رب العالمين وانه لما استاثر الله بعبده سليمان ابي الربيع
الامام المستكفي بالله امير المومنين كرم الله مثواه وعوضه عن دار
السلام بدار السلام ونقله من كي بدنه عن شهادة الاسلام بشهادة
الاسلام حيث اثره ربه بقربه ومهد لجنبه واقدمه على ما قدمه
من مرجو عمله وكسبه وجار له في جوار فرقفا وانزله مع الذين
انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين
وحسن اوليك رفيقا الله اكبر ليومه يوما ولا مخلفه كادت تضيق
الارض بما رحبت وتجزى كل نفس ما كسبت وسا كل سريره ما

ادخرت

ادخرت وماحت لقد اصطرم سعيرا الا انه في الجوانح لقد اضطر
منبر وسرير لولا خلفه الصالح لقد اضطرب مامور وامير لولا
الفكر بعده في عاقبة المصالح لقد غاضت البحار لقد غابت الانوار
لقد غالت البدور ورعوا ارض ما يلحق الاهله من المحاق وبدرك البدور
من السرار نسفت الجبال نسفا وخبت مصابيح النجوم وكادت تطفي
وتجاريك والملك صفا لقد جمعت الدنيا اطرافها وارتعت على المسير
وخصت الامة لهول المصير وزاغت يوم موته الابصار ان ربهم بهم
يومبيد لخبير وقفت الالباب حيارى وتوقفت تارة تصدق وتارة
تتمارى لا تعرف قرارا ولا على الارض استقرارا ان زلزلة الساعة
شي عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولم يكن في النسب العباسي
ولا في جميع من في الوجود ولا في البيت المسترشدي ولا في غيره
من بيوت الخلفا من بقايا ابا لهم وجدود ولا من بلد اخر الليالي
وهي عاقر عن ولود من تسلم البيعة امة محمد صلى الله عليه وسلم عقد بنانها
وسير طوياتها الا واحد وابن ذاك الواحد هو والله من انحصر فيه استحقاق
ميراث ابايه الاطهار وتراث اجداده ولا شي هو الا ما اشتمل عليه
ردا الليل والنهار وهو ابن المنتقل الى ربه وولد الامام الذاهب لصلبه

المجمع على انه في الانام فرد هو الانام وواحد وهكذا في الوجود الانام
وانه الجابر لما دريت عليه جيوب المشارق والمغارب والقاهر
ملك ما بين الشارق والغارب الراقي في صفيح المسما هذه الذروة
المنيفه الباقي بعد الايمة الماضين ونعم الخليفه المجتمع فيه شروط
الامامه المتضع لله وهو من بيت لا يزال الملك فيهم الي يوم القيمه
الذي يفضح السحاب نائله والذي لا تحرم عادته ولا تعدم عادله
والذي ما ارتقى صهوة المنبر تخضع سلطان زمانه الا قال ناصره
وقام قائمه ولا قعد على سرير الخلافه الا وعرف انه ما خاب مستكفيه
ولا عاب حاكمه نايب الله في ارضه والقايم مقام رسوله صلي الله
عليه وسلم وخليفته وابن عمه وتابع عمله الصالح ووارث علمه
سيدنا ومولانا عبد الله ووليه احمد ابو العباس الامام الحاكم
بامر الله امير المومنين ايد الله ببقايه الدين وطوق بسيفه الملحدين
وكتب تحت لوايه المعتدين وكتب له النصر الي يوم الدين وكب
بجهاده على الاذقان طوايف المفسدين واعاد به الارض من لا يدين
يدين واعاد بعدله ايام ايمة الخلفا الراشدين والايمة المهديين
الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون وعليه كانوا يعملون ونصر
انصاره وقدر اقتداره واسكن في القلوب سكينته ووقاره ومكن

له

له في الوجود وجمع له اقطاره ولما انتقل الي الله ذلك السيد ولقي
اسلافه ونقل الي سرور الجنه عن سرير الخلافه وخلا العصر من امام
يمسك ما بقي من نهاره وخليفه يغالب مربد الليل بانواره ووارث
نبي مثله ومثل ابايه استغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الانبيا
صلي الله عليه وسلم عن نبي يقفي على اثاره وسنى ولم يعهد فلم يبق ادلكم
يوجد النص الا الاجماع وعليه كانت الخلافه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بلا نزاع اقتضت المصلحه الجامعه عقد مجلس كل طرف به معقود
وعقد بيعه عليها الله والملايكه شهود وجمع الناس له وذلك يوم مجموع
له الناس وذلك يوم مشهود فحضر من لم يعبا بعده بمن تخلف ولم يربا معه
وقد مد يده طايعا لمن مدها وقد تكلف واجمعوا على راي واحد
استخار الله فيه فخار واخذ يمين تمد لها الايمان وتسد بها الايمان
وتعطي عليها المواثيق وتعرض امانتها على كل فريق حتى تقلد كل من
حضر في عنقه هذه الامانه وحط على المصحف الكريم يده وحلف
بالله العظيم واتم ايمانه ولم ينقطع ولا استثنى ولا تردد ومن قطع
عن غير قصد اعاد وجدد وقد نوي كل من حلف ان النيه في يمينه
نيه من عقد له هذه البيعه ونيه من حلف له وتذمم بالوفا له في ذمته
وتكفله على عبادة ايمان البيعه وشروطها واحكامها المردده

وافسامها الموكده بان تبدل لهذا الامام المفترض الطاعه الطاعه
ولا يفارق الجمهور ولا يظهر عن الجماعه وغير ذلك مما تضمنته نسخ
الايمان المكتتب فيها اسما من حلف عليها مما هو مكتوب بخطوط من يكتب
منهم وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتب او ادنوا ان يكتب عنهم جسما
يشهد به بعضهم على بعض ويتصادق عليه اهل السماء والارض سعه ثم
بمشيه الله تمامها وعمر بالصواب المعدق غمامها وقالوا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ووهب لنا الحسن ثم الحمد لله الكافي عبده الوافي عنده الموافي
لمن يضاعف على كل موهبه حمده ثم الحمد لله على نعمة يرغب امير المومنين
في ازديادها ويرهب الان يقاتل اعدا الله بامدادها ويراب بها ما
اثر في ماثر ممالكه ما بان من مباينه اضدادها حمده والحمد
لله ثم الحمد لله كلمه لا يمل من ترددها ولا يخل مما يفوت السهام
من سدادها ولا يطل الا على ما يوجب تكثير اعدادها وتكبير اقدار
اهل ودادها وتصغير التحقير لا التحبب لاندادها ونشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له شهادة تتقابس دما الشهدا وامداد مدادها
وتتنافس طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها وتجالس
رقومها المدبجه وما يلبسه الدولة العباسيه من شعارها والليالي
من دثارها والانوار من حدادها صلى الله عليه وعلى جماعة آله

ومن شغل من ابنائها وسلف من اجدادها ورضي الله عن الصحابة
اجمعين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وبعد فان امير
المومنين لما اكسبه الله من ميراث النبوه ما كان عنده ووهبه من الملك
السليماني ما لا ينبغي لاحد من بعده وعلمه منطق الطير بما يحمله حمام
البطايق من بدايع البيان وسخر له من البريد على متون الخيل ما سخر
من الريح لسليمان واتاه من خاتم الانبيا ما امتد به ابوه سليمن
وتصرف واعطاه من الفخار به ما اطاعه به كل مخلوق ولم يتخلف وجعل
له من لباس بني العباس ما قضى له سواده بسودد الاجداد ويقض على
كحل الهدب ما فضل عن سويدا القلب وسواد البصر من السواد ويمد ظله على
الارحاص وكل مكان حله دار ملك وكل مدينه بغداد وهو في ليله السجاد
وفي نهاره العسكري ومن كرمه جعفر وهو الجواد يدم الابتهال الى الله في توفيقه
والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه ويبدا يوم هذه المبايعه بما هو الاهم
من مصالح الاسلام وصالح الاعمال فيما يحلي به الايام ويقدم التقوى
امامه ويقرر عليها احكامه ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس
ومن لا يحمل امره طايعا على العين حمله بالسيف عصا على الراس ويعجل امير المومنين
بما تستقر به النفوس ويبرد به كبد الشيطان انه يوس وياخذ بقلوب الرعايا
وهو غني عن هذا ولكنه يسوس وامير المومنين يشهد الله وحلفه عليه بانه

لذا قرر لكل امر من ولاة امور الاسلام على حاله واستمر به في
مقبله تحت كنف ظلاله على اختلاف طبقات ولاة الامور وطرفات
الممالك والثغور برًا وبحرًا وسهلًا ووعرًا وشرقًا وغربًا وبعدًا
وقربًا وكل جليل وحقير وقليل وكثير وصغير وكبير ومالك ومملك
وامير وجندي من له سيف شهير ورمح ظهير ومع هولاء من وزرا
وقضاة وكتاب ومن له تدقيق في انشا وتحقيق في حساب ومن تحدث
في بريد وخراج ومن يحتاج اليه ومن لا يحتاج ومن في التدريس
والمدارس والربط والزوايا والحدايق ومن له اعظم التعلقات
اواد في العلايق وساير ارباب المراتب واصحاب الرواتب ومن
له من مال الله رزق مقسوم وحق مجهول او معلوم استمرارًا
بكل امر على ما هو عليه حتى يستخير الله تعالى ويتبين له ما بين يديه
ممن ازداد تاهيله زاد تفضيله والا فامير المومنين لا يريد الا وجه الله
ولا يحابي احدًا في دين ولا يحابي في حق فان المحاباه في الحق مداجاه على
المسلمين وكلما هو مستمر الى الان مستقر على حكم الله مما فهمه الله وفهمه
سليمان لا تغير امير المومنين في ذلك ولا في بعضه معيرًا شكر الله على
نعمه وهكذا يجازي من شكر ولا يكدر على احد موردًا نزه الله نعمه
الصافيه به عن الكدر ولا تناول في ذلك متناول الا من جحد النعمه او كفر

ولا

ولا يتعلل متعلل فان امير المومنين يعوذ بالله ويعيذ ايامه من الغير
وامر امير المومنين اعلا الله امره ان يجلى الخطبا بذكره وذكر سلطان
زمانه على المنابر في الافاق وان تضرب باسمهما النقود وتسير
بالاطلاق وتوشح بالدعا عطف الليل والنهار وتصرح منه ما يشرف
به وجه الدرهم والدينار وتباهي المنابر ودور الضرب هاتيك برفع
اسمها على امرة معهودها وهذه على اسارير نقودها فالخطب والذهب
معدنها واحد وبهما يذكر الله فيها مساجد وهذه تقام بسببها الصلاه
وتلك تدام بها الصلات وكلاهما تستمال به القلوب ولا تلام على ما تبعثه
الاذان وتوعيه وما منهما الا ما تحف بجواهره الاحداق ويميل اليه
الاعناق وتبلغ به المقاصد وكلاهما امر مطاع واذا المعت بارقه الخطب
طار للذهب شعاع ولولاهما ما اجتمع جمع ولا انضم ولا عرف الامام
ممن يأتم ولولا الاعمال ما روعيت الاموال ولولا الاموال
ما وليت الاعمال ولاجل ما بينهما من هذه النسبه قيل ان الملك له
السكة والخطبه وقد اسمع امير المومنين في هذا الجمع المشهود ما يتناقله
كل خطيب ويتناوله كل بعيد وقريب ومختصره ان الله امر باوامر ونهى
عن نواه وهو رقيب وشرع الالبا لها السجايا وتعوع الخطبا بها
شعوب الوصايا ويتكلل بها المرايا ويخرج من المشايخ الخبايا

من الزوايا وتسمر بها السمار وتترنم الحادي والملاح ويرق
سحرها في الليل المقمر ويرقم على جبين الصباح ويعطر بها مكة بطحاها
ويحي بحداها فناه ويلفها كل اب منهم ابنه وحل ولسال كل ابن غيب
اباه وهو لكم ايها الناس من امير المومنين مرشد وعليكم لله واليكم
ما دعاكم به الى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ولامير المومنين
عليكم الطاعة ولولا قيام الرعايا ما قبل الله اعمالها ولا امسك بها البحر
ودحى الارض وارسى جبالها ولا اتفقت الاراء على من يستحق وجاءت اليه
الخلافة تجر اذيالها واخذها دون بني امه ولم تك تصلح الا له ولم يك
يصلح الا لها ولم يك قد كفاكم امير المومنين السوال بما فتح لكم من ابواب
الارزاق واسباب الاوراق واجركم على وفاتكم وعلمكم مكارم
الاخلاق واجراكم على عوايدكم ولم تمسك خشية الاملاق ولم يبق لكم
على امير المومنين الا ان يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم ويعمل بما بعث به من حق اطال الله بقا امير المومنين من بعده
ويزيد على من تقدم ويقيم فروض الحج والجهاد ويعم الرعايا بعدله
الشامل في مهاد وامير المومنين يقيم على عادة ابايه موسم الحج
في كل عام ويشمل بسره سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله
الحرام ويجهز السبيل على حاله ويرجوا ان يعود الى حاله الاول

في

في سالف الايام ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل
الى تاليهما في البيت المقدس ساكب الغمام ويقيم بمعونته قبور الانبيا
صلوات الله عليهم اين كانوا واكثرهم في الشام والجمع والجماعات
هي تسلم على قديم سننها وتقوم بسننها وتستزيد في ايام امير المومنين
لمن ينضم اليه وفيما يتسلم من بلاد الكفار ويسلم منهم على يديه
واما الجهاد فكفى باجتهاد القايم عن امير المومنين باموره المقلد عنه
جميع ما وراء سريره وامير المومنين قد وكل خلد الله سلطانه عينا لا
تنام وقلد سيفا لواعب بوارقه ليلة واحدة عن الاعدا اسلمت حماله
عليهم الاحلام وسيوكد امير المومنين في ارتجاع ما غلب عليه العدى
وانتزاع ما بايديهم من بلاد الاسلام فانه حقه وان طال عليه
المدى وقد قدم الوصية بان يوالي غزو العدو المخذول برا وبحرا
ولا يكف عمن يظفر به منهم قتلا ولا اسرا ولا يفك اغلالا ولا
اصرا ولا ينفك يرسل عليهم في البر من الخيل عقبانا وفي البحر غربانا
يحمل كل منهما من كل فارس صقرا ويحمي الممالك ممن يتخون اطرافها باقدام
ويتخول اكنافها لاقدام وينظر في مصالح القلاع والحصون والثغور
وما يحتاج اليه من الات القتال وما يحتاج به الاعدا ويحوط حمله
المحتال وامهات الممالك التي هي مرابط البنود ومرابض الاسود والامرا

والعساكر والجنود وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح
الممدود وتفقد احوالهم بالعرض بما لهم من جبل تعقد ما بين السما
والارض وما لهم من زرد موصوف وبيض مها د ابيب ذهب وكانت
كانها بيض مكنون وسيوف قواضب ورماح لبس ذوايبها من
الدما خواضب وسهام تواصل القسي وتفارقها فتحن حنين مفارق
ورمحا القوس زحوه مغاضب وهذه حمله اراد امير المومنين بها
اطابة قلوبكم واطالة ذيل التطول على مطلوبكم ودماوكم واموالكم
واعراضكم في حمايته الا ما اباح الشرع المطهر ومزيد الاحسان
اليكم على مقدار ما يخفي منكم ويظهر واما حيرسات الامور فقد علمتم
بان فيمن تقلد عن امير المومنين غني عن مثل هذه الذكري ومني
حقا لا تشتغل بتطلب شي فكرا وفي ولاة الامور ورعاة الجمهور
من هو سداد عمله ومراد امله ومراد من هو منكم معشر الرعايا
وانتم على تفاوت مقادير كم عندهم وديعة امير المومنين ومن
حوله وانتم وهم فما منكم الا من سيعرف امير المومنين ويمشي
في مراضي الله على خلقه وينظر ما هو عليكم ويسير بسيرته المثلى
في طاعته وفي خلقه وكلكم سوا في الحق عند امير المومنين ولكم
عليكم ادا النصيحة وابداء الطاعة بسريرة صحيحة فقد دخل كل
منكم

منكم في كنف امير المومنين وتحت رقه ولزمه حكم بيعته والزم طاير
في عنقه وسيعمل كل منكم في الوفاء بما اصبح به عليما ومن اوفى بما عاهد
عليه الله فسيوتيه اجرا عظيما هذا قول امير المومنين وقال وهو
يعمل في ذلك كله بما تحمد عاقبته من الاعمال ويحمل منه ما يصلح له به المال
وعلى هذا عهد اليه وبه يعهد وما سوى هذا الجور لا يشهد به عليه
ولا يشهد وامير المومنين يستغفر الله على كل حال ويستعيذ به من
الاهمال ويسال الله ان يمده لما يجب من الامهال ولا يبدله حبل
الامهال ويختم امير المومنين قوله بما امر الله به من العدل
والاحسان والحمد لله وهو من الخلق احمد وقد اتاه الله ملك سليمان
والله يمتع امير المومنين بما وهبه وملكه اقطار الارض ويورثه
بعد العمر الطويل عقبه فلا يزال على سده العليا فعوده ولد سنت
الخلافة به ابهة الجلالة كانه ما مات منصوره ولا اودى مهديه
ولا ذهب رشيده   ادام الله ايام الديوان العزيز المولوي
السيدي النبوي الامامي الحاكمي ونصر به جمع الايمان ونشر
بايامه الزمان ومتعه بالملك السليماني الذي لا ينبغي لاحد من بعده
بما ورثه من سليمن ولا زال تخضع لمقامه كل جليل ويعرف لايامه
كل وجه جميل ويعترف بشرفه كل معترف بالتفضيل ويشهد بنفاذ

او امره من ذي نسبه الشريف كل اخ وخليل ولا كان الا كرمه المأمول
ودعاءه المقبول وعدوه المصروع ووليه المحمول ولا برحت طاعته
تعقد عليها كل جمع ورياسته بنصبت اليها كل سمع وطوايف الذين كذبوا
الاتنى عليهم ابا نه الا تولوا واعينهم تفيض من الدمع المماليك يقبلون
الارض بالابواب الشريفه التي هي حطه شرفهم ومكان بعيد
القدماء منهم ومن سلفهم ويلوذون بذلك المقام ويعوذون
بذلك الحرم الذي لا يبعد نسبه من البيت الحرام ويوملون ذلك
الكرم الذي ما منهم الا من سعد به طايره وجاءته به في وجه
الصباح اسايره وفي وجه العشا بشايره فنالوا به اقصى المرام
وقصوا به من الغرض ما اذا قالوا يا سعد لا يعوزن الا انك الا ايام
وينهون الى ما ورد به المرسوم الشريف الذي ما بين لما لديك الا من
لديه بتقديم عبود بينه ورفقه وسارع الى طايره الميمون وحمله بسقفه
وفتح له عيبته وظن انه حاكم وامتثلوا امره وكيف لا تمتثل الرماه
امر الحاكم لا سيما ابن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام
الحاكم واحلوه عن رفعه على العين اذ كانت تلك منزله الحاجب وقدموا
اليه خوافق قلوبهم الطايره وما علموا ان كانوا قاموا بالواجب ووقفوا
على احكام حاكمه ثم اشكوا ان زمان هذا الغي حماه ناصر في بغداد

تدعاده ان مثاله المتمثل في سواد الحدق مما حملته ايامه العباسيه
من شعار السواد وعلموا انما رسم به في معنى محمد بن الحمص الذي ما نورت
الليله الظلما الا كاد حه ولا يبعدن في الاعتقاد له بوارحه بل اجرت دموع
ندمه بيرانه المشعله واصبح به لا يحمل القوس في يده الا على انه مشعله
وما كان ابقاه بالديوان العزيز مما لم يدركو الخواطر الشريفه بانه
بيه المقترب وانه صاحب القوس الا انه ماله سعادة المشتري وانه
موه بموه الجاحد ويكون مثل قوس قزح والا فقوس البندق لون
واحد ودال لا بغروره وعرض المحضر الذي حمله على تقريره وذلك في
غيبه الامير بهاء الدين ارسلان البندقداري الحاكمي الذي لو كان حاضرا
لكان بمارسته خبره واحسن بالاعلام سبو محضره وتخيل لاخذ الخط الشريف
الذي لو عقل لكان حجه عليه ومؤكدا لابطال رميه وقوسه وبندقه
في بيع لما تضمنه الخط الشريف المفيد اللفظ بعد الاسوله المكتتب
على المصطلح الساحب ذيل هجايه على المفتتح الذي هذب الى الخير
وبدايه ما وهب من الملك السليماني الذي اوتي من كل شي وعلم
منطق الطير فانه لم يكتب الا بان يرى على الوجه المرضي واستيفا شروط
البندق والخروج من جميع الاشكال عملا بقواعده وهذا الذي كتبه
له بكتب وبينهم تعوده وسكت وتعلم به انه ما رعى حق قدمه ولا فعل

في الباب العزيز ما يجب من التحلي بشعار الصدق في خدمته وانه
خالف عادة الادب واخطا في الكل لكنه تدب وذلك بعد ان عمل
جميع رماة البندق وسيل فاجاب بانه لم يسالهم من كل اشكال
بشكل وانه بعد ان تعدى رمى وحمل وحمل فشهد عليه السادة
الامرا ولاة العهد اخوة امير المومنين ومن حضر وكتبوا
خطوطهم في المحضر وما حصل الان عند عرض قصة المماليك
بالمواقف المقدسة ووضوح قضيته المدلسة من التعجب من اعتراف
المماليك لكونهم رموا معه بعد ان راوا الخط الشريف وهو لفظ
مفيد وامر يدرسه راى الامام الحاكم بامر الله بالمسترشد بالله
والمويد وكلما امر به امير المومنين لا معدل عن طرفه ولا جدال
لابيه اذا الزم كل احد طايره في عنقه وامر امير المومنين يحر
لا مرد الا من علمه وهو الحاكم ولا راد لحكمه واما ابن الحمص المذكور
عدم السداد وخالف جاري العادة فانه هو الذي سلك في الافترا
بالسنة حداد ولم يوقف المماليك من الخط الشريف الا على بعضه
ولا ان اهم من برفقة المهلك عنبر وبصه والذي اوقفهم عليه منه
ان يرمي محمد بن الحمص ويرمي معه وكلمة امير المومنين مسمعة ومراسمه
متبعة واذا انقدم كان كل الناس يتبعه عنبر المذكور بدت منه امور

قطع

قطع بها الامير صارم الدين صاروجا الحاكم في البندق
كان في حقه وابعده عن قدمته التي كان ثبت فيها بسبقه وانفصل
عنه غلمانه ونقل عنه زمانه ونودي عليه في جمع كبير يزيد على
تسعين قوسا وخرج بخطاه بندقة حرجا لا يوسي ثم بعد مدة
سنين توسل لولد الامير المرحوم سيف الدين تنكز الى ابيه وتوصل
به الى مراميه فامر بان يرمي معه وهدد المخالف بالضرب ولم يرم
معه احد يرضاه الا خوفا ان توقد عليه نار الحرب فلما مضت
تلك الايام وانقضت تلك الاحلام جمع مملوك الابواب العالية
الامير علاء الدين ابي الابوبكري الحاكم الان في البندق من رماة
البندق جمعا كبيرا واهتم به اهتماما كبيرا وذكر امر المذكور
واحضر محضره المسطور فلم يكن عليه تعويل ولا في حكم الحاكم المتقدم
تعليل ولا عند هذا الحاكم الذي ادعى له وادعى عنده بحور الاباطيل
وتحقق ان الحق فيما حكم به عليه متبع وترجح ان لا يقام منه من اقعد
ولا يوصل ما قطع فنفذ حكم الحاكم المتقدم واستمر بفعول المتحتم
ووافقه على هذا سائر الرماة بالبلاد الشامية وحكامها ومن يرجع
اليه في الرماية واحكامها وبطلت قدمة المذكور التي ذهب فيها
عمره ضايعا وزمانه الذي لو اشتريت منه ساعة منه بالعمر

لم يكن بانعا ولما ورد الان هذا المرسوم الشريف زاده الله شرفا
قبلوا الارض لديه واوقفوا عليه حاكمهم المسمى فوقف له وعليه
وجمع له جمعا لم يدع فيه من الرماه معتبرا ولا من يلقم القوس وترا
ولا من اداً افقد كالعين جرى ما جرى ثم قرا عليهم ما تضمن ودعوا لامير
المومنين ولم يبق منهم الا من دعى وامن وتضاعف سرورهم بحكمه الذي دفع
الخلل وقطع الجدل وقالوا لا عدمنا ايام هذا الحاكم الذي انصف والامام
الذي عدل وبقي ابن الحمص مثله ونودي عليه انه من رمى معه كان مخطيا
مثله ووقرت هذه المناداه في كل مسمع ووقرت استقرارا انفصل عليه المجمع
وذلك بما فهم من امر امير المومنين ونص كتابه المبين وبما قضى الله به على
لسان خليفته الحاكم والله احكم الحاكمين وطالعوا ايضا وانهوا صورة
الحال ووجهوا في امضايه الامال لا زالت سعادة امير المومنين منزهه
عن الشبه اخذة من خير الدارين كل اسنى وجه تحصل كل رميه
عن كثب ولا يرى في كل امنيه الا كل مصطحب ما عب في السماء للدرم ووقع
العقاب على يديه بفرع سنه وندم وعلا النسر الطاير والواقع
على اثاره وساير طيور النجوم الحوم

منفصل

بفضل اليد الشريفه لا زال اعيننا وها احد الناجين واحد السالحين
واقوى الفواد مراداً هده جني الجبر حصن الجناحين ونقدم شكرا
بعجله لما يؤمله من نواله قبل سواله ويرجوه بماله بجاهه او بماله
بسبب ناصر الدين محمد بن الحمص احد قدما البندق فقد علم ما جرى
له مع رفاقه وكساله عندهم بعد نفاقه وانهم نتفوا ريشه
ثم داروا عليه ودشنوه واوقدوا له النار ثم جابو الحمص وصلقوه
ثم انهم لما سلقوه اكلوه بالسنتهم الحداد وطحنوه بسواعدهم الشداد
وهو المعز الان بينهم في غاية الاضامه وقد تنقلوا بعرضه وجعلوه
قضامه ومما تكلم في الجمع الذي جمع له حاشى مولانا الا نشروه
وقالوا نحن اخبرنك يا حمص ثم انهم قشروه وعملوا معه عمل رماة البندق
حتى رموه في وسط الموجله وفرغوا من كل احد وخلوه لهم مشغله ومما
روي من اكوحه الحمص الا الصارخ ولا عرفوا قدره الا بالكسر فحصلوا
قدره وقدموا الناخ وقد مضى عليه زمان وهو كبير الجماعه وحامل القدر

بينهم قبل ان ياكلوا الحمص هذا الاكل من فرط المجاعة وما فطن لهم
وقد تخطوا عليه هذا التخطيب واوقدوا جمرته وغطوا عليه القضية
حتى طبخوا قدرته وصادفوا كل الطير بمعاداته واستراحوا من الملق
بابطال عاداته وقد زمن المسكين من طول القعود ويبس لما لم يخرج
الى البرزات في الربيع وقد دب الماني العود وقد قتله طول الاحتشا
وذهب عمره وما سر له قلب في وجه صباح ولا وجه عشا وكلما
اراد ان ينطق قيل له اسكت لا تتكلم واستمر قاعدا مكانك ولا تتقدم
والمذكور له مند طار بجناح المولى نجاح وقد اصيب وله سوابق تجمل
بالسبق وبالجناح وقد آن لهذا الزمن المعقد ان يقف على قدمه ولهذا
الطير المذبوح بلا سكين ان يسكن مما يتخبط في دمه وسيقف مولانا
على ما بد من الجواب وما فيه وارد ويرى كيف تجمعت الرماة عليه
ورموه عن قوس واحد وبعوره عنايه تمد لها هذه الطيور اعناقها
وتجل لاحوالة المسترقه اعناقها وذلك تجمع بجمع بالديار المصرية
بحضرة الامامة ومكان لا يعتم على احد فيه الاوقات الهجير طل الغمامة
فقد ضجر هذا الراهب المنجه في حب البندق مما يصير وما يوجر
وقد يبس قوسه وصار حطبه مما هو معكوك ما يوتر وهو مما لا ينقلب
من غير مرامي البندق الى اهله مسرورا وممن يهون عليه اذا احدقوسه

أن

ان يفقد عينيه ويكون موتورا وقد قنع من المملوك بالشفاعة وبان
سلطح بندقه بالدم ويقنع بالشناعه فقد شكي في هذه المدة لعدم الحمل
كمنداته وفعوده وقد برز الى البرجماعة احدانه وهو الان مما المحنوق
مثل هشيم المحتضر وقوسه قد التوي عنقه لكن الى صوب مولانا لما ينتظر
وفي الحديث استعينوا على كل صنعة بصالح اهلها وهذا في صنعة البندق
هو الصالح الفاسد وله في كثرة رمي البندق ما لا ينكره الحاسد واعجب
الاشيا ان اللحم بعده قد قل ومع هذا الحمص كاسد وعلى هذا فقد طالت
على هذا الشيخ الصالح كما تقدم الخلوه فقد نصح الحمص واما السلق الذي
دقوا به قفاه فبعد عليه غلوه وقد مرقوا اجله اضعاف ما قد لعله بقي
جراوته من الطيور ودق دقا تا عما مثل القضامه وجعل في معالف
الطيور ولابد المولى له التشفيع المشفع ويخفف ما به ويطبه بما حي
عين قوسه ما تجف له مدمع

وهذه الدولة الاموية

واتساق فيها ذكر ابن الزبير لان ايامه تخللتها وشغلتها مده ما اخلتها
والا فهذه الدولة الاموية موخرة هنا وهي مقدمة في الزمان على حسب
النسب والكل من جوهر منه ما طفا ومنه ما رسب واولها

دولة معوية بن ابي سفين صخر بن حرب بن امية الاصغر

بن عبد شمس بن عبد مناف وزعم قوم ان لهم القابا مثل القاب بني
العباس تجري القابها بينهم على القياس وهذا لمن كان منهم بدمشق
ولا يدعي في هذا قول حق فاما من كان منهم بالاندلس فانهم تعرفوا بعواري
اعلامها وتسرقوا بطوارق احلامها ونحن لا نذكر معهم امير المومنين
عثمان بن عفان رضي الله عنه اذ لم يكن لذكره هنا معنى ولا مع غير
الخلفا الراشدين مجى وانما نذكر دولة بني حرب ومروان من لدن معوية
الي اخرها وان كان معوية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب
الوحي منذ اسلم ثم كانت له منزلة قربه وصله بام حبيبه اسلم يوم فتح
مكه وثبت في مهاب الكفر شركه وكان يقول انه اسلم من قبل وانما كان
يكتم اسلامه ويظهر لابيه مطاوعته واستسلامه وانما هي دعوى الله
اعلم بغيبها واحكم بما فيه جلا دسها وانما اجماع المحدثين والقدمين
والمحدثين على انه هو وابوه واخوه ودون من مسلمة الفتح قولا ثبتا وقطعا
ثم طلقا الفتح وعتقا الصفح اخذ العباس رضي الله عنه لابيه ابي سفيان
الامان واتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل اسلامه على ما كان
واكرمه بامور منها انه كل من دخل دار ابي سفيان على ما تقدم في السيرة
ثم كانت الي الله السريرة فاما الظاهر فانهم من المولفة قلوبهم والمولبة
على اول الاسلام واخر حروبهم وكان معوية رضي الله عنه كثير

السودد

السودد لا يحف كالجبل الفرد ذخر لا يدرك قراره وطود لا يدهك
وقاره ونخل لا يرد نفاره ومنصل لا يحد غراره طبع الحلم فيه غريزة
ووضع السداد فيه نحيزة لم يكن اوسع منه بطانا ولا امنع منه سلطانا
لا يونرد بن في عزيز حلمه ولا يواخذ مسيئا بكسير حرمه لو ان امله
في النجم لبلغه او في اليم لسوغه حمل اصيد من الخاخ واجول في
الفضا من الرخاخ يتلطف لوارد للشرب في مسالم الزجاج وعدت
به مدان البحر الاجاج امره امير المومنين عمر رضي الله عنه بعد اخيه
يزيد وقدره على الشام كما يريد فقرت بها قراريه واقمرت فيها داريه
وتحبب الي اهلها حتى كانه بينهم ربي او لهم جني لتالفه لاهوايهم وتعرفه
لادوايهم بما دخل به على قلوبهم يستدخل مطلوبهم فاستعبد طوايا نهم
واستعبد نياتهم حتى اتخذهم شيعه وانفذهم سهاما في كل وقيعه
واستمر حتى قتل امير المومنين عثمان رضي الله عنه فقام بطلب بدمه
ويبدي القمص بيده ويشهر باليكا دمعته ويشهر بالانتكا سمعته
وقال انا ولي عثمان لا ارجع بالربع ولا بالثمان لا ابيع دمي بالاثمان ولا اتبع
قدمي الا المصرح بدمه ذلك الجان وذلك حين لم نقر امير المومنين
على عليه السلام على الشام والبا ولم يقله للاسلام كالبا قال له ابن عباس
رضي الله عنه يا امير المومنين وله شهرا واعزله دهرا فقال وما كنت

تجد المصلين عضدا وكذلك قد كان قال له المغيرة وهو أحد
العرب دهاء وأحق بحد لا يطرف عنه عتبة النهاء فأجابه بنحو
حوي ذلك الجواب وكان سوي ما قصد الصواب فلما رأي المغيرة
انه لا يقبل رايه تركه وصوب له رايه وهو مهلكه فأتاه بن عباس
والمغيرة قد خرج من عنده وما خرج نار رايه من زنده فلما دخل
عليه قال له ما قال لك المغيرة وما اجبته فلما قص عليه القصص قال
ولم خالفته وقد نصحك والله اولا وغشك ثانيا وقرب له الراي فلم يكن
له مدانيا فلما اتي كتاب علي معوية القاه وقبله صدر الجبل ولقاه وابد
بعمرو بن العاص وادرج طلب الخلافة في امر القصاص فنشأت تلك الحروب
السجال والحروب المتلفه لمهج الرجال حتى كادت تاتي على الاسلام وتحوي
في حصانه السيوف من لم يبلغ الاحتلام وباجماع العلما ان حزب الشام
هم البغاة الناطق كتاب الله بحربهم المصيب علي رضي الله عنه في قتال
حزبهم ولا يعد اهل الحق لمعاوية خلافة الا منذ سلم اليه الحسن
وسلم من الغش وكانت امه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس عند
الفاكه بن المغيرة المخزومي وكان له بيت للاضياف يغشاه الناس
فيه بغير اذنه فقعد فيها يوما ومعه هند ثم خرج عنها وتركها
به نايمة فجا بعض من كان يغشى البيت فدخل عليها وخرج فجا الفاكه

وبنهها

وتبهها وقال لها من هذا الذي خرج من عندك قالت له ما انتبهت
حتى نبهتني فقال لها الحقي باهلك فخاض الناس في امرهم فقال لها
ابوها اني شانك فقالت والله يا ابه انه لكاذب فخرج به وهند معه
ليحاكمه الي بعض كهان اليمن فلما قاربوه تغير وجه هند فقال ابوها
الا كان ذلك قبل ان يشتهر خروجنا في الناس قالت والله ما ذلك
لمكروه قبلي ولكنا نأتي بشرا يخطي ويصيب ولعله ان يسمني بميسم يبقي
علي قال صدقت وساختبره فاصفر لفرسه فادلى فعمد الي حبة بر فادخلها
في احليل الفرس ثم اوكا عليها فلما نزلوا على الكاهن قال له عتبة انا
قد اتيناك في امر وقد خبأت لك شيا اختبرك به فما هو قال تمرة في كمرة
قال ابين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال صدقت فانظر في امر هاولاء
النسوة فجعل يمسح على راس كل امراة منهن ويقول قومي لشانك حتى بلغ
هندا فمسح على راسها وقال قومي غير رسحا ولا زانية ولتلدين ملكا
اسمه معاوية فلما خرجت اخذ الفاكه بيدها فنزعت يدها من يده
وقالت والله لاحرص ان يكون من غيرك فتزوجها ابو سفين فولدت له
معوية وعن ابي الشاريب قال كان راس معوية كبيرا فقال ابو سفين
والله ليسودن ابني قريشا فقالت هند ثكلته ان لم يسود العرب
فاطبة وحكي ان هند لما فارقها الفاكه وراها الكاهن اليمني قالت لابيها

انك زوجتني ولم تؤامرني في نفسي فعرض ما ترى فلا تزوجني ابدًا زوجًا حتى تعرض علي خصاله فخطبها بعد ذلك سهيل بن عمرو وابو سفين بن حرب فدخل عليها ابوها فقال

اتاك سهيل وابن حرب وفيهما رضى لك يا هند الهنود ومقنعُ
فما منهما الا كريم مرزأٌ وما منهما الا اغر سميدعُ
فدونك فاختاري فانت بصيرة ولا تخدعي ان المخادع يخدعُ

قالت فسر لي خصالهما فبدأها بذكر سهيل فقال اما احدهما ففي ثروة وسطة من العشيرة ان تابعته تابعك وان ملت عنه حط اليك تحكمين عليه في ماله واهله واما الاخر فموسع عليه منظور اليه في الحسب الحسيب والراي الاريب مدره ارومته وعز عشيرته شديد الغيرة كثير التطلع لا ينام عن ضيعة ولا يرفع عصاه عن اهله قالت اما الاول فسيد مضياع للحرة فما عسى ان تلين بعد ابائها اتبعها بعلها فاشرت وخافها اهلها فامنت فساء عند ذلك حالها وقبح هناك دلالها فان جاءت بولد من هذا اجمعت وان نجبت فعن خطا ما انجبت فاطو ذكر هذا عني واما الاخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة واني التي لا اربث له عشيرة فتغيره ولا تصيبه بذعر فتضيره فزوجته فزوجها من ابي سفيان ويقال انه اهديت الكعبة جزور من احد ملوك الهند وقال لا ينحرها الا اعز من بمكة فقالت له هند وهو في

سابعها

سابعها اخرج ليلا ليسبقك احد الى هذه الكرامة فقال لها دعيني وشأني والله لا ينحرها احد الا نحرته فربطت الجزور بفناء الكعبة حتى خرج ابو سفيان من سابعه فنحرها واما ما كان بين علي ومعاوية رضي الله عنهما فلا حاجة بنا الى ذكره لشهرته الا ان الاجماع على ان علي رضي الله عنه قاتل الفئة الباغية حرب معوية ولما استتب له الامر دخل عليه سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فقال السلام عليك ايها الملك فضحك معاوية وقال ما كان عليك يا ابا اسحق رحمك الله لو قلت يا امير المؤمنين فقال اتقولها جذلان ضاحكًا والله ما احب اني وليتها بما وليتها به وقال معاوية لو وزنت بالدنيا لرجحت بها ولكني وزنت بالاخرة فرجحت بي ويقال انه اول من حول الخلافة ملكًا واول من ترك حدا من حدود الله ترك رجلا وجب عليه القطع واما بعد غوره فقد حكي انه قال لعمرو بن العاص انا ادهى قال اما في البديهة فانا واما في الاناة فانت قال معوية اصغ لي اسارك بشيء فادنى راسه وكانا خلوين بينهما بران فقال له معوية غلبتك ايها الداهية هل هاهنا احد لتسارك دونه فقال له يوما ما بلغ من دهائك فقال لم ادخل في امر الا خرجت منه قال معوية لكني لم ادخل في امر فاحتجت الى طلب الخروج منه وحكي انه اسر رجل من قريش فحمل

الي صاحب القسطنطينيه فكلمه ملك الروم فجابه بجواب لم يوافقه
فقام اليه رجل من بطارقته فوكزه فقال القرشي وامعاويتاه لقد
اغفلت امورنا واضعتنا فاتاه الخبر فطوى عليه حتى احتال في هدايه
فلما وصل ساله عن اسم البطريق فلما عرفه ارسله الي رجل من قواد
صور وكان من قواد البحر المشاهير بالنجدة والباس وقال له انشئ
مركبا يكون له مجاديف في جوفه وسافر الى بلاد الروم على انك سافرت
مستترا امنا وتوصل بملك الروم ومكنه من المال واحمل الهدايا الي جميع
اصحابه ولا تعرض لفلان يعني الذي لطم القرشي واعمل كانك لا ترى تعرفه
فاذا كلمك وقال لك لاي معنى تهادي اصحابي وتتركني فاعتذر اليه وقل
له انا رجل ادخل الي هذه المواضع مستترا ولا اعرف الا من عرفت به
فلو عرفت بك لهاديتك كما هاديت اصحابك ولكني اذا انصرفت اليكم مرة
اخري ساعرف حقك فلما انصرف اليهم ثانية هاداه والطفه واربى
في هديته على اصحابه حتى اطمان اليه البطريق ثم قال له كنت احب ان تجلب
الي من بلاد المسلمين بساط ديباج يكون على الوان الزهر فقال له نعم
ثم رجع الى معويه فاخبره بما طلب فامر ان يشترى له بساط ديباج
على ما وصف له وقال له اذا دخلت وادي القسطنطينيه اخرج البساط
وابسطه على ظهر المركب وتبصر حتى يصل اليه الخبر لعله يحمله الشره

علي

على الدخول اليك فاذا حصل عندك عرفت رجالك بالامارة ليخرجوا
المجاديف المخباه وتكر به راجعا الي بلاد الاسلام ففعل ما امره به فلما
بسط ذلك البساط على ظهر مركبه واتى البطريق الخبر فحمله الحرص والنشاط
الى ان دخل اليه فلما حصل في المركب اظهر الامارة التي كانت بينه وبين
رجاله وكر به راجعا الي بلاد المسلمين حتى وصل به الى معويه فاحضر
معويه القرشي وقال له هذا صاحبك قال نعم قال له قم فاصنع به مثل
ما صنع بك ولا تزد فقام القرشي فوكزه كما كان فعل به العلج ثم قال معويه
للعلج ارجع الي ملكك وقل له تركت ملك الاسلام يقتص ممن حولك ثم قال للذي
اتى به انصرف الي اول ارض الروم واخرجه واترك له البساط وكل ما سلك
ان تحمله اليه من هديه فانصرف به الى فم وادي القسطنطينيه فوجد ملك
الروم قد صنع سلسله على فم الوادي ووكل بها الرجال فلا يدخل احد الوادي
الا باذنه فاخرج بها العلج وكل ما كان معه ومن معه فلما وصل الى ملكه
ووصف له ما صنع به معويه قال هذا ملك كثير الحيله فعظم معويه في اعينهم
وفي نفوسهم فوق ما كان ومن حيله التي انعكست عليه امر زينب بنت اسحق
زوج عبد الله بن سلام القرشي وكان واليا على العراق لمعويه وكانت زينب
مثلا في نساء زمانها جمالا ومالا وشرفا وادبا وكان يزيد بن معويه
قد سمع بما هي عليه ففتن بها فلما عيل صبره استراح بالحديث الي بعض خصيان

ابيه وكان ذلك الخصي خاصا بمعوية فذكر ذلك له فبعث معوية الي يزيد فسأله فبث له حاله فقال مهلا يا يزيد فقال اتأمرني بالمهل وقد عيل الصبر فقال اكتم يا بني امرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ امره فيك ثم اخذ معاوية في الحيله ليزيد فكتب الي عبد الله بن سلام ان اقبل حين تنظر كتابي هذا لامر فيه حظك فلما قدم عليه ابن سلام امر معوية ان ينزل منزلا قد هياه له واعد فيه نزله ثم قال لابي هريره وابي الدرداء وكانا يومئذ عنده فقال لهما ان الله قد قسم بين عباده نعما اوجب عليهم فيها شكرها وحتم عليهم حفظها فحباني منها باتم الشرف ليبلوني اشكر ام اكفر واول ما ينبغي للمرء ان يتفقده امر من لا غنا به عنه وقد بلغت لي ابنة اريد انكاحها وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشي لشرفه ودينه وفضله ثم قال لهما الا فاذكرا ذلك له وكنت قد جعلت لها في نفسها شورى غير اني ارجوا ان لا تخرج من رايي فاتيا ابن سلام فذكرا ذلك له ثم دخل على ابنته فقال لها اذا دخل اليك ابو هريره وابو الدرداء فعرضا عليك امر ابن سلام فقولي لهما عبد الله كفو كريم وقريب حميم غير ان تحته زينب بنت اسحق وانا خائفه ان يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء فاتناول منه ما يسخط الله فيه ولست بفاعلة حتى يفارقها فلما ذكرا له ما قال قال فادخلا اليها فاستامراها فلما دخلا اليها قالت لهما ذلك القول فقالا اذهبا فاعلماه فلما

اتياه

اتياه فاعلماه ظن انه لا يمنعها منه الا فراق زينب اشهدهما بطلاقها وبعث بهما اليه خاطبين فلما اتياه اظهر الكراهة لفعله وقال ما كنت لاستحسن له طلاق امراته فانصرفا الي عدتها ثم استاذناها ثم كتب الي ابنه يزيد بالخبر ثم شرع في مطل ابن سلام والاخذ به من يوم الي يوم ثم ابت بنت معوية الا المنع فعلم انه انما خدع فقال ليس لامر الله راد ولا لما لا بد منه صاد فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع له عقله واشتد رايه ليس بدافع عن نفسه قدرا براي ولا كيد ولعل ما سروا به واستجدوا لوايه لا يدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره فلما انقضت اقراؤها وجه معوية ابا الدرداء الي العراق خاطبا لزينب على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسن بن علي عليهما السلام فبدا ابو الدرداء بزيارته فلما راه قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته ثم قال له ما اتى بك يا ابا الدرداء قال وجهني معوية خاطبا على ابنه يزيد زينب بنت اسحق فقال له الحسن لقد كنت اريد نكاحها وما اخرته الا لتنقضي اقراؤها فاخطب رحمك الله علي وعليه وابذل لها من المهر مثل ما بذله لها معوية عن ابنه فقال افعل فلما دخل عليها اعلمها بما كان فقالت يا ابا الدرداء لو ان هذا الامر جاءني وانت غايب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رايك ولم اقطعه دونك فاما اذا كنت انت المرسل

فقد فوضت امري بعد الله اليك وجعلته في يدك فاختر لي ارضاهما
لديك والله شاهد عليك فاقض في قصدي بالتحري ولا يصدنك اتباع
هوى فليس امرهما عليك خفيا ولا انت عما طوقتك غبيا فقال ابو الدرداء
ايتها المراة انما علي اعلامك وعليك الاختيار لنفسك قالت عفا الله عنك
انما انا ابنة اخيك ولا غنى لي عنك فلا يمنعك رهبة احد من قول الحق
فيما طوقتك فقد وجب عليك اداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي
وخيف انه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بدا من القول قال اي بنية ابن
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي والله اعلم بخيرهما لك وقد رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتي حسن حيث وضع
رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته فتزوجها الحسن
عليه السلام وساق لها مهرا عظيما وبلغ معوية ما فعل ابو الدرداء
فتغاظه جدا ولامه شديدا وقال من يرسل ذا بله وعمى ركب خلاف
ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل شخوصه الى الشام
مالا عظيما فلما طال مكث ابن سلام بدمشق جفاه معوية لقوله فيه
انه خدعه فشخص الى العراق وهو لا يظن الا جحودها لوديعته لطلاقه
لها من غير ما سبب وبقي لا يعرف ما يصنع فاتى الحسن رضي الله عنه فاخبره
بخبر الوديعة ليقول لها فلما اتاها قال لها ان ابن سلام اتاني فذكر

لي انه كان استودعك مالا فادي اليه امانته فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب
الا حقا قالت لعمري لقد صدق ولقد اودعني مالا لا ادري ما هو فادفعه اليه
بطابعه فاثنى عليها الحسن خيرا ثم قال لها الا ادخله عليك حتى تتبرأي اليه
منه كما دفعه اليك ثم لقي عبد الله وقال له ما قالت فادخل عليها وتوفى ماله
منها ثم اخذه ودخل به عليها فاخرجت اليه المال فشكر واثنى ثم اعطاها
بعضه وقال خذي هذا مني فبكيا حتى علت اصواتهما بالبكا اسفا
على ما ابتليا به من الفراق فرق الحسن لهما ثم قال اللهم انت تعلم
اني لم استنكحها رغبة في مالها ولا جمالها ولكن اردت احلالها لبعلها
وانا اشهدك انها طالق ثلثا فشكراه فسالته زينب ان تعيد اليه ما كان
ساق اليها فابى فلما انقضى اقراؤها تزوجها ابن سلام ثم بقيا زوجين
متصافيين الى ان فرق الموت بينهما وحرمها الله يزيد بن معوية
وكان معوية يقول لا اضع سيفي حيث يكفيني سوطي فاذا لم اجد
بدا من السيف ركبته ومما روي من حلمه انه كلم الاحنف يوما كلاما
عنفه فيه فقال له الاحنف يوما كلاما مهلا يا امير المومنين فان
القلوب التي ابغضناك بها بين جنوبنا وان السيوف التي قاتلناك
بها لفي عواتقنا وان الخيل التي دهمتك بهم تحول بيوتنا فاياك وما
ردها فيه فقال عذرا يا ابا بحر وبعث معوية الى رجل من الانصار

بخمسمايه دينار فاستقلها فاقسم علي ابنه ان ياتي معويه فيضرب بها
وجهه فانطلق حتى اتاه فقال ما جابك يا ابن اخي قال يا امير المومنين
ان لابي طرفة وقد قال لي كيت وكيت وعزمه الشيخ على ما قد علمت فوضع
معويه يده على وجهه وقال افعل ما امرك به ابوك وارفق بعمك فرمي
بالدنانير وامر معويه للانصاري بالف دينار وبلغ الخبر يزيد فدخل
علي معويه مغضبا فقال لقد افرطت في الحلم حتى خفت ان يعد ذلك منك
ضعفا فقال اي بني انه لايكون مع الحلم ندامه ولا مذمه فامض لشانك
وذكر عمرو بن العلاء ان جابر بن عبد الله الانصاري وفد علي معويه
فاستاذن فابطا عليه الاذن ثم اذن له فلما دخل اليه قال له ويلك
يا معويه اما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حجب ذا حاجة
وفاقه فقال له معويه وانت فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ستلقون بعدي يا معاشر الانصار اثره فلم لا صبرت يا جابر فخرج
جابر مغضبا فركب ما قدم يريد المدينه ثم اقبل يزيد على اثره وقال ما تكلم
بجبير فقال يا ابة نعيد السفه عار الربان اتاك بحجته وخصمته قال
لم اصبر عند ما سمعت كلامه قال الحقه فاعطه خمسمايه دينار فلحقه يزيد
فقال ان ابي يقرا عليك السلام ويقول استعن بهذه على بعض سفرك
فقال له جابر ارددها عليه وقل له

واني

واني لاختار الحيا على الغنى اذا اجتمعا والصبر بالبارد المحض
وانزع اثواب الغنى ولقداري مكان الغنى لا اهين لها عرضي
فجا يزيد فاخبر اباه بشعره فقال ارجع فارددها عليه وقل له
سامنحكم عرضي ولو شيب مسكم قوارع تبري العظم من كلم مض
ولا احرم المعتر ان جا طالبا ولا البخل فعل من سماي ولا ارضي
فعاد يزيد فاخبر جابر بشعر ابيه فقال ارددها عليه وقل له ما كنت
لتري يا ابن اكله الاكباد في صحيفتك حسنه انا سببها وبلغ معويه
ان يزيد ضرب غلاما له فقال يا بني كيف طوعت لك نفسك فقل من
لا يستطيع امتناعا منك ولما قدم عبد الرحمن ابن حسان على معويه
طال مقامه فقال شعرا سبب فيه باخت معويه فغضب يزيد بن معويه
فقال لمعويه يا امير المومنين اقتل عبد الرحمن بن حسان قال ولم يا بني
قال لانه سبب باختك قال وما قال قال
طال ليلي وبت كالمحزون وملك الثوا في جيرون
قال وما علينا من طول ليله وحزنه ابعده الله قال انه يقول
ولذاك اغتربت بالشام حتى ظن اهلي مرجمات الظنون
قال وما علينا من ظن اهله قال انه يقول
وهي زهراء مثل لولوة الغواص ميزت من جوهر مكنون

قال صدق يا بني ايضا لمن جوهر مكنون قال وانه يقول

• واذا ما نسبتها لم تجدها في سناءٍ من المكارم دون •

قال صدق لحمد الله هي كذاك قال انه يقول

• ثم خاضرتها الى القبة الخضرا المشي في مرمر مسنون •

قال ولا كل هذا وضحك وقال ما قال ايضا قال قال

• قبة من مراجل ضربوها عند حد الشتاء في قيطون •

• عن يساري اذا دخلت من الباب وان كنت خارجا عن يميني •

• تحعل الند والالوه والمسك صلاء لها على الكانون •

• وقباب قد استرجت وبيوت يطفوها بالاس والزرجون •

قال يا بني لا تحب القتل في هذا والعقوبة دون القتل بعرية فيزيد في قوله ولكن نلقه بالتجاوز والصلة فوصله وصرفه وعن زيد بن عباض قال قال معوية للارض لله وانا خليفة الله فما اخذت فلي وما تركته للناس فالفضل مني قال صعصعة بن صوحان بل انت واقصى الامة سوا ولكن من ملك استاثر فغضب معوية وقال لهممت بك فقال صعصعة ما كل من هم فعل قال ومن يحول بيني وبينك قال الذي يحول بين المرء وقلبه قال له صدقت ولم يعرض له ودخل عليه ابو الاسود الدولي فانه لحدثه اذ حبق فقال

يا امير

يا امير المومنين انا عايذ بالله وبسترك ثم خرج ودخل عمرو بن العاص لحدثه فبلغ ابا الاسود فاتاه فقال يا معاوية ان الذي كان مني قد كان مثله منك ومن ابيك ومن لم يومن على ضرطة لجدير لا يومن امر الامة واتى معوية رجل يسله بالرحم فقال معوية ذكرتني رحما بعيده فقال يا امير المومنين ان الرحم سنه ان بللتها ابتلت وان تركتها انقصفت ثم اخذ يغلظ القول فقال له معوية دع عنك هذا وسل حاجتك قال مائة ناقة منتج والف شاة دبي فامر له بذلك وعن عبد ابن القسم قال معوية ما شي اعجب الي من غيظ اتجرعه ارجوا بذلك ثواب الله عز وجل وزوج معوية ابنته رمله من عمرو بن عثمان بن عفان فسمعت مروان بن الحكم يقول له وقد عاده انما ولي معاوية الخلافة بذكر ابيك فما يمنعك من النهوض لطلب حقك فنحن اكثر من ال حرب عددا ثم اظهرت انها تسمع ومكثت الى ان خرج عمرو بن عثمان حاجا فاستاذنته في زيارة ابيها فاذن لها فاتته فقال لها ما لك اطلقك زوجك قالت الكلب اضن بسمينه وحدثته من حديث مروان واستنكاره الى ابي العاص واستقلاله ال حرب فكتب معوية الى مروان

• اواضع رجل فوق رجل تعدنا كعد الحصا ما ان تراك تكاثر •

وامكم برحى توامًا لبعلها وام اخيكم برح الولد عاقر

ثم لم يحقدها عليه ودخل اعرابي المسجد ومعويه يخطب فقال
ايها المتكلم اسكت انشد جملي فسكت معويه فقال الاعرابي ايها الناس
من دعا الى جمل عليه قتب فردد القول مرارًا فقال معويه ايها الاعرابي
حله حليته سوا القتب فلعل القتب قد ضاع ثم مضى في خطبته ودخل
على معويه عدي بن حاتم وعبد الله بن الزبير فقال ابن الزبير ان عند
هذا الاعور جوابًا فاحركه قال نعم فقال له يا عدي اين ذهبت عينك
قال يوم ذهب ابوك هاربًا وضربت انت على قفاك موليًا وانا يومئذ
مع الحق وانت مع الباطل وعن حبيب بن مسلمه الفهري قال ركب
معويه وانا معه فبينا نحن نسير اذ طلع علينا رجل جميل الهيبه فلما
ان اكبر معويه ولا اكرث له واكبره معويه واعظمه اعظاما شديدًا
ثم قال احنت زايرًا ام طالب حاجة قال لمات لشي من ذلك ولكني جيت
مجاهدًا وارجع زاهدًا فمضى معاويه عنه فقلت من هذا يا امير المومنين
قال عقبه بن عامر الجهني قلت ما ادري ما اراد بقوله خيرًا ام شرًا
قال دعه فلعمري ان كان اراد الشر ان الشر لعايد بالسوء على
اهله قلت سبحان الله ما ولدت قرشيه اذل منك فقال يا حبيب الحلم
عنهم يجمعون خير ام جهل ويتفرقون فقلت بل حلم ويجمعون ثم قال

امض

امض ويجتمعون ثم قال امض فما ولدت قرشيه قرشيا له مثل
قلبي قلت اني اخاف ان يكون ما يصنع ذلا قال وكيف وقد قاتلت
عليا فنصرت على منا وانتم وبغضهم وعن سحيم بن حفص قال كانت
لعبد الله بن الزبير ارض الى جانب ارض لمعويه فاقتتل غلمان معويه
وغلمان بن الزبير فكتب لبن الزبير الى معويه اما بعد فقد غلبتنا
بحمرانك وسودانك ولو قد التقت حلقتا البطان فاستوت بنا وبك
الاقدام علمت ان حمرانك وسودانك لا يغنون عنك شيا فقرا معويه
الكتاب ثم رمى به الى ابنه يزيد فقال ما عندك قال تبعث اليه من
يقتله فتستريح من حمقه وعجبه قال يا بني له بنون وعشيره تمنعه
ان يغتنم بما به رجل اعطيت كل رجل الفا بلغ ذلك ما به الف ولا ادري
على من تكون الدايره فان غلبوا بعثت الفا واعطيتهم الف الف ولكني
اكتب اليه فكتب اليه من معويه امير المومنين الى عبد الله بن الزبير
اما بعد فقد جاني كتابك تذكر انا غلبناك بحمراننا وسوداننا وانه
ان التقت حلقتا البطان واستوت بنا وبك الاقدام علمت ان حمراننا
وسوداننا لا يغنون عنا شيا واني قد وهبت لك ذلك المال بحمرانه
وسودانه تجده حظا نضرًا والسلام فكتب اليه لعبد الله معويه
امير المومنين من عبد الله بن الزبير اما بعد فقد غلبتنا بحلمك وجدت

وجدت لنا بما لك فجزاك الله يا امير المومنين خيرًا فلما اتى الكتاب
لمعويه قال ليزيد يا بني اهدا خير ام ما اردت وانشد معويه
رجل شعرًا قاله عبد الله بن همام السلولي

• خشينا الغيظ حتى لو سقينا دما بني امية ما روينا •
• لقد ضاعت رعيتكم وانتم تصيدون الارانب غافلينا •

فقال ما ترك ابن همام شيا وذكرانه لو شرب دمانا ما اشفى اللهم
الكفاه وعن المداينى قال قال معويه انى لارفع نفسي عن ان
يكون ذنب اعظم من عفوي وجهل اكبر من حلمي وعورة لا اواريها
بستري واساة لا تمحوها حسناتي وكان يقول لو ان بيني
وبين الناس شعره لما انقطعت قيل له كيف قال ان جندوها ارسلتها
وان خلوها جبذتها ومما يوثر عنه انه قال لابنه يزيد يا بني
اتخذ المعروف عند ذوي الاحساب لتستميل به مودتهم وتعظم به
في اعينهم وتكف به عنك عاديتهم واياك والمنع فانه مفسده للمروة
وازرا بالشرف ونظر معويه الى الهجار العذري في عباة فازدراه
فقال يا امير المومنين ان العباه لا تكلمك وانما يكلمك من فيها وقال
يوما اعنت على علي بكتمان سري وفشى اسراره وبطاعة اهل الشام
لي ومعصيه اصحابه له وبذلي المال وامساكه اياه وكان معويه

الكولا

اكولا شهمًا وهو اول من نوع في هذه الامه المطاعم وحج
معويه فلما كان بالابواء خرج يستقري مياه كنانه حتى
اذا صار الى عجوز فقال لها من انت قالت من الذين يقول
فيهم الشاعر

• هم منعوا جيش الاحابيش عنوة نهارًا واعنهم غزاة بني بكر •

فقال لها معاويه فاذًا انت دوليه قالت فاني دوليه فما عندك
قري قالت عندي خبز خمير وحيس كثير ولبن حزير وماء
نمير فاناخ وجعل ياخذ الفلذة من الخبز يملوها من الحيس فيغمسه
في اللبن ثم ياكل حتى اذا فرغ قال حاجتك قالت حوايج الحي فنودي
فيهم فاتاه الاعراب فرفعوا حوايجهم فقضاها وامتنعت
العجوز ان تاخذ شيا لنفسها وقالت لا اخذ لقراي ثمنا وكان
معويه يجوع في رمضان جوعا شديدًا فشكى ذلك الى ابن اثال
الطبيب فاتخذ له الكنافه فكان ياكلها في السحور فهو اول من اتخذها
وحكي ان ابا هريره حضر صفين فكان يصلي خلف علي وياكل
على سماط معويه فاذا قامت الحرب اعتزل الفيتين وقعد على
تل هناك ينظر اليهما فقيل له ما راينا رجلا يصنع مثل صنعك فقال
الصلاه خلف علي افضل وطعام معويه ادسم والقعود فوق التل اسلم

وكان يقال انه على سعة كرمه ربما بخل بالطعام حكي ان رجلاً اكل معه فنظر معوية الى الرجل فراى شعرة في لقمة تناولها من الطعام فقال له ازل الشعرة فالقاها من يده ثم ابى ان ياكل وقام وهو ينشد

وللموت خير من زيارة باخل يلاحظ اطراف الاكيل على عمد

واكل معه صعصعة ابن صوحان فتناول شيا بين يديه فقال له معوية لقد ابعدت النجعة فقال من اجدب انتجع وتغدى معه يوما عبد الله بن ابي بكرة ومعه ابنه بشير فاكثر ابنه من الاكل ومعوية يلحظه فلما خرج ابن عبيد الله لامه ابوه على ما صنع ثم عاد عبيد الله الى معوية وليس معه ابنه فقال له معوية ما فعل ابنك التلقامة قال اشتكى قال قد علمت ان اكله سيورثه داء ولد قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وتوفي في رجب سنة ستين وله عمر ثمان وسبعون سنة تقريبا وله خلافته تسع عشرة سنة واشهر وقبره خارج باب الصغير بدمشق

ثم دولة ابنه يزيد بن معوية

ابي خالد فتى الف صباه وكلف بنجد وصباه ونام على فرش الرفاهة ونادم اهل الفكاهة وهام بما هيم به الكلف ويدوم عليه الشغف

لا يبرد عن جماع غوايته ولا يرتد دون طماح عاسه وعمر ايام الشبيبة بالمام الحدثة وتيم قلبه بالنساء تيم ذي الرمة بالخنسا ووجد بكل غانية يسمع بها وجد الفرزدق بنوار وعمر بعرار وكان من دمشق في عرايش الكروم وغرايس الروم من جني اعناب كان عصارتها جني عناب فعكف عليها مشوله وعطف اليها هواه ونوى يهتصر قطوفها ويعتصر صنوفها وزفها او قال انسه عروسا وحفها حول مجلسه شموسا وقام لا يريم بين كاس ودن لا يبري الابنانا مخضوبا بالعنم او حمراء صافية كالعلم ويروى له فيها شعر اكثره لا يصح له بكبير من جهله وكان ابوه يوثره ويعظم تمليله ويكثر بتوسم مخايل نجابته وتبسم دلايل اجابته فمهد له في تقديمه ووطا كناف السرير لقدمه ولما خاف ان لا يتم له ما اراد ولا يلم فيه رايه بالمراد بذل له جهد سيفه ودرهمه فكف جهل عذاله ولومه ولم يبق الا ثلثة قريش شرفا وسوددا وسلفا تخرس لها الحسين بن علي وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير فجد في مداراتهم فما قدر وجهد على ارادتهم وما فتر فنصب مصايد حبايله ومكايد طيله وامر بان يجمع الناس بالمدينة وفيهم اولئك الاماجد واوقف

على وسهم رجالا بايديهم السيوف جرايد ثم امر باخذ
البيعه ليزيد واخذ من خالف الاخذ الشديد وقال من تكلم
من هولآء واشار الى الثلثه فاضربوا عنقه وامر موالجلاوع
السيف حنقه فلما اجتمع الناس قام فيهم مروان وقال
ايها الناس ان هولآء روسكم وسادتكم وقد اعطوا البيعه
فقوموا فبايعوا فما منهم الا من بايع ومن تابع الا اوليك النفر
الا انهم ما استطاعوا ان يتكلموا ولا استطالوا الى اكثر من ان يتالموا
ثم كان من خروج الحسين وابن الزبير ما كان هذا الى العراق وهذا
الى مكه وما فيها بينما يزعزع ملكه الا ان الحمام عاجل سيد الشهدا
الحسين وادنى له الحين وفرغ ابن الزبير لمنابذته ونزع طبه الحرب
لمواخذته ثم لم يتمكن من قتاله ولم يتبين له رجه احبنا له فاخرها
الى اوانها وادخرها الى ابانها ثم وثب اليها وثوب الفهد وداب
لها دوب الفرس النهد واما ابن عمر فدخل فيما اجتمع الناس عليه
وبايع وجمع اطراف قومه وما نازع ثم كان من مصرع الحسين
ما صرع الدموع وصدع الضلوع وكسر القلوب كسرا لا ينجبر وامات
للاسلام مبينا لا يقبر فاهالها رزيه فتت العضد وفلت السيوف
والعدد لقد انصبت الثمد وانضت بطلاب مثلها المهريه الاحد

فبالها فجيعه ويالها من مصيبه وجيعه لعمر ابيه لقد نبذ غير
مليم ولقد عكفت الطير منه على لحم كريم وقد تقدم منه طرف في ذكره
وهذا الان موضع شرحه وسندكر منه ما يزيد القلب قرحا على
قرحه ويبعثه وما اندمل الا ولجرحا على جرحه وصفا الامر
ليزيد لبنيه لا صفا واشتفى لبنيه لو كان اصبح على سفا فكم اسا على قصر
مدم ايامه مره واداب القلوب واسال عن المدامع الحرم فاما
كربلا فتلك كرب وبلا ويالطف ما طف وكم بوارق بات يوقدها
وبوايق مات وهو يجفدها هذا كله من وراء تخلف لا كفايه وتعسف
لا بد رايه كان يلعب بالنرد وينادم القرد ويشتري لهو الحديث
ليضل عن سبيل الله لا يباليه ويسخط الله بعمله هذا وساير اعماله ودام على تبجح فعلاته نخ
وفضوح ضلالاته حتى مات وليته لا ولد ولا عرف فلا ادم ولا احمد
اتاه وهو بحوارين مرض ابيه معويه فجاء وقد دفن فقال

جا البريد بقرطاس يخب به • فاوجس القلب من قرطاسه فزعا •
قلنا لك الويل ما ذا في صحيفتكم • قال الخليفه امسى مثبتا وجعا •
فمادت الارض او كادت تميد بنا • كان ما اغبر من اركانها انقلعا •
ثم انبعثنا على خوص مزممه • نرمي الفجاج لانا على سرعا •
وما نبالي اذا بلغنا ارحلنا • ما مات منهن بالبيدا او ظلعا •

لما اصهينا وبات الدار منصفق لصوت رمله ربع القلب فانصدعا
ثم ارعوى القلب مني بعد طيرته والنفس تعلم ان قد ابيت جزعا
اودي ابن هند واودى المجد يتبعه كانا جميعا خليطا ناطسين معا
اعر ابلج يستسقي الغمام به لو قارع الناس عن احسابهم قدعا

ثم صعد الضحاك بن قيس الفهري المنبر وفي يده اكفان معويه فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ايها الناس ان معويه امير المومنين كان عود العرب وحدها
ونابها قطع الله به الفتنه وجمع به الكلمه وملكه جرايم العباد
وفتح له البلاد الا وانه قد مات وهذه اكفانه ونحن مدرجوه فيها
ثم مدخلوه قبره ومخلون بينه وبين ربه ثم هو الهرج الى يوم القيمه
ثم كان يريد ان يشهده فليحضر عند الظهر ثم اتى يزيد بن معويه
قبر معويه وترحم عليه ثم اتى المنبر فخطب فقال ان معويه
كان عبدا من عبيد الله انعم عليه ثم قبضه اليه وهو خير ممن بعده
ودون من قبله ولا اركبه على الله فهو اعلم به فان عفا عنه فبرحمته
وان عاقبه فبذنبه واني لن اي عن طلب ولا اعتذر من تفريط وعلي
رسلكم اذا اراد الله شيا كان فقام اليه عطا ابن ابي صيفي الثقفي
فقال يا امير المومنين انك رزئت الخليفه واعطيت الخلافه فضي معويه
نحبه فغفر الله ذنبه ووليت الرياسه وكنت احق بالسياسه

فاحتسب

فاحتسب عند الله عظيم الرزيه واشكر على حسن العطيه اعظم الله
على امير المومنين اجرك واحسن على الخلافه عونك ثم اتاه عبد الله
بن همام السلولي فقال يا امير المومنين اعظم الله اجرك في الخليفه
وبارك لك في الخلافه ثم انشد

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقه واشكر عطا الذي بالملك اصفاكا
اصبحت لا رزء في الاقوام نعلمه كما رزيت ولا عقبى كعقباكا
اعطيت طاعه اهل الارض كلهم فانت ترعاهم والله يرعاكا
وفي معويه الباقي لنا خلف اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

وارسل يزيد الى الوليد بن عقبه باخذ البيعه على الحسين وابن عمه
وابن الزبير ثم سائر الناس فقال لمروان ما عندك في هذا قال
اطلبهم ليلا وخذهم بالبيعه فان بايعوا والا فاضرب اعناقهم فطلبهم
ليلا ناموه فطلبهم بالبيعه فخاف ابن الزبير ان يهنا فيبدر فقال ما
عندنا خلاف ولكن يقال انما بايعوا خوفا وانما ادعوا الناس
الى المسجد لنبايع بمشهد الناس ونتابع الناس فقال افعل فاومى
اليه مروان ان اضرب اعناقهم فابي وخرجوا من عنده فقال له
مروان والله لا اصبح بالمدينه منهم احد فكان هكذا خرجوا الليلتهم
تلك من المدينه فاما ابن عمر فذهب الى ملاله وبعث يقول اذا اجتمع

الناس بايعت فتركوه لعلمهم بزهده واما ابن الزبير فانطلق الى مكه واما
الحسين فالهاهم عنه طلبهم لابن الزبير ثم سار الحسين يريد مكه
فقال ما كنت لانطلق على مكان به ابن عمر ولا اراه فاتاه فاعلمه ان
اهل العراق بعثوا اليه كتبا وقد حمل فقال له اباك وهم فهم
اهل غدر ولقد كان ابوك اكرم عليهم منك وما وفوا له فلما ابى عانقه وقال
استودعك الله من قتيل ثم اتى الحسين عبد الله بن مطيع العدوي فقال
له قول ابن عمر فابى واتى مكه فراى ابن الزبير انه لا يتم له امر مع
وجود الحسين فحسن له قصد العراق حتى ذهب فقتل كما تقدم في ذكره
ثم قام ابن الزبير يذكر مقتله ويلعن قتلته ويدعوا الى الشورى
ويستر امره ويقول انا عائذ بهذا البيت ثم باح ومد يده للمبايعه
فبويع واغراه بعد الحسين لم تخمد فتنته الا في زمن عبد الملك على ما ياتي
ذكره وحكى البلاذري عن يزيد انه اول من اظهر شرب الشراب
والاستهتار بالغنا والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه
بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكه
ثم جرى في زمنه قتل الحسين بن علي عليهما السلام وقتل اهل الحره
ورمي البيت واحراقه وكان مع هذا صحيح العقيده ماضي العزيمه لا يهم
بشي الا ركبه ووقع بين غلمانه وغلمان عمرو بن سعيد الاشدق

فاغضبه

فاغضبه ذلك وامر باحضار اولئك الغلمان فلما اتي بهم قال خلوا
سبيلهم ثم قال ان القدرة تذهب الحفيظه واخطا يزيد في شي وهو
صغير فقال له مودبه اخطات يا غلام قال يزيد الجواد يعثر قال
المودب اي والله ويضرب قال يزيد اي والله ويرمح سايسه فيحطمه
وكان يزيد على علاته جوادا كريما فيما روي انه اجاز عبد الله
ابن جعفر رضي الله عنهما اربعة الف الف درهم وكان لا يعد وعدا
بكرم الا انجزه وفيه يقول عبيد بن حصين الراعي

راحت كما راح ابو بغد وبعد ونه عيش وخود عليها راكب بغد

بسات ال ابي سفيان والله بسبب ابلج مختار لما يعد

وكان ايام ابنه معويه خير من حضر جلسايه حكي ان عقيل
ابن ابي طالب دخل يوما على معويه وقد كف بصره فاجلسه الى جانبه
على سريره ثم جا بعده عتبه اخو معويه فاجلسه بينه وبين عقيل
فلم يره فقال له معويه انتم معشر بني هاشم لم تصابون في ابصاركم
فقال عقيل كما تصابون يا معشر بني اميه في بصايركم فتنحنح عتبه ليتكلم
فاومى اليه معاويه ان اسكت فقال عقيل من هذا الذي اجلسته يا معويه
الى جانبي فقال معاويه اخوك وابن عمك عتبه فقال عقيل لئن كان اقرب
مني اليك فاني اقرب منه ومنك الى رسول الله وانتما مع رسول الله ارض

نحت سما وكان يزيد غلاما وافقا في التشبيه فابتدر فقال يايم انت
كما وصفت ورسول الله فوق ما ذكرت وامير المومنين عالم ولقد ولد
وركض فرسا من داه
يزيد

فمات يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة اربع
وستين ومدة عمره تسع وثلثون سنة وقيل ست وثلثون ومدة
ولايته ثلث سنين وتسعة اشهر تقريبا وقبره بحوارين وقيل
انه نقل الى مقبرة باب الصغير بدمشق

ثم دوله معوية

بن يزيد بن معوية ابي عبد الرحمن ويعرف بابي ليلي وهو در تكشف
عنه صدف وفخر تكشط عنه سدف وتبر اخرجه رغام وزهر
ابدته ركام اى وبنو حرب قد اسرت على الرقاب ظباهم وعقدت على
الملك حباهم فما اهمه زخرفهم ولا اعظمه ان اعرضوا مصرفهم
فكان عجبا في اولئك وعجلا الى الاتكاء على الارائك زهد فيما
رغب فيه بنو ابيه وعرب نجمه وما طلع على ما كانوا فيه انه الدنيا
منقادة فردها وجائته مواصلة فصدها فما غره بردها القشيب
ولا سره وردها قبل المشيب عصمة من الله وقته سهام عواديها
وكفته سمام اعاديها وكان اجله قصيرا ما احله الا يسيرا اقام
اربعين يوما ثم اشتغل وما تزود سكرا ولا لوما ومات ولم يعهد

ومات

ومات سريره ولم يستهد ولقد قالت له امه يا بني اعهد فبالغ في
ردها وقال ما كنت لاذهب بحرها ويذهب بنو حرب ببردها
فابى ان يتطوق بها لا حيا ولا ميتا او يتعلق بها لا محيا ولا مونا
وبموته انقضت دولة بني حرب وتقضت حبالها في كل شرق
وغرب ثم لم تقم لهم قايمة الا من نجم وما طلع وخامل فما نجم
الطلع الاما وضعه خالد بن يزيد ان يسكون لهم دوله بقوم بها
قايم يسمى السفياني ان لا ينقطع منهم الاماني ولقد خرج منهم
باطراف الشام من تسمى بهذا ثم ما طار حتى وقع ولا اسفر
محياه حتى انتقع ولا اشرف راسه حتى خضع ولا اسرف حتى بطل
ما خلد خالد وما وضع ذكر البلاذري ان اباه يزيد بن معوية
كان قد مرض بعد ولايته بسنتين من كبده فلما برا واستقل اتاه
ابنه معوية وامه ام هاشم بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس عنده
وكانت امراة برزة عاقلة فقالت له لو عهدت الى معوية فقال هكذا
افعل ثم قال لحسان بن ملك بن بحدل اني اريد البيعة لمعوية بن يزيد
فقال افعل فدعاه يزيد فصافقه بولاية العهد وبايع له حسان ابن
ملك والناس وهو كاره وكان معوية بن يزيد فتى صالحا متالها كثير
الفكر في امر معاده لا يكاد يلتفت الى امر الدنيا ولا يبالي كيف نقضت

ربه وانما كني ابا ليلى للبنه وهي كنية كل ضعيف ثم جدد يزيد
له البيعة حين احتضر فلما مات بايعه الناس وكانت بيعة الافاق
الا ما كان ابن الزبير ثم لما افضى الامر اليه قام خطيبا فقال ايها الناس
ان يكن هذا الامر خيرا فقد استكثر منه ال ابي سفين وان يكن شرا
فما اولاهم بتركه والله ما احب ان اذهب الى الاخرة وادع لهم الدنيا
الا فليصل بكم حسان بن ملك وتشاوروا في امركم عزم الله لكم الرشد
والخيرة في قضايه ثم نزل فاغلق بابه وتمارض فلم ينظر في شي ولم
يعزل معوية يزيد احدا من عمال ابيه ولا حرك شيا ولا امر ولا نهى وكان
حسان يصلي بالناس وهم منكرون لامرهم حتى مات ولما مرض قيل له
لو بايعت لاخيك خالد بن يزيد فانه اخوك لابيك وامك فقال يا سبحان
الله كفيتها حياتي واتقلدها بعد موتي يا حسان بن ملك اضبط ما قبلك
وصل بالناس الى ان يرضى المسلمون بامام يجتمعون عليه واخلعوني
فانتم في حل من بيعتي فقالت له امه ام هاشم لوددت يا بني انك كنت نسيا
منسيا قال وددت والله اني كنت نسيا منسيا ولم اسمع بذكر جهنم ثم دخل
عليه مروان ابن الحكم وكان قد قدم من دمشق فقال له لقد اعطيت
من نفسك ما يعطي الذليل المهين ثم رفع صوته فقال من اراد ان ينظر
في خالفة ال حرب بن امية فلينظر الى هذا فقال له معوية يا ابن الزرقا

اخرج

اخرج عني لا قبل الله لك عذرا يوم القيمة ويقال انه لما مات قام
مروان على قبره وقال اتدرون من دفنتم قالوا نعم معوية بن يزيد
قال بل دفنتم ابا ليلى يعرف فيما بعد بها ثم كانت لبني اسد بن عبد العزى
دولة قام بها عبد الله بن الزبير وكانت دولة صلاح وملك
فلاح ودمان ملك شجاع غير كن بمرزبه شحاح وعهده ما فيه
سوى صوب دم سحاح وهو اول مولود ولد في الاسلام بالمدينة
للمهاجرة وضجت بالتكبير لمولده ارجا تلك الحاضرة وقد كانت
يهود زعمت انه لا يولد لهم ولا يبيح طين طيبة نسلهم وكان
زعيم يوم الجمل وكان هو الذي يصلي عن ام المومنين عايشة رضي
الله عنها في مدة تلك الوقيعة الدايرة لمحتها والنوبة التي اشابت
نواصي الليالي ايام فتنتها ثم كانت مقدمة ليلة صفين وشفا
صدور قوم وما شفين ودامت مدته ثم لم تزل الا على يد
الحجاج زمان عبد الملك بن مروان ستذكر عند انتهايها في ذلك
الاوان ثم لما انقضت دولة بني حرب وفرغت منها الايام ورعت
في صدر الزمان شياطين انصارها اللئام اعقبتها الدولة المروا نية
سروا في دستهم على المنابر وتعلوا صغارهم مكان الاكابر الاوفد
رجل واحد غلب عليه شبه خاله لا عمه ومال الى جده لابيه

الالامه **واولها دولة مروان بن الحكم** ابن ابي العاصي
ابن اميه بن عبد شمس بن عبد مناف ابو عبد الملك كان ابوه الحكم
طريد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يلي عثمان الامر وتسلم
وهو احد ما انتقد على عثمان وحقد على ابي سفيان كان معويه يعاقب
بينه وبين سعيد بن العاص و يراقب منه سطوة الاسد على القناص
خوفا من نوثبه وخوضا منه في حديث كان يخشى بسببه فكان
يداريه و يداراحله يتشبهه انه يوليه ولم يزل مد كان عسه عناد
وعسه ما توارى في زناد يقدح كل سر ويحدح حماه كل صر ويقسوا
في موضع اللين ويعنوا في متبع الدين الا انه كان من رجال قريش حزما
لا يغلط وعزما لا يغمط ملقح حرب حيال وملحق برح يحي حلال يلف اخر
الخيل باولها و يرد مدبرها على مقبلها تعرض للحرب حتى صلي بها وبلي لما
عجم عيدانها بصليبها اخرجه عامل ابن الزبير على المدينه في بني اميه
واحوجه الاستعجال الى الخروج على عميه فخرج احرامن ابن سميه
واجرى من عمرو بن اميه قال متهتكا واب ملكا ما برح تسويل
له القيام ويناجي به ضمايره وينادي سرايره حتى اخرج هذا المخرج
حرج لضايقه المحرج فسار يريد الشام وهو لا يعرف كيف يسير
ولا على رشد يمشي ام تغريد فلما كان بالطريق وهي لقلة ناصر

وذلك اهل واصر فهم ان يعطي بالمبايعه يده و يعري من لبوس
المقارعة جسده فقال له رجال اومثلك وانت شيخ بني عبد مناف
ترضى ان تكون لعقبى من بني اسد مرتوبا ومعه هذه الرماح ما قصف
من صليبها انبوبا وهذه الاسنه سعد ولا تدع جمر الحرب مسوبا
يجتنيه الوي بانفه الشم ويعطفه النبه على مناب اللمم ودعى الى
نفسه وسعى كالارقم يكشر انيابه لنهشه وكان الامر قد كاد
يتم لابن الزبير ويدم من اجمع على خيرو عماد ان له دمشق وساير
الشام الا حمص ولم يكونوا على نزاعه اهل حرص الا ان عامل بني
اميه كان بها متماسكا ورمام حربها ماسكا هذا مع ما كان قد
اجتمع له من طاعة اهل الحجاز والعراق وقلة طماعه من تظاهر له
بالشقاق وانما مروان قام غير متكل بسيرالا ضجرو لا وكل
وعضده من ذوي قرابته رجال بل نصال لا تحال معها لانفصال
وقامت اليمانيه معه على القيسيه وصوب كل قبيل الى الاخر سهامه
وقسيه وكانت اليمانيه امويه والقيسيه زهريه بلا مثنويه
ودخل مروان دمشق ثم اتى تل راهط تحاش حل كل رابط وهنالك
كان موعد اللقا ومورد عدم البقا وشبت الحرب العوان وشبت
بعد المنشيب همه مروان حتى احرز من الملك ما ورثه بنوه بعده ومات

فاورثته وله وامه امنه بنت علقمه الكناني وامها الزرقا
التي يعرون بها وهي ماريه بنت موهب الكندي وكان موهب
قينا وكان مروان يسمى خيط باطل لطوله ودقته شبهه بالخيط
الابيض الذي يرى في الشمس وكان محمد قاريا للقران حارما حربا
كان كلما قلنا راس كل هوى بدا راس كل تلوي ولما نقضت بيعه بن الزبير
كتب الي عبد الله بن مطيع وكان عامله على المدينه في نفي بني اميه
ومروان يوميذ شيخهم وابنه عبد الملك ناسكهم وموضع رايهم
وكان بعبد الملك جدري قد ظهر فوجدوا مشقة عظيمه لخروجهم
فحمل عبد الملك علي جمل شد عليه شدا واكبر قريش هذا علي ابن الزبير
وقالوا والله انما نعب عليك اراقهم لابد فاسليهما فكتب الي ابن مطيع باقرارهم
بالمدينه فبعث يردهم فابوا ان يردوا وقد سول لمروان الامر فاتوا
الشام وقد بايع الناس لمعويه وهو كاره لذلك ثم لم يلبثوا ان مات معويه
وظن ابن الزبير ان قد صفا له الامر وثبت ولاته والطاعه اكثر اهل الشام
الاحسان بن ملك بن بحدل وقومه فانهم دعوا لخالد بن يزيد
وهو حديث السن فقال انه معدن الملك ومقر السياسه والرياسه
فاتى ابن عضاه خالدا فوجده نايما ضحى نهار فقال يا قوم انجعل
نحورنا اغراضا للاسنه والسهام لهذا الغلام وهو نايم في هذه

الساعه

الساعه وانما صاحب هذا الامر المجد المشمر الحازم المتيقظ
فاتى مروان بن الحكم فالفاه في فسطاط وادرعه الي جنبه وعليه
سيفه والرمح مركوز بفنايه وفرسه مربوط الى جانب الفسطاط
والمصحف بين يديه وهو يقرا القران فقال ابن عضاه يا قوم هذا
صاحبنا الذي يصلح له الامر فرجعوا الي حسان بن ملك فاخبروه
بخبر خالد ومروان واعلموه انهم مجمعون على مروان فقال ابن
بحدل راي لرايكم تبع انما كرهت ان تخرج الخلافه من اهل هذا
البيت ثم قام حسان خطيبا فحمد الله ثم ذكر مروان واثنى عليه
وقال قوموا فبايعوه فقاموا فبايعوه واقبل الضحاك حتي نزل
مرج راهط داعيا الى ابن الزبير وقد اجتمعت بنو اميه بالجابيه
فقال مالك بن هبيره للحصين هلم نبايع لخالد بن يزيد فقد
عرفت منزلتنا كانت من ابيه فقال الحصين لا والله لا ياتينا الناس
بشيخ ونانيهم بصبي فقال ملك ويحك ان مروان وال مروان
ان يعبدونك على سوطك وشراك نعلك وظل شجره تستظل
بها وهو ابو عشره واخو عشره وعم عشره فان بايعتموه كنتم
عبيدا لهم فقال مروان شيخ قريش ومن يدبرنا ويسوسنا خير
ممن ندبره ونسوسه فاجمعوا على مروان على ان يكون بعده خالد

ابن يزيد ثم عمرو بن سعيد فبويع مروان ولم يقع لهما اسم معه

فلما دان لمروان اصحابه سار بهم يريد تل راهط وعلى ميمنته

عمرو بن سعيد وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد وجعل الضحاك على

ميمنته زياد بن عمرو العقيلي وعلى ميسرته زحر بن ابي شمر الهلالي

وثار يزيد بن ابي النمس على دمشق فغلب عليها ودام القتال

بين مروان والضحاك عشرين ليلة وكان مروان يرتجز ويقول

لما رايت الامر امرا اصعبا • سيرت للقوم سراة غلبا •

لا ياخذون الملك الا غصبا • فان دنت قيس فقل لا قربا •

ثم كانت اخر تلك الايام وبغاية ذلك القتال اللزام الى ان انجلت

سحابة الحرب العوان عن تلج النصر على قسمات مروان ودخل

دمشق فبايع له اهلها واستوسق له الشام والجزيرة وانشد

بعض الانصار

الله اعطاك التي لا فوقها • وقد اراد الملحدون عوقها •

عنك وياْبى الله الا سوقها • اليك حتى قلدوك طوقها •

وانشد ابن زياد الاعجم

رايتك امس خير بني لوي • وانت اليوم خير منك امس •

وانت غدا تزيد الضعف خيرا • كذاك يكون سادة عبد شمس •

ربما
تاسع عشر مسالك الابصار

فاجابه الفرزدق بشار وقيل بل كان انشاده اياها وهو بالمدينة

ولما انجلت نوبة تل راهط عن نصرة مروان فر زفر بن الحرث

الى قرقيسيا فدخلها وجعل يرثي قتلى راهط فمن ذلك قوله

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط • لمروان صدعا بينا متنائيا •

اتذهب كلب لم تنلها رماحنا • وتترك قتلى راهط هي ماهيا •

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى • وتبقى حزازات النفوس كما هيا •

ابعد ابن معن وابن عمرو تتابعا • ومصرع همام امنى الامانيا •

فاجابه ابن المخلاة الكلبي

لعمري لقد ابقت وقيعة راهط • على زفر داء من الداء باقيا •

تبكي على قتلى سليم وعامر • وذبيان معروفا وتبكي البواكيا •

ومما قال زفر ايضا

ويوم ترى الرايات بيضا كانها • حوايم طير مستدير وواقع •

مضى اربع بعد اللقاء واربع • وتور انا اطلته السيوف القواطع •

طعنان بادا في استه وهو مدبر • وقد جدمن ثمني يديه الاصابع •

وبحي حبيبا الملهب دوغلاله • وقد جد من ثمني يديه الاصابع •

وقد شهد الصفين عمرو بن محرم • فضاق عليه المرج والمرج واسع •

ثم استخلف مروان ابنه عبد الملك بدمشق وسار الى مصر وكان عليها

عامل ابن الزبير فافتتحها ثم تزوج ام خالد ليغض من ابنها خالد
بن يزيد وكان هو وعمرو بن سعيد يدعيان ان الامر لهما بعد
مروان فكلم حسان ابن ملك فى ذلك وقال انى اريد ان اعهد الى
ابنى عبد الملك ثم عبد العزيز فقال انا اكفيك هذا الامر فلما اجتمع
عند مروان قام ابن عدل فقال انه بلغنا ان رجالا يتمنون امانى
ويدعون اباطيل فقوموا فبايعوا لعبد الملك بن امير المومنين بالعهد
ولعبد العزيز من بعده فقام الناس مسارعين من عند اخرهم
وكان مروان قال لحسان بلغنى انك تقول انى اشترطت على مروان
ان يولى خالد بن يزيد الخلافة بعده فحداه ذلك على الحد وبيعة
عبد الملك ليكذب ما ابلغ مروان عنه ثم عقد مروان لعبيد الله بن
زياد على العراق والحرب ووجهه فقتل بالموصل قتله ابرهيم
بن الاشتر وبعث الى الزبير جيشا عليه يوسف بن الحكم الثقفى
ومعه يومئذ ابنه الحجاج فاتوا وادى القرى فهرب عامل ابن الزبير
عليها ووضعوا عليها ضريبة اذوها اليهم ثم نزلوا بذى المروة
فلقى اهلها منهم عيا وبلغ اهل المدينة ما نابهم فبعث بشر من الصالحين
وقيل لسعيد ابن المسيب لو تعديت واتيت البادية فقال فاين
فضل الجماعة والله لانا بى الله والناس اخوف عندى منه ثم ساروا

حتى

حتى اتوا المدينة ثم صعد يوسف بن الحكم الثقفى المنبر فقال
يا اهل المدينة يقول الله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم
مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها
الا قليلا فكيف رايتم ما صنع الله بكم والله لا يتكلم احد منكم بكلمة
الا ضربته بسيفى هذا ثم لاقوا بالربذة جيشا كان قد انفذه
ابن الزبير من البصرة وكانت الدائرة على جيش مروان وفر
يوسف الثقفى وردفه ابنه الحجاج على فرس وكان الحجاج يقول
ما اقبح الهزيمة لقد كنت ورجل اخر يعنى اباه فانهزمنا على فرس
فى كفلنا ثلاثين ميلا حتى قام بنا الفرس وانه ليخيل الينا ان رماح القوم
فى اكتافنا وجعل ابن الزبير لمن ياتيه بيوسف الثقفى وابنه جعلا فلم
يقدر عليهما ثم كان بين مروان وبين خالد بن يزيد كلام فقال له يا ابن
الرطبة فقال خالد والله لقد ضيعت الامانة وفضحت الستر ثم دخل
عليها فقال يا اماه ماذا الحقت بى من العار قالت وما ذاك يا بنى
فقال لها ما كان من قول مروان فقالت اما والله لا تسمع منه شيئا
تكرهه بعدها ابدا فلما دخل عليها مروان قال لها قد كان منى الى
خالد كلام فهل قاله لك فقالت انت يا امير المومنين اجل فى صدر خالد
واكبر فى عينه من ذلك ثم تركته حتى نام وعمدت الى مرفقة محشوة ريشا

فجعلتها على وجهه وجلست عليها حتى مات غمًّا ثم صرخت وجواريها
وقلن مات امير المومنين فجاه وقيل بل كان يعجبه اللبن فجاته بلبن
مسموم فقال ابنو بي به اذا افطرت فلما افطر اتوه فشربه
فاعتقل لسانه وصرخ جواريها واقبل يشير الى من اجتمع
اليه من ولده وغيرهم انها قتلتني وجعلت هي تقول اما ترونه
يوصيكم بي ويشير اليكم بحفظي وولد مروان لثلاث من الهجرة
وتوفي في رمضان سنه خمس وستين وهو في ثلاث وستين سنه
ومدة خلافته تسعة اشهر وايام وقبره بدمشق

ثم دوله ابنه عبد الملك بن مروان بن الحكم ابو
الوليد الفحل الذي لم يخطم والرمح الذي لم يحطم سهم لا تعدله
خطا وسيف لا يجدث لينو ته نبا ثارت عليه ثوار فوطيهم بمنسمه
وابكاهم دما بدوام تبسمه كان ابن الزبير بمكه واخوه مصعب
بالعراق وخرج عليه عمرو بن سعيد بدمشق وكاد يصيبه الرشق
ويصل اليه من بعريق الخيطة المشق واحاط به البلا واداركت عليه
الولا وظن انه قد اخذ وان ملكه قد تمزق مما جبذ وهو مع هذا
حمل محمل ما حمل وحبل لو تقسمه اهل الارض ما حول فجثا على ركبتيه
وجفا المنام مقلتيه واذكر حسف القوم لمهالكه وعين الاوقات

لمهالكه فتشمر لطلابها وضمر خيله لغلابها وبدا بالعود الى دمشق
وخادع عمرو بن سعيد حتى استنزله عن سريرها واستقله ان
يثبت صحيح سرورها وما زال حتى استدعاه خاليًا واستدناه
مما ليًا حتى اذا كان قريبًا منه وثب عليه وبثر حنقه اليه
ثم اسرف فهاله تجمع اصحابه بداره ليوقع ما به وبداره وكان لا
طاعه له على جمعهم ولا طاقه له بدفعهم فوجد الحيله انصر له
واقدر على هدر دم من قتله فكانما كان سكرانا صحابه فالقى راسه
الى اصحابه مقرونا ببدر من الذهب شغلهم لقطه عن اخذ ثار من
ذهب فراح دمه مطلولا وطاح لا تجد عنه سائلا ولا مسئولا
ثم تطلب الاثنين ولم يبدا الكثرانه ولا قال وما شر الليله فوجه
الحجاج نحو ابن الزبير نحوا بقيه ذلك الخبر ففعل تلك الفضائح
واكثر بمكه لابني الدباح من دماء محرمات سفكها وحرمات
انتهكها ورمى بعطاره المنجنيق حجارة البيت العتيق نصبها على
ابي قبيس وقيقعان ورمى الكعبه فتحاماتها الحجاره ورامتها فما
اوى اليها سانها باشاره وحمت الملايكه حماها وصانت عن تقبيل
ثغور تلك الحجاره لماها ففطن ان الملايكه تدفع عن اركانها وتمنع من
مكانها فلطخ الحجاره بالعذره والقاها اذ كانت الملايكه تتوقاها فاصاب

جدلوها واصار على الارض احجارها فاحل من الحرم ما لم يحل واستحل
ما لا يجوز لمستحل وبث الاضاليل ونصب حبايل الاباطيل وقصد
بيت الله باشد مما قصده ابرهه عام الفيل الا ان حرمته بتسميته
بالاسلام دفعت عنه عاجل البلاء واخرته وما نقول انها سامحته
ولكنها انظرته ثم لما قتل ابن الزبير امر له بجذع فنصب وامر به
اليه فصلب وكانت امه ثم فقالت له يا بني لان تقتل خير من ان تخذل
فقال اخشى ان تمثلوا بي فقد نمي الي انهم يقتلوه يصلبي فقالت يا
لا يضرك هسر بر السح فالشاة لا يولمها السلخ بعد الذبح وكان
ابن عمر رضي الله عنهما يقول حنبوبي خشبة ابن الزبير ويجنبها
ويخشى بها ولا يقربها فمر ليلة عليها فوقف عليه مترحما واطال
مترحما وقال لقد والله عهدتك صواما قواما وانما اعجبتك
بغلات معويه وولى ودموعه هاويه وذلك بعد ان نهد
عبد الملك الى مصعب ونهض كانه جمل مصعب فسار يتقدم في
فرسانه ويعظم في ارسانه ولم تثن همته فيما يصان به
عرينها حصان عليها عقد در نرسها اذ كان من قوم من عهد
لوى بن غالب ما لوى بهم غالب اذا حاربوا شدوا دون النساء
مازرهم وشدوا بصدق الحفيظة موازرهم واعمل الحيله على مصعب

يكتب

يكتب الى اصحابه كتبها واعاجيب كذب كذبها ثم كان المكتفي بخذل
مصعبا اصحابه وخذل جمعه حتى خلت منهم رحابه فتركوه واسلموه
وخلوه لمضارب السيوف وسلموه وكان عبد الملك يكنى بابي الذباب
لبخره كانت لثته تدمي دايما فتعبر ريحها وكان مظفرا على
اعدايه فانه غلب في ايامه على عدة رجال اكابر كلهم كانوا
في زمانه يبارونه في السلطان مثل عبد الله بن الزبير والمصعب
اخوه وعمرو بن سعيد الاشدق وعبد الرحمن بن الاشعث فكل واحد
منهم ما قامت له معه قايمه وكلهم قتل وحكم فيه قاضيه ومع هذا
فلم ينفعه ولا اغنى عنه شيا حتى تمت ايامه واتاه حمامه ويويد
هذا خبر الرجل الذي ورد على معويه وكان من اهل الكتاب والعلم
بالحدثان فقال له معويه اتجد في شي من كتاب الله قال اي والله حتى
لو كنت في امة من الامم لوضعت يدي عليك من بينهم قال فكيف تجدني
قال اول من يحول الخلافة ملكا والخشونة لينا ثم ان ربك من
بعدها لغفور رحيم قال له معويه ثم يكون ماذا قال ثم يكون
منك رجل شراب للخمر سفاك للدما يصطنع الرجال ويحصن الاموال
ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم يكون فتنه
تتسعت تقوم حتى تفضي الامر الى رجل اعرفه بعينه يبيع الدار الاخرة

الدائمة بحظ من الدنيا محسوس فيجمع عليه من الك وليس منك لا
يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين امين
مبين قال افتعرفه وان رايته قال اشد ما فاراه من بني امية
بالشام قال ما اراه هاهنا فوجهه الى المدينة مع ثقات من
قومه فبينما هو يمشي في ازقة المدينة اذ راى عبد الملك يلعب بطائر
على يده قال هاهو ذا ثم صاح به ابو من فقال ابو الوليد فقال يا ابا الوليد
ان بشرتك ببشارة تسرك ما يكون لي عندك فقال وما مقدارها
حتى ارى ما يكون مقدارها من الجعل قال ان تملك الارض قال ما لي من
مال ولكن ارايت ان تكلفت لك جعلا اتاك ذلك قبل وقته قال لا قال
فان حرمتك ايؤخر ذلك عن وقته قال لا قال فحسبك فذكروا ان معوية
كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجاريه في خلافته وكان عبد
الملك من اكثر الناس علما وابرعهم واحسنهم ديانة في شبيبته
وكان يواظب المساجد حتى سمي حمامة المساجد وكان لا يعيا بالجواب
الا ان كلم اخاه عبد العزيز حكي ان عبد الملك استقبل اخاه عبد العزيز
حين رجع من مصر على العجل فقال له على كم كانت البداه فقال على
مية فقال عبد الملك ما عير احق بان يقال ايتها العير انكم لسارقون
من عيركم هذه فقال له عبد العزيز ان يسرق فقد سرق

اخ

اخ له من قبل ويحكى عن عبد الملك انه لما اراد الخروج الى مصعب
تعلقت به عاتكة بنت يزيد بن معوية وجعلت تبكي حتى بكى لبكائها
حشمها فقال قاتل الله كثيرا كانه كان يرى موقفنا هذا حيث يقول

• اذا اهم بالاغد لم يثن همه • حصان عليها عقد در يزينها •
• نهته فلما لم تر النهي عاقه • بكت فبكى مما شجاها قطينها •

ثم خرج يريد مصعبا وكثير في موكبه فقال يا ابا جمعة ذكرتك
الساعة ببيتين من شعرك فان اصبتهما فلك حكمك قال نعم اردت
الخروج فبكت عاتكة بنت يزيد وبكى حشمها فذكرت قولي وانشده
البيتين قال نعم واعطاه ما طلب ثم نظر اليه في عرض الناس
مفكرا فقال علي بابي جمعة فجيء به فقال ان عرفتك بفكرتك فيما هي
فلي حكمي قال نعم قال قلت في نفسك انا في شر حال خرجت مع رجل
من اهل النار وليس على تحلتي وربما اصابني سهم غرب فاتلفني
لغير معنى قال والله يا امير المومنين ما اخطات ما في نفسي قال فاحتكم
قال حكمي ان امر لك بعشرة الاف درهم واردك الى منزلك ففعل
به ذلك فمدح كثير عبد الملك فمما قال فيه

• يحوطون بشا من طورا وتارة • يحوطون عباسين شوس الحواجب •
• كريم يؤول الراغبون ببابه • الى واسع المعروف جزل المواهب •

من النفر البيض الذين اذا انتجوا اقرت لنجواهم لوي بن غالب
امام هدى قد سدد الله رايه وقد احكمته ما ضيات التجارب
والتقى عبد الملك ومصعب بالحابلتق وبقى مصعب كلما قال لرجل احمل بي
خيلك اعتل عليه ولحق غالبهم بعبد الملك وبقي مصعب في نفر دون
قليله وحمل عليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان فرفع يده ليضربه
بدره مصعب فضربه على البيضة فنشب السيف في البيضة فجا غلام
لعبد الله فضرب مصعبا فقتله ثم جا عبيد الله براسه الي عبد الملك
فخر ساجدا فقال عبيد الله ما ندمت على شي ندمي على عبد الملك حين سجد
اذ لم اضرب عنقه فاكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد
وفي ذلك يقول

همت ولم افعل وكدت وليتني فعلت فادمنت البكا لاقاربه
فاوردتها في النار بكوس وايل واشفقت من قد خرشكر الصاحبه

واما حديث قتل عمرو بن سعيد الاشدق وابوه سعيد بن العاصي
وكان يقال لعمرو لطيم الشيطان فهو ان مروان لما قام يطلب الامر
عضده عمرو بن سعيد واتفق معه على ان يكون له الامر بعده فلما كبر
امر مروان صير الامر لابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز على ان يصير
الامر لعمرو بعدهما فلما كاتب اهل العراق عبد الملك خرج نحوهم

وكان

وكان في العراق مصعب فقال له عمرو ان الامر كان لي بعد مروان
ثم صير لك ولكن اكتب لي انه لي بعدك فسكت عنه عبد الملك وخرج
لوجهه نحو مصعب فلما كان من دمشق على ثلث مراحل كر عمرو راجعا
في الليل الى دمشق وغلق ابوابها في وجه عبد الملك وتسمى بالخلافة
فرجع عبد الملك وتسمى بالخلافة حتى نزل على دمشق وحاصرها
فصالحه عمرو على ان يكون له الامر من بعده وان له مع كل عامل
عاملا ففتح دمشق وكان بيت المال بيد عمرو فارسل اليه عبد الملك
ان اخرج ارزاق الحرس فقال عمرو ان كان لك حرس فان لنا حرسا
قال واخرج لحرسك ايضا فلما كان ذات يوم ارسل عبد الملك الي عمرو
ان ائتني يا ابا امية حتى ادبر معك امرا فقالت له امراته لا تذهب
اليه فاني اخافه عليك فقال ابو ذبان والله لو كنت نايما ما ايقظني
فقالت والله ما امنه عليك واني لاجد ريح دم فما زالت به حتى
ضربها بقايم سيفه فشجها وقام فلبس درعه تحت ثيابه فلما
اراد الخروج عثر بالبساط ثم مشي وكان معه اربعة الاف في السلاح
وكان عمرو عظيم الكبر لا يلتفت وراه ولو انطبقت الارض اعجابا
وزهوا فلما وصل القصر الذي فيه عبد الملك غلقت الابواب فلم
يدخل معه الا غلام وهو لا يدري فلما حصل لعبد الملك قال لغلامه

اذهب للناس وقل لهم ما به باس فقال عبد الملك تريد ان تخدعني
خدوه فلما اخدوه قال له عبد الملك اني اقسمت ان اعمل في عنقك جامعه
وهذه جامعه من فضه اريد ان ابر بها قسمي فطرحها في عنقه
ثم جذبه الي الارض بيده فضرب فمه في جانب السرير فانكسرت
ثنيته فجعل عبد الملك يتاملها فقال عمرو لا عليك يا امير المومنين
عظم انكسر ثم قال له سالتك بالله يا امير المومنين لا تخرجني الى الناس
على هذه الحالة فقال له مكرا ابا اميه وانت في الحديد فبينما هو في ذلك
اذ جاه المودن يوذنه بالصلاة فقام اليها وقال لاخيه عبد العزيز اقتله
فقال عمرو يا عبد العزيز لا تكن انت من بينهم قاتلي فتركه فلما رجع
عبد الملك راه جالسا فلام عبد العزيز ثم اخذ الحربه بيده وقال
قربوه الي فقال عمرو تعلنها يا ابن الزرقا فقال له عبد الملك لو علمت
انك تبقي وتسلم الي ملكي لفديتك بدم النواظر ولكن قل ما اجتمع فحلان
على مدود الا بغي احدهما على صاحبه ثم ضرب بالحربه في صدره فلم
تغن شيا فضرب بيده على عاتقه فاصاب الدرع تحت ثيابه فقال
لقد كنت معدا ابا اميه اضربوا به الارض فصرع له ووقف على صدره
فذبحه ولما لم يخرج عمرو الى الصلاة قاتل اصحابه البوابين وشج
الوليد ابن عبد الملك فلما راي ذلك قبيصه بن ابي ذويب قال لعبد الملك

ادم

ادم اليهم بالراس وانثر الدنانير عليهم ليشتغلوا ويتفرقوا
ففعل وكان الامر على ما قال ابن ابي ذويب وذهب عمرو هدرا
ويحكى انه لما قتل عمرو ابن سعيد وتسمى بالخلافه سلم عليه اول
تسليمه فالمصحف في حجره فاطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك
وكان له في عنفوان نسكه صديق من اهل الكتاب يقال له يوسف
وكان قد اسلم فقال له عبد الملك يوما وقد مضت جيوش يزيد
بن معويه مع مسلم بن عقبه المري يريد المدينه الاجيل عدو الله
كيف يقصد حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك
والله الى حرم الله اكبر من جيشه الي حرم رسول الله فقال عبد الملك
معاذا بالله فقال له يوسف والله ما قلت شاكا ولا مرتابا واني
لاجدك بجميع اوصافك قال عبد الملك فيكون ماذا قال تبدا ولها رهطك
الى ان تخرج الرايات السود من خراسان واما عبد الله بن الزبير
وكان يكنى ابا بكر ويكنيه من ذمه ابا حبيب فانه لما قتل اخوه مصعب
وبايع الناس عبد الملك ودخل الكوفه قال له الحجاج يا امير المومنين اني
رايت في المنام كاني اسلخ ابن الزبير من راسه الى قدمه فقال له عبد
الملك انت صاحبه فاخرج معه الجيوش فسار بها حتى نزل على مكه
ونصب المجانيق على ابي قبيس وعلى قيعان وما زال يحاصره ويضيق عليه

فلما كان في الليلة التي قتل في صبيحتها جمع القرشيين فقال لهم ما
ترون فقال رجل من بني مخزوم والله لقد قاتلنا معك حتى ما نجد مقتلا
والله لئن صبرنا معك ما نزيد على ان نموت وانما هي احدى خصلتين اما
ان تأذن فنخرج فقال له رجل اكتب الى عبد الملك بن مروان فوالله لا
يقبل هذا ابدا او اكتب لعبد الله عبد الملك بن مروان امير المؤمنين
من عبد الله بن الزبير فوالله لئن تقع الخضراء على الغبراء اهون علي
من ذلك فقال له عروة بن الزبير وهو جالس معه على السرير يا امير
المؤمنين قد جعل الله لك اسوة قال ومن هو قال الحسن بن علي خلع نفسه
وبايع معوية فرفع عبد الله رجله وركضه في رجله ركضة ارماه عن
السرير وقال يا عروة قلبي اذا مثل قلبك والله لو قلتها ما عشت
الا قليلا وقد اخذتني الدبية ولئن اضرب بسيف في عز خير من ان الطم
في ذل فلما اصبح دخل على امرأته ام هاشم بنت منظور وهي التي يقول فيها
الفرزدق اذ نازعته زوجته النوار الى عبد الله بن الزبير فنزل الفرزدق
على حمزة بن عبد الله بن الزبير ونزلت زوجته النوار على بيت منظور
بن زبان فكان كلما اصلح حمزة من شان الفرزدق شيئا عند ابيه نهارا
افسدته زوجته ام هاشم ليلا حتى غلبته النوار ففي ذلك يقول

اما البنون فلم تقبل شفاعتهم ••• وشفعت بنت منظور بن زبانا

لبس

لبس الشفيع الذي ياتيك متزرا ••• مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

فلما دخل ابن الزبير على ام هاشم قال لها اصنعي لي طعاما فلما صنعت
له ذلك اخذ منه لقمة فلاكها ثم لفظها وقال اسقوني لبنا فسقوه
ثم اغتسل وتحنط وتطيب ثم اتى امه اسماء ذات النطاقين فقال يا
تن بن يا اماه قد خذلني الناس فقالت لا يلعب بك صبيان بني امية
عش كريما ومت كريما قال لها اني اخشى ان يمثل بي بعد الموت فقالت
له ان الشاة لا تألم بالسلخ بعد الموت اي بعد الذبح فقبل بين عينيها
وودعها وخرج واسند ظهره الى الكعبة وجعل يقاتل فلا يوم
جمعا الا هده فقال رجل شامي اسمه حلبوب اما يمكنكم اخذه اذا ولى
قيل له فخذه انت اذا ولى قال نعم وهو يريد ان يحتضنه من خلفه
فعطف عليه فقطع ذراعيه فصاح فقال اصبر حلبوب ثم جعل يقول

قد جد اصحابك ضرب الاعناق ••• وقامت الحرب بهم على ساق

فبينا هو يقاتل جاءه حجر من حجارة المنجنيق ضربه صرعه وكان اهل الشام
اذ رموا الكعبة بالمنجنيق يرتجزون

خطارة مثل الفنيق المزبد ••• يرمي بها اعواد اهل المسجد

ولما صرعه حجر المنجنيق انثالوا عليه اهل الشام فحملوه فذهبوا به الى
الحجاج فدعا بالنطع وحز راسه بيده وبعث به الى عبد الملك

ثم اتى الحجاج امه ليعزيها بابنها قالت له يا حجاج اقتلت عبد الله
قال لها يا ابنة ابي بكر اني قاتل الملحدين قالت له قاتل الموحدين قال
لها كيف رايتني صنعت بابنك قالت رايتك افسدت عليه دنياه
وافسد عليك اخرتك ولا ضير ان الله اكرمه على يديك وقد اهدي
راس زكريا الي بغي من بغايا بني اسرايل وروي هشام بن عروة
عن ابيه قال كان عثمان بن عفان قد استخلف عبد الله بن الزبير
على الدار فبذلك ادعى الخلافة ثم لما صلب ابن الزبير كان عبد الله
بن عمر يقول لقايده جنبني خشبة ابن الزبير فوقف ودعا له وقال
ان عليك رجلاك وكان منكسا لطالما وقفت عليهما في صلاتك وان
قوما كنت شرهم لقوم كلهم اخيار ثم قال لاصحابه اما والله ما
عرفته الا صواما قواما ولكن مازلت اخاف عليه مذ رايته
اعجبته بغلات معوية الشهب وكان معوية قد حج فدخل المدينة
وخلفه خمس عشرة بغلة شهبا عليها رحايل الارجوان فيها
الجواري عليهن الحلي والمعصفرات ففتنت الناس وإذا انتهينا
في ذكر ابن الزبير فلنعد الي تتمة اخبار عبد الملك بن مروان قال
المدايني دخل عبد الملك على يزيد بن معوية فقال يا امير المومنين
ان لك ارضا بوادي القرى لا غلة لها فان رايت ان تامر لي بها فقال

يزيد انا لا انخدع عن صغير ولا نبخل بكبير قال فانها تغل كذا وكذا
قال هي لك فلما ولي قال يزيد هذا الذي يقال انه يلي بعدنا فان كان
ذلك باطلا فقد وصلناه وان كان حقا فقد صانعناه وعن
ذكوان قال كان فقهاء المدينة يعدون اربعة منهم عبد الملك
بن مروان وعن نافع قال لقد رايت المدينة وما بها شاب اشد
تشميرا ولا املك لنفسه ولا اطهر مروة من عبد الملك قال وكان
يقال لعبد الملك بالمدينة حمامة المسجد لعبادته وشكى بعض
العمال الي ابن عمر وعبد الملك يصلي الى سارية فقال ابن عمر
لو وليهم عبد الملك هذا ما رضوا به يضرب به المثل في الفضل
والصلاح قال الشعبي دخلت على عبد الملك فقلت انا الشعبي
يا امير المومنين فقال لو لم نعرفك لم ناذن لك فلم ادر ما اقول
ثم قال علم بني الشعر فانه ينجدهم ويمجدهم وقال وقدت
على عبد الملك فما احدث في حديث اري انه لم يسمعه الا استفهمنيه
وربما غلطت في الشي وقد علمه فيتغافل عني تكرما وقال عبد الملك
شممت الطيب حتى ما ابالي رايحة ما وجدت واتيت النسا حتى ما
ابالي ارايت امراة ام حايطا واكلت الطعام حتى ما ابالي ما اكلت
وما بقيت لي لذة الا في محادثة رجل القى التحفظ بيني وبينه واوصى

اهله فقال يا بني مروان ابذلوا معروفكم وكفوا اذاكم واعفوا
اذا قدرتم ولا تبخلوا اذا سئلتم ولا تلحفوا اذا سالتم فانه من ضيق
ضيق عليه ومن وسع وسع عليه وقيل له لقد شبت يا امير المومنين
فقال كيف لا اشيب وانا اعرض عقلي على الناس في كل جمعه يعني الخطبه
وقال وقد قيل له هذا منه اخوي لقد شيبني قعقعه لجام البريد
وصريرا عواد المنابر وعن جويريه بن اسما قال كان لعبد
الملك بيت مال لا يدخله الا مال طيب لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد
قد عرف وجوهه وكان يتصدق منه النسا ويشتري منه الاما
اللاتي يتخذهن امهات اولاد ويقول لا استحل انكح الا طيبا فان ذلك
في الاولاد وحكى البلادري ان عبد الملك كان يشتو بالصنبره
من الاردن فاذا انسلخ الشتا نزل الجابيه فاذا مضت ايام من
اذار دخل دمشق حتى اذا اخذ حماره القيظ اتى بعلبك فاقام بها
حتى تسح رياح الشتا فيرجع الى دمشق فاذا اشتد البرد خرج الى الصنبره
وعن المدايني قال راى عبد الملك كانه بال في الكعبه فبعث الى سعيد
ابن المسيب من ساله عنه وقال له لا تخبره اني رايته فقال له الرجل
رايت كذا فقال له سعيد مثلك لا يرى هذه الرويا فرجع الى عبد الملك
فاخبره فقال ارجع اليه فاخبره اني رايتها فرجع اليه فاخبره فقال

تخرج

تخرج من صلبه من يلي الخلافه وعن حبيب بن وسع قال جلست
الي سعيد بن المسيب يوما والمسجد خال فجاه رجل فقال يا ابا محمد
رايت في النوم كاني اخذت عبد الملك بن مروان فوتدت في ظهره
اربعه اوتاد وتدا بعد وتد فقال ما انت رايت هذه الرويا
فاخبرني من راها قال ابن الزبير قال الان صدقت وان صدقت
الرويا قتل عبد الملك عبد الله بن الزبير وخرج من صلب عبد الملك
اربعه كلهم يكون خليفه قال فرحلت الي عبد الملك فدخلت عليه
وهو في الخضرا بدمشق فاخبرته الخبر وسالني عن ابن المسيب ثم
سالني عن ديني فقلت اربع مايه دينار فامر لي بها من ساعته ومايه
دينار اخرى وابلا احملني عليها وحملني طعاما وزبيبا وكسا فانصرفت
راجعا الى المدينه وقال عبد الملك بن مروان لسعيد بن المسيب
يا ابا محمد صرت اعمل الخير فلا اسر به وافعل الشر فلا اساله قال الان
تكامل فيك موت القلب وكان يقال معويه احلم وعبد الملك احزم
وكان على ديوان الصدقه حتى كانت الفتنه وذكر البلادري انه
لما ورد كتاب الحجاج على عبد الملك في امر ابن الاشعث نزل عن سريره
وبعث الى ابي هاشم خالد بن يزيد فاقراه الكتاب فلما راى ما به
من الجزع والارتياع قال انما تخاف الحدث من خراسان وهذا الحدث

من سجستان فلا تخفه ثم خرج عبد الملك على الناس فقام
خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان اهل العراق قد استطالوا
عمري فاستعجلوا قدري اللهم سلط عليهم سيوف اهل الشام حتى
يبلغ رضاك وصار الحجاج الى البصرة فاقام بها وعزم على لقاء
ابن الاشعث وجعل فرسان الشام يأتونه ارسالا في اليوم المائة
والعشرة واقل من ذلك واكثر وسار الحجاج فنزل الاهواز وتلاقت
المقدمتان فانصرفت مقدمة الحجاج فلما راى ابن الاشعث ما فعل
باصحابه عبر الى اصحاب الحجاج فاقتحم الناس خيولهم في دجيل
حتى صاروا الى موضع الوقعة في يوم ضباب لا يكاد الرجل يتبين
فيه صاحبه فهزم ابن الاشعث اصحاب الحجاج ودخل ابن الاشعث
البصرة ونزل الحجاج الزاوية ثم اقتتلوا وكان النصر لاصحاب
الحجاج وفقد ابن الاشعث فامر الحجاج فرفعت راية امان فاتوه
طائعين ودخل البصرة وخطب خطبة قال فيها ان الله عز وجل
لم ينصركم باهل الشام على عدوكم ولكنكم كنتم اهل الطاعة وهم
اهل المعصية فنصركم بغير حول منكم ولا قوة فاحمدوا الله على نعمه
ولا تبغوا ولا تظلموا واياكم وان يبلغني ان رجلا منكم دخل بيت
امراة فلا يكون له عندي عقوبة الا السيف ثم اتى الحجاج بال الاشعث

فلم

فلم يفلت منهم الا عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث وابن عبد الله بن
اسحق ودخل البراء بن قبيصة الثقفي على عبد الملك وكان الحجاج
قد طلبه لخروجه مع ابن الاشعث فانشده قوله

ارى كل جار قد وفى بجواره وجار امين الله في الارض يخذل
فما هكذا كنتم اذا ما اجرتم وما هكذا كانت امية تفعل

فقال عبد الملك صدقت وامنه وامر الحجاج ان يمسك عنه وكان
عبد الله بن انس بن مالك قد قتل مع ابن الجارود وكان شجاعا شديد
البطش حمل بخراسان بدرة بفيه فعبر بها نهرا فلما بلغ الحجاج
خبر مقتله قال لا ارى انسا الا يعين علي فلما دخل البصرة استصفى
مال انس فلما دخل عليه قال لا مرحبا ولا اهلا ايها يا شيخ ضلالة
جوال في الفتن مرة مع ابي تراب ومرة مع ابن الزبير ومرة مع ابن الجارود
اما والله لاجردنك جرد القضيب ولاعصبنك عصب السلمة ولاقلعنك
الصمغة فقال انس من يعني الامير قال اياك اصم الله صداك فوجع انس
فاخبر ولده بما لقيه من الحجاج فاجابه عبد الملك جوابا لطيفا
وكتب الى الحجاج اما بعد يا ابن ام الحجاج فانك عبد طمت بك الامور
حتى عدوت طورك وتجاوزت قدرك وايم الله يا ابن المستفرمة
بالزبيب لاغمزنك غمزة كبعض غمزات الليوث للثعالب ولاخبطنك

خبطه تودلها انك رجعت في مخرجك من بطن امك اما نذكر حال
ابايك بالطايف حيث كانوا ينقلون الحجارة على ظهورهم ويحفرون
الابار بايديهم في اوديتهم ومناهلهم ام نسيت حال ابائك في اللوم
والدناءة في المروة والخلق وقد بلغ امير المومنين الذي كان منك
الى انس بن مالك جراة واقداما واظن انك اردت ان تسبر ما عند
امير المومنين في امره فتعلم انكاره او اغضاؤه عنه فان سوغك ما
كان منك مضيت عليه اقداما فعليك لعنة الله من عبد اخفش
العينين اصك الرجلين ممسوح الجاعرتين ولولا ان امير المومنين
يظن ان الكاتب كثر في الكتاب من الشيخ الى امير المومنين فيك لاتاك
من يسحبك على ظهرك ويطنك حتى ياتي بك انسا فيحكم فيك فاكرم
انسا واهل بيته واعرف له حقه وخدمته رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا تقصرن في شيء من حوائجه ولا يبلغن امير المومنين
عنك خلاف ما تقدم فيه اليك من امر انس وبره واكرامه فيبعث
اليك من يضرب ظهرك ويهتك سترك ويشمت بك عدوك والقه
في منزله متنصلا اليه وليكتب الى امير المومنين برضاه عنك ان شاء
الله والسلام وبعث بالكتاب مع اسمعيل بن عبد الله مولى بني مخزوم
فاتى اسمعيل انسا بكتاب عبد الملك اليه فقراه ثم اتى الحجاج بالكتاب

اليه

اليه فجعل يقروه ووجهه يتغير ويتمعر وجبينه يرشح عرقا
وهو يقول يغفر الله لامير المومنين فما كنت اظنه يبلغ مني هذا كله
ثم قال لاسمعيل انطلق بنا الى انس قال اسمعيل فقلت بل ياتيك قال فقم
اذا فاتيت انسا فاقبلا جميعا حتى دخلا على الحجاج فرحب به الحجاج
وادناه وقال يا ابا حمزة عجلت يرحمك الله بالائمة والشكية
الى امير المومنين قبل ان تعلم كل الذي لك عندي ان الذي فرط مني
اليك عن غير نية ولا رضى بما قلت ولكني اردت ان تعلم اهل العراق
اذ كان منك ما كان اذا بلغت كنت اليهم بالغلظة والعقوبة
اسرع فقال انس ما شكوت حتى بلغ مني الجهد وقد زعمت انا الاشرار
وسمانا الله جل وعز الانصار وزعمت انا اهل النفاق ونحن الذين
تبوؤا الدار والايمان وسيحكم الله بيننا وبينك فهو اقدر على الغير لا
يشتبه الحق عنده بالباطل ولا الصدق بالكذب وزعمت انك اتخذتني
ذريعة وسلما الى مساءة اهل العراق باستحلال ما حرم الله عليك
مني ولم يكن لي عليك قوة فوكلتك الى الله والى امير المومنين فحفظ
من حقي ما لم تحفظه فوالله ان النصارى على كفرهم لو راوا رجلا
خدم المسيح بن مريم عليه السلام يوما واحدا لعرفوا من حقه
ما لم تعرفوه من حقي وقد خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين

وبعد فان راينا خيرًا حمدنا الله عز وجل عليه وان راينا غير
ذلك صبرنا والله المستعان فرد الحجاج عليه ما كان قبض من اموالهم
واراد عبد الملك اخاه عبد العزيز على ان يخلع نفسه فابى فكتب
اليه نعيه ويقول احمل الى خراج مصر فكتب اليه يا امير المومنين
انا قد بلغنا سنًّا لم يبلغها احد من اهل بيتك الا كان بقاوه بعدها
قليلا وانا لا ندري اينا ياتيه الموت اولا فان رايت الا تعنت علي
بقية عمري فافعل فرق له عبد الملك وقال لعمري لا فعلت ذلك
ولا سوت اخي وقال لبنيه ان يرد الله يعطكم اياها ثم لم يلبث
ان اتاه نعي عبد العزيز فاسترجع وبكا ووجم ساعة ثم قال رحم
الله عبد العزيز فقد مضى لسبيله ولا بد للناس من علم سكنون
او قايم يقوم بالامر بعدي وكان موثرا للوليد من بنيه
على حبه لكلهم وكان الحجاج يكتب اليه بان يعهد الى الوليد
فعهد الى الوليد ثم الى سليمن وكتب بيعته الى المدينة وساير
الافاق ثم مرض عبد الملك مرض موته فقال بعض الاطبا ان شرب
الماء مات فاشتد عطشه فقال يا وليد اسقني قال لا اعين عليك
فقال يا فاطمة اسقني فقامت لتسقيه فمنعها الوليد فقال له الوليد
لتدعها او لاخلعنك فقال لم يبق بعد هذا شي فسقته فخمد وكان

عبد الملك قد كرب للموت فقال اصعدوا بي اعلا الدار فصعد
فراى من كوة فيها قصارا وحوله حمار له يتمرغ فقال يا ليتني كنت
قصارا يا ليتني كنت حمار القصار فاتى الوليد يسال عنه وفاطمة
بنت عبد الملك تبكي ففتح عبد الملك عينيه وانشد

• ومستخبر عنا يريد لنا الردى • ومستخبرات والدموع تسيل •

ثم طلب ابنه الوليد وقال له اذا انا مت فضعني في قبري ولا تعصر
عينيك عصر الامة ولكن شمر واتزر والبس للناس جلد نمر فمن
قال براسه كذا فقل بسيفك هكذا فقلما اجتمع فحلان في ذود
الا بغى احدهما على الاخر فكن انت الباغي ثم يعني بسمه يقول انه لا يجتمع
فحلان في ذود ولا سيفان في غمد وولد عبد الملك في رمضان سنة
عشرين وتوفي في نصف شوال سنة ست وثمانين وعمره ثلث وستون
سنة ومدة ولايته بعد مقتل ابن الزبير وهي الخلافة المجمع عليها ثلث
عشر سنة وثلثة اشهر وخمسة عشر يوما وكانت الفتنة نحو تسع
سنين ودفن خارج باب الجابية بدمشق قال الشاعر يرثيه

• سقاك ابن مروان من الغيث مسبل • اجش سماكي يجود ويهطل •
• فما لي حياة بعد موتك رغبة • لحر وان كان الوليد يومل •

ثم دولة ابنه الوليد عبد الملك ابي العباس عمر بتوب الله الى ادن

ان ترفع وسطر في صحفه من اجرها ما ينفع عمر المساجد الثلثه
التي تشد اليها الرحال ولم يشغلها في ايسر حال رعى مسجد دمشق
حتى انتزاعه من ايدي النصارى بشطره وكمل بالمساحة قطعه فقوم
شقه المايل واستسلم كافره المخايل فقام الموذن لا يشوش عليه
صوت ناقوس والامام لا يختلط عليه ترتيل قسوس وحسم في الشق المايل
منه العله ونصب وجه المذبح الى القبله واصبح به الدين كله لله من بعد ما
اعرض ونأى بجانبه وشاى كفره جهد مناصبه وعوض النصارى بما
كان للمسلمين من نصف كنيسة مريم وعول على ما رآه وصمم ثم اعرب
بناه واعرب سماه حتى رفع على السماك سمكه ووضع بازاء السماء
حبكه ولو كان هذا موضع القول لاطلت واطنبت وما امللت الا ان
الوليد كان يعاب لبه بالفراغ وراسه بخفة الدماغ كان اخف من
خطرة نسيم واطيش من نار في هشيم وكان سلجلج لحانا يخرج
ولا يقول كلاما له معنى غالبه مثل كلام النايم او السكران هي الفاظ
الا انه لا يفهمها الانسان تكان خفيفا لحانا لا يقيم لسانه خطا
ولا عقله امتحانا وكان على هوجه الشديد وعوجه عن النهج السديد
شديد المهابة مجيد الاصابة سعادة اخذ منه الاقدار وقدمته
اليها اضعاف المقدار وكان معظما لجانب الحجاج حتى انه كان اسكن عنه

مما

مما كان عند ابيه واقرب كان ومودة وامكانا في رخاو شدة
وكان الوليد اذا ذكره قال هو الذي مهد لنا منابرنا واسهد جفونه لنوم
اكابرنا بعد صعبه السالف وردعه للمخالف ويرى انه من اكرم زلفه
واعظم ما جاءه الدهر به من تحفه وكذلك كان الحجاج له صدق ولا لا يكذب
والاجماع لا يبدب حتى انه لما احتضر كتب اليه كتابا اودعه ما فارقه
به وودعه وزعم فيه ان رضى الوليد سبب مغفرته وموجب دخوله الى الجنه
وجواره وقال ــــ فيه

اذا ما لقيت الله عني راضيا فان سرور النفس فيما هنالك

ولما رجع الوليد من جنازة ابيه صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال
لم ار مثلها مصيبة ولم ار مثله ثوابا فانا لله وانا اليه راجعون لعظم
المصيبة والحمد لله على حسن العطية اني قد كفيت ما كانت الخلفا قبل تتكلم
به فمن كان في قلبه حب فليمت بدائه ومن مال ادنيه املنا راسه وولي
عمر بن عبد العزيز المدينة وامره ان يبني مسجدها وجعله مايتي
ذراع وبعث بالفعلة من الشام وكتب الى ملك الروم بان يعينه في بنائه
فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهب ومائة فاعل واربعين حملا فسيفسا
بذهبه وبعث الى عامله بمكة في عمل الفسيفسا وترخيم الحجر وبالمسجد
وبعث في عمارة المسجد الاقصى وشرع هو في عمارة مسجد دمشق وقال لاصحابه

اقسمت عليكم لما اتاني كل واحد منكم بلبنة فجعل رجل من اهل العراق
يفرطون في كل شي حتى في الطاعة وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة
اصبع بن محمد بن لهيعة السكسكي ان الوليد حين بنى مسجد دمشق مر برجل
ممن يعمل فيه وهو يبكي فقال ما قصتك فقال يا امير المومنين كنت رجلا جمالا
فلقيني يوما رجل فقال لي احملني الى مكان كذا وذكر موضعا في البرية
فقلت نعم فلما سرنا بعض الطريق التفت الي فقال ان بلغنا الموضع الذي
ذكرته لك وانا حي اغنيتك وان مت فاحمل جثتي الى حيث اصف لك قال
ثم نصر احرابا فاذا بلغته فامكث الى ضحوة نهار ثم عد سبع شرفات من
القصر واحفر تحت ظل السابع قدر قامة تجد بلاطة فاقلعها تجد مغارة
ترى فيها سريرين على احدهما رجل ميت فاجعلني على السرير الآخر واحمل
ما معك ما لاين المغارة وارجع الى بلدك فمات الرجل في الطريق ففعلت
ما امرني به وكان معي اربعة جمال وحمارة فاوسقتها كلها ما الاين المغارة
وسرت بعض الطريق وكان معي مخلاة نسيت املاها وداخلني الشره فرجعت
بها وركبت الجمال والحمارة فلم اجد المكان ورجعت فلم اجد الدواب فبقيت
ادور اياما فلما يئست رجعت الى دمشق ولم احصل على شي واضطرني الامر
الى ما ترى اعمل في التراب كل يوم بدرهم وكلما ذكرت حالي لم املك نفسي ان ابكي
فقال له الوليد لم يقسم الله لك من تلك الاموال شيا والى ما صارت فبقيت بها

هذا

هذا المسجد وعزل المجذمين في مكان واعطاهم وقال لا تسالوا
الناس واعطى كل مقعد وكل ضرير قائدا وكان صاحب بنا واتخاذ
مصانع وكان عند اهل الشام من افضل خلفائهم قال ابن الاثير
وفتح في ولايته فتوحات عظام منها الاندلس وكاشغر ثم قال
وكان يمر بالبقال فيقف عليه ياخذ منه حزمة بقل فيقول بكم هذه
فيقول بفلس فيقول زد فيها قلت وقد قيل انه هو اول من تجبر
من الخلفا وقال الوليد انا انفق على الكعبة واكسوها واطيبها فعلام
ياخذ بنو شيبة هذا بابها لامنعهم اياها العام فارضهم وخرج
الوليد حاجا فخرجوا يتلقونه فوجدوا الحجاج معه فقالوا له
انت وان كنت معزولا عنا فانك محمود عندنا وحرمتنا ما لا تنكر وقد
بلغنا كذا ففزعنا اليك فقال اذا دخلتم على امير المومنين فتجنبوني عنده
ثم سلموا عليه خالي الوجه ودعوني اكفيكموه ففعلوا فلما خرجوا قال الحجاج
على ما يدع هولاء وهذا باب الكعبة قال قد اجتمع علي اخذها قال فافعل
فاني كنت اشرت بهذا على امير المومنين عبد الملك فقال انا ابرا الى الله
من هذا فقال الوليد انا ابرا مما بري منه امير المومنين عبد الملك
وتركها لهم واستعمل عاملا له فاتاه رجل فقال نصيحة قال ان كانت
لك رددناها عليك وان كانت لنا فلا حاجة لنا فيها قال جار لي اخل بمركزه

وقال بئس الجار انت نحن ناظرون فيما ذكرت فان كنت صادقا
مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان احببت ان نعفيك اعفيناك
قال اعفني قال قد فعلت وعن عامر بن عبد الاعلى قال حدث الوليد انه جمع
بين هند بنت الحسن العليقي وبين جمعة بنت حابس الايادي فقيل لجمعة
اي الرجال احب اليك قال الغليظ الكبر الطاهر الجلد الشديد الجذب
بالمسيم فقيل لهند اي الرجال احب اليك قالت القريب الامد الواسع البلد
الذي يوفد اليه ولا يفد فقال الوليد من هذا الرجل فقال له هشام
بن عبد الاعلى الفزاري انت يا امير المومنين وحكى المدايني قال مرض
الوليد بن عبد الملك فرهقته غشية فمكث عامة يومه عندهم ميتا فبكي عليه
وخرجت البرد بموته فقدم رسول على الحجاج بذلك فاسترجع ثم امر بحبل فشد
في يده ثم اوثق الى اسطوانة ثم قال اللهم لا تسلط علي من لا رحمة له فطالما
سالتك ان تمتعني قبل امير المومنين فبينا هو كذلك اذ قدم عليه بريد
بافاقته فخر ساجدا واعتق كل مملوك له وصدق بصدقة كثيرة ولم يكن
احد اسر بعافيته من الحجاج وبعث اليه كتابا بالتهنية ومعه من تحف
الهند وخراسان ثم لم يمت الحجاج حتى ثقل على الوليد فقال خادم للوليد اني
لاوضيه يوما لصلاة الغداة اذ مد يده فجعلت اصب عليها الماء وهو ساه والماء
يسيل ولا اقدر ان اتكلم ثم نضح الماء في وجهي وقال اناعس انت ثم رفع راسه الي فقال

ويلك

اتدري ما جاء الليلة قلت لا قال ويلك مات الحجاج فاسترجعت فقال
اسكت فما يسر مولاك ان في يده تفاحة يشمها وانه لم يمت ثم قال
رحم الله الحجاج لقد كان منا اهل البيت وحج الوليد فوافاه محمد
بن يوسف اخو الحجاج من اليمن وحمل هدايا للوليد فقالت ام البنين
بنت عبد العزيز امراة الوليد اجعل لي هدية محمد بن يوسف فامر
بصرفها اليها فجاء رسل ام البنين الى محمد بن يوسف بقبض الهدايا
فابى وقال لا اسلمها حتى يراها امير المومنين فغضبت ودخلت على الوليد
فقالت لا حاجة لي في هدايا محمد فانه بلغني انه اخذها من الناس ظلما
وغصبا وانه سخرهم لعملها فلما حملها الى الوليد قال له بلغني انك
اغتصبتها الناس وكلفتهم عملها وظلمتهم فقال معاذ الله فاحلفه
خمسين يمينا بين الركن والمقام انه ما ظلم احدا ولا اصابها الا
من طيب فحلف فقبلها الوليد وبعث بها الى ام البنين ومات محمد بن يوسف
باليمن اصابه ذا تقطع منه واستند الى حائط بئر زمزم والفضل بن عباس
بن ابي لهب يستقي من زمزم ويقول

يا ايها السائل عن علي ۰ تسال عن بدر لنا بدري
مردد في المجد ابطحي ۰ زمزم يا بوركت من طوي
بوركت للساقي وللمستقي ۰ اسقي على مآثر النبي

ثم اتى الوليد منها بماء فشربه ومسح منه على وجهه ولم ينكر عليه
قوله الا انه لم يصله حتى كلمه فيه وعن مدرك بن حجوه ان قوما دخلوا
على الوليد وعنده اخوه مسلمة فشكوا امرا من امرهم فلم يبينوا
ولا احسنوا العبارة فتكلم رجل منهم فافصح واوضح وعبر عن نفسه
وعن القوم فقال مسلمة ما شبهت كلام هذا الرجل الا بسحابة
لبدت عجاجا ولما مرض الوليد بن عبد الملك ذكر له موسى بن نصير
طبيبا قدم به معه من المغرب روميا فادخله عليه وعنده ابن راس البغل
ويقال ابن راس الحمار طبيب عمه عبد العزيز بن مروان وكان من اهل
الاسكندرية فتراطنا بالرومية فقال احدهما لصاحبه ما ناوله
قال السل قال الصدق ودعا له صاحب موسى بقدح نطح والقى
عليه مرقة دوا وحساه منه جرعا فلم يثبت في جوفه وقاءه
فقال لا ارى هذا وافقك وعندي ما هو اسهل منه وانا اتيك
به غدا فخرج من عنده وقال والله لا يصبح حيا فمات في السحر
وتوفي سنة ست وتسعين وهو ابن تسع واربعين وملك تسع
سنين ودفن خارج باب الصغير بدمشق وكان نقش خاتمه
اذكر الموت يا وليد • وقيل بل كان يا وليد انك ميت

دولة سليمان بن عبد الملك بن مروان ابي ايوب

وكان

وكانت الدامن عفوه اليوم وحفوه الليوم لطبيب زمانه وطي المخاوف
بامانه وكانت مفرط الغيرة يواخذ بالظنون ويتابد بريب المنون
سمع رجلا يرجع في الغنا فتوجع وقال هذا زايد الزنا وامر
بان يخصي فحدا اسه وبذا السوابق بما جنى عليه وكان مدة ابيه
عبد الملك واخيه الوليد مغري بعيب الحجاج معنى منه بالكر ريب
الحجاج وكان ينوي ان صارت اليه نوبة الخلافة له نومه كل
انه فات قبل ذلك الحجاج وفات الحجاج فسبقت نيه سليمان فعله
وسبقه عذله وكان سليمان نهما لا يشبع ملتهما يا كل مع اللقمة
الاصبع فداستنا سد واستسبع واكل ما طار بجناح او مشى على اربع
وامه وام الوليد ولادة بنت العباس بن جزي العبسي نشا في اخواله
بني عبس وابي في اخواله عن اللبس وكان ابيض جعدا كاد محياه يبدي
نظر يوما الى المراة وقد لبس حلة خضرا رفل في سندسها وتحلى بوار الحمايل
من انواره ضوء شمسها فقال انا الملك الفتى او قال انا الملك الشاب
لما داخله بالملك الاعجاب ومر في خروجه الى مصلاه بجارية له كان بها
كلفا وبحبها شغفا فلما قال لها هذا القول قالت

• انت نعم المتاع لو كنت تبقى غير ان لا بقا للانسان •
• ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير انك فان •

تنظر من فوقها وتسامر وراجع الفكر في هذا وداوم ثم رقى
المنبر فخطب فاسمع ثم تقدم الى المحراب فصلى وصوته لا يتعدى
له حزن فسمع فعاد الى منزله ساكتا يتوجع وطلب تلك الجارية
كالمنكر عليها فاقسمت انها لم تر ذلك اليوم احمر فعلم انه نُعي وانه
انما خرج مودع وكان ملك حسن واحسان وخليقة يمن وامان
ولي سنة ست وتسعين فجا جميل المذهب كانما ايامه الطراز المذهب
ابقى من حسن السيرة ذكرا لا يبلى واثرا لا يذهب ملك امره
فما تسعت ولا تشعب وانصف من الظالم فاخمد سورة من تشعب واخرج
من المحبوس ونزع عن المستورين لباس البؤس وكساهم حلل الكرامه واساهم
بعدله ما مسهم من السآمه ورد عنه بردهم الملامه واخذ الظلامه
وراقب الله كانما يتمثل وقوفه بين يديه يوم القيمه وكان الوليد
اخوه ولاه فلسطين فاحدث مدينة الرملة وبني مسجدها واتاه
نعي الوليد وكان ولي العهد بعده فخرج من فلسطين الى دمشق وكانت
ولايته سنتين وثمانية اشهر فاسف الرعايا علي ملكه القصير وزمانه
الغض النضير ولكن ليالي الوصل فيهن تقصير ومات بدابق ودفن
بها وكفن ثم وسد في مضاجع تربها وذلك في سنة تسع وتسعين
وكان يوم مات ابن خمس واربعين وحسبه من حسن الخاتمة في الدنيا

والامارة

والامارة الدالة علي نقله في الدرجات العليا ان صلى عليه الرجل الصالح
عمر بن عبد العزيز ورحل من حرم الخلافة المستباح الى حرز الله
الحريز وكان له اولاد منهم ايوب المكنى به وكان من فتيان قريش
عفافا وادبا وكان ابوه قد بايع له بالعهد وكان مودبه وحاضنه
عبد الله بن عبد الاعلى الشاعر • وقال فيه جرير

• ان الامام الذي ترجا فواضله بعد الامام ولي العهد ايوب •

وهلك في حياة ابيه ورثاه عبد الله بن عبد الاعلي بقصيده يقول فيها

• قد بان ايوب الذي لفراقه سر العدو وغاضني وتخشعي •
• ايوب كنت تجود عند سواله وتظل منخدعا وان لم تخدع •

قال البلاذري خرج سليمن الى دابق ليجزي الناس منها
فاغزاهم وعليهم ابنه ايوب ومعه مسلمه بن عبد الملك وكان ايوب
ولي عهده فلما احتضر سليمان قال ان ابني ايوب بان اعدو ولا ادري
ما يحدث به وان اهل الامر الى قدومه ضاع وانتشر ولم نومن
الفتنه علي الناس في جميع الاقطار ولعل الحدثان ان يكون غالبا علي
ابني وليه العهد وانا اظن ان عمري يطول وهو حدث فولى عمر بن
عبد العزيز ولقد وفق في نظره الوجيه ورايه الوجيز فارق الناس
على وجه جميل واختار لهم اماما لا يميل مع الهوى ولا يميل عمر

وما ادراك ما عمر نزع من حله عمر بن الخطاب امير المومنين إلى
احسن السير وعهد سليمن بعد عمر بن عبد العزيز الي يزيد بن عبد الملك
ثم ايوب ان كان بعد يزيد وكره ان يخرجها من ولد عبد الملك فتخلفوا
وصوب رجا بن حيوه رايه في ذلك وقوى عزمه وهو هالك وتوفي ايوب
في عزاته وقيل ان اباه علم بماته قبل وفاته ففعل ما فعل وما
عسي يغني قول ليت او لعل وقال المداينى دخل رجل علي سليمان بن عبد
الملك فتكلم فاراد ان يسبر عقله فاذا هو مصعوف فقال سليمان زيادة
منطق على عقل خدعه وزيادة عقل علي منطق هجنه واحسن ذلك ما زان
بعضه بعضا ومن كلامه الحسود لا يسود وقال سليمان ليزيد بن ابي مسلم
ما تقول في الحجاج قال يا امير المومنين يوم القيمه بين ابيك واخيك فضعه حيث
شئت وقال المدايني دخل ايوب بن سليمان علي ابيه فقال مالك يا بني
قال خدرت رجلي فقال يا بني اذكر احب الناس اليك فقال صلي الله علي محمد
فقال سليمان اي سيد واي عنه لفي غفلة فولاه عهده وتذاكر هو ورجل
كان سليمن ياسه الملاد فقال سليمن والله لقد اكلنا الطيب ولبسنا
اللين وامتطينا الفارة وامنا العذراء فلم يبق من لذتي الا صديق
اطرح فيما بيني وبينه مونه التحفظ وضم سليمن عون بن عبد الله
بن عتبه بن مسعود الي ابنه ايوب فاتاه يحجبه فجلس في بيته فعتب

ايوب

ايوب فاتاه يحجبه فجلس في بيته فعتب ايوب عليه فعاتبه عون
فغضب وشكاه الي ابيه فلامه فقال صمهي الي رجل ان ابنته حجب وان
جلست عنه عتب وان عاتبته غضب وكان يوتي في كل يوم صلاة
الغداة بعشر رقاقات وخروفين عظيمين ودجاجتين سمينتين
فيأكل ذلك كله ثم يخرج فيه مبري ويح سليمان فقال لقيمه علي طعامه
اطعمني من خرفان المدينة اوقال من جداء الماء ودخل الحمام ثم خرج
وقد شوى له اربعة وثمانون خروفا او جديا فجعل القيم ياتيه
بواحد واحد فيتناول حرمارحه ويضرب بيده الي شحم كليته
فاكل اربعة وثمانين حرمارحه بشحم اربعة وثمانين كليته ثم قال
ادع يا غلام عمر بن عبد العزيز واذن للناس ووضع الغدا فاكل
معهم كما اكلوا واتى الطايف فلقيه ابن ابي زهير الثقفي رجل من
اهلها فسال ان ينزل عليه فقال اني اخاف ان انهكك فقال قد رزق
الله خيرا كثيرا فنزل عليه فجعل ياتيه من حايطه وهو فيه بخمس
رمانات خمس رمانات حتى اكل مايه وسبعين رمانه ثم اتي بخروف
وست دجاجات فاكلهم ثم اتي بمكوك زبيب فاكله ثم وضع الطعام فاكل
واكل الناس وفتح ابن ابي زهير ابواب الحيطان فاكل الناس من الفاكهه
فقال سليمان قد اضررنا بالرجل واقام بالطايف سبعا ثم صار الي مكه

فقال الحقني فلم يفعل فقيل له لو لحقته قال اقول ماذا اعطني
ثمن طعامي واتاه وهو بدابق رجل نصراني كان منقطعا اليه
من قبل الولاية فقال له هل اهديت لي شيا قال نعم واتاه بزنبيل
مملوه بيضا مطبوخا وزنبيل مملوة تينا فجعل يقشر له البيض فياكل
بيضه بيضة حتى اتى على الزنبيلين ثم اتوه بقصعة مملوة مخا مخلوطا
بسكر فاكل ذلك ومرض فمات وقال سليمان وقد ذكر عنده بتشقيق
الخطب والاسهاب من اكثر القول فاحسن قدر على ان يقل فيحسن
وليس من قصر واحسن بقادر على ان يطيل فيحسن وقام اليه رجل وهو
ياكل فقال اني زوجت ابني وليس عندي ما اجمع به اهله اليه فاسلفني
من بيت المال فقال ما يزال عاص لبطن امه يقوم الينا فيفسد علينا
طعامنا فنحي الرجل وجلس فلما فرغ من طعامه قال قلت ماذا ابوك
فرد عليه مسالته فقال فكم عطاوك قال مائتا دينار فقال يا قسامة
اعطه مائتي دينار ومائتي دينار ومائتي دينار وطول نفسه حتى انقطع
فنظروا فاذا جميع ذلك فيه اثنين وسبعين الف درهم ثم قال
ابا رحي نصيب قال نعم رضي الله عنك يا امير المومنين فقال يا قسامة
اضعفها له فاخذ مائة الف واربعين الف درهم وحدث محمد بن سعد
عن الواقدي قال انصرف سليمن من صلاة الجمعة فاكل شحم كلى اربعين

جديا

جديا وصحفه مملوة مخا وغير ذلك ثم جامع فقام عن الجارية
موعوكا فمات بدابق وقال جرير

• فيا قوم ما بالي وبال ابن نوفل وبال بكائي نوفل بن مساحق •
• ولكنها كانت سوابق عبرة علي نوفل من كاذب غير صادق •
• فهلا على قبر الوليد سفحتها وقبر سليمن الذي عند دابق •

قال المدايني الثبت ان ايوب بن سليمان توفي بالشام ولم يكن غازيا
انما كان الغازي مسلمة بن عبد الملك وكان سليمن ان يعرنه علي الجيش
مرض فلما احتضر ايوب دخل عليه وهو يجود بنفسه ومعه عمر
بن عبد العزيز ورجا ابن حيوه فجعل ينظر في وجهه فتخنقه العبرة
فيردها فلما قضى نحبه ودفن وقف على قبره وقال

• وقفت علي قبر مقيم بقفرة متاع قليل من حبيب مفارق •

ثم قال السلام عليك يا ايوب

• كنت لنا انسا ففارقتنا فالعيش من بعدك مر المذاق •

ثم ركب دابته وقال

• فان صبرت فلم الفظك من جزع وان جزعت فعلق منفس ذهبا •

دولة عمر بن عبد العزيز بن مروان ابي حفص

ناهيك بعد لا يغترن سوام • وملك كانت ايامه كالمنام • ودعاباه نوم

تقابل في مناسب ابيه وامه وتماثل بمناصب خاله وعمه بكنفه
من قبل الابوه النسب الاموي ومن قبل الامومه الحسب العدوي فطابت
سمعه وطافت الارض باعطر الانفاس سمعته واخذ نفسه بسلوك
سيره جده لامه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقارب بفعل سميه
وفارق منهم ذلك الولي بوسميه وجد فما قصر ووجد محاسن
ما ابتصر وقد كان من اتق بني ابيه حتى شمر وانف اخوانه حتى نامر
فلما ولي ولى بتلك الزخارف ولوي رقاب تلك المطارف وسال عن
مذاهب الراشدين ثم ما تعداها وحلب تلك الخلايق الطاهره ونردداها
واول ما بدا به امره ان ابدل سب امير المومنين علي بن ابي طالب رضي
الله عنه بقوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان واذهب تلك
السيه بهذه الحسنه الباقيه الاحسان وازال تلك الشبه ومحاها
وازاح لبلها الداجي بارتفاع ضحاها فخلصت الدمم من ارهاقها واستراحت
المنابر مما كانت تحمله من اثم هذه الخطه في اعناقها وقنع بالقليل من
القوت طلبا لحله وسببا لتخفيف حمله وهجر النسا منذ ولي وقال
لن وجته ان تصيب بهذا والا فاعتزلي ثم امرها بان ترد الي بيت المال
ما كان ابوها عبد الملك حلها والزم بمثل هذا ساير بني اميه واستعاد
نفلها وقال هذه فواصل اموال لبيت المال لا يجوز ان تحجر

ولا

حادي عشرين مسالك الابصار
وريا

ولا ان توخذ بايديكم عبثا وتكتنز ولقد اعطا كموها امه جود
اعطت ما لم تملك واعدت بالهلال بها من لم يهلك واخلص لله كل عمله
وحلى جل امله وكان سرد البريد الي المدينه لا يلاع سلامه لساكنها
عليه افضل الصلاة والسلام لا لشغل اخر له خاصه ولا لعامه الاسلام
ودام حميدا حتى توفي وما بلغ الاربعين واسند باب الخير فلا له فاعل
ولا عليه معين ما طالت مدته فاسلم حتى ودع ولا اومض بارقه حتى
انطوي وكانه لم يلمع دفن بخناصره وغيب الحق في ذلك الترى ناصره
ولم يقم بعده الاملك لا امام ولم ينم مثله في مضجعه سقاه الغمام
وامه ام عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب واسمها ليلي وامها ابنت
الامراه التي كانت تمذق اللبن بالماء وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
سماها سمي بمحضه ثم يعاود نقلها في معيبه وحديث ابنتها معها
مشهور وهو كان سبب تزويج عاصم بن عمر بها براى ابيه عمر قال البلادري
ولي سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز الخلافه وكتب كتابا سماه
فيه ويزيد ابن عبد الملك ان كان من بعده فلما مات سليمان اخرج رجا
بن حيوه الكتاب واظهر اسمه وبايعه الناس بدابق فقال لرجاء تحموني
بغير سكين وكان عمر بن عبد العزيز بن يم اشج حمار وهو بمصر فلما راه اخوه
الاصبغ قال هذا والله اشج بني اميه الذي يملا الارض عدلا وكانت خلافته

ثلثين شهرا ووفاته وهو ابن تسع وثلثين سنة وتوفي سنة إحدى
ومائة ودفن بدير سمعان وكان نزوله بخناصرة من عمل جند قنسرين
وبها وفاته وصلى عليه رجا بن حيوة الكندي ويقال مسلمة
بن عبد الملك ولما ولي عمر بن عبد العزيز صعد المنبر فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ايها الناس من صحبنا فليصحبنا بخمس يبلغنا حاجة من لا يستطيع
ابلاغها ويدلنا من العدل على ما لم نهتد له ويؤدي الامانة اذا حملها
ويعيننا على الخير ويدع ما لا يعنيه فمن كان كذلك فحي هلا به ومن لم
يكن كذلك فلا يقربنا قال ابو سنان ضرار فحبوا والله دونه قال
وهذا والله اول كلام تكلم به حين استخلف ولما ترعرع عمر بن عبد العزيز
استاذن اباه في اتيان المدينة وقال احب ان اكتب العلم واحضر قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب علي الحج فاذن له في ذلك فاتى
المدينة وقال الواقدي اذن له ابوه في اتيان المدينة وقال له اجتنب
ال عبد الرحمن بن عوف وال سعيد بن العاص فان ثم شرارة وشراسة
وسوء اخلاق فكان يجالس اهل الفقه والورع وقال المدايني اوصى
عبد العزيز لعمر باربعين الف دينار ودفعها الى ابن رمانة فحدث
بذلك ابا بكر بن عبد العزيز فغضب وكتب الى عمر انك احدثت هذا
المال دوننا ثم شخص عمر من المدينة فقدم الشام فلما استخلف

الوليد بن عبد الملك وهو صهره كانت ام البنين بنت عبد العزيز
عنده ولاه الوليد المدينة فاحسن السيرة الا انه كان لباسا عطرا
وانما تقشف بعد ذلك فكان يعمل له ثواب الخز بمائة دينار فيستخشنه
ثم انه كان يؤتى بالثوب الخشن باقل من دينار او بدينار فيقول ما امنع
بهذا ايتوني باخشن منه واقل ثمنا وكان ابن رمانة لمخاصمته ابنا ٤
يرفع على عماله ويقع فيهم حين عزل عن المدينة فقال عمر لو شئت ان اخذ
كتاب الوليد الى عامل المدينة في ضرب ابن رمانة مائة سوط وحلق راسه
ولحيته فعلت ولكني رايته سقى الله منجي وفي ولاية عمر المدينة يقول
الاحوص • واري المدينة اذ وليت امورها من البري بها وخاف المذنب •
وقال ايضا • واري المدينة حين كنت اميرها امن البري بها ونام الاعزل •
• واراك ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول ما لا يفعل •
وكان عمر يساير سليمن بن عبد الملك فرعدت السما وبرقت فقال عمر يا امير
المومنين هذه قدرة الله عند الرحمة فكيف بها عند العذاب • وقال عمر
لرجل من سيد قومك فقال انا قال لو كنت كذلك ما قلته • وقال المدايني
جمع عمر بني مروان فقال يا بني مروان اني اظن نصف جميع مال الامة
عندكم فادوا بعض ما عندكم الى بيت مال المسلمين فقال هشام لا يكون
والله ذاك حتى تذهب ارواحنا فغضب عمر وقال اما والله يا بني مروان

ان لله فيكم دخا ولولا ان تستعيبوا علي ان اطلب هذا المال منه
لاضرعت حدودكم وقال المدايني كتب بعض عمال عمر بن عبد
العزيز اليه ان مدينتنا تحتاج الي مرمه فكتب اليه اما بعد
فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه فحصن مدينتك بالعدل ونقها
من الظلم والسلام وقال كتب عمر الي عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد
بن الخطاب عامله علي الكوفة اجتنب الحاجات عند حضور الصلوات والسلام
وقيل لعمر اي الجهاد افضل قال جهاد المرء هواه وقال المدايني
قال رجا بن حيوه كنت عند عمر فكاد المصباح يطفا فقمت لاصلحه فقال
مه ان جهلا بالرجل ان يستخدم ضيفه ثم قام فوجد غلامه نايما فلم
يوقظه وتولى اصلاح المصباح ثم عاد فقال قمت وانا عمر بن عبد العزيز
وقعدت وانا ذاك قالوا وكان عبد الملك ابنه زاهدا خيرا فقال له
يا بني لان تكون في ميزاني احب الي من ان اكون في ميزانك فقال ولان يكون
ما تحب احب الي من ان يكون احب فلما مات عبد الملك خرج عمر الي الناس
وقد اكتحل بسبيل عينه فقال قد سكن ورجاه اهله وما كان في حاله احب
الي من حاله ثم علم موته فقيل له فعلت ما فعلت وقد مات فقال احببت
ان ارغم الشيطان وانصرف من جنازته فراي قوما يتصلون فقال
لبعضهم اخطات فافعل كذا فقيل له في ذلك فقال ليس في موت عبد الملك

ما

ما يشغل عن نصيحة المسلم وكان سعيد بن مسعود المازني عاملا
لعدي بن ارطاه علي عمان فاخذ رجلا من الازد ما به سوط في ناقة
ارادها منه فاتي الي عمر وشكي اليه وانشد قول كعب الاشقري

ان كنت تحفظ ما يليك فانما عمال ارضك بالعراق ذئاب
لن يستقيموا للذي تدعوا له حتي تضرب بالسيوف رقاب
بالكف منصلتين اهل بصاير في وقعهن مواعظ وعقاب
لولا قريش نصرها ودفاعها امسيت منقطعا بي الاسباب

فقال عمر لمن هذا الشعر فقال لرجل من ازد عمان يقال له كعب فقال ما
كنت اظن اهل عمان يقولون مثل هذا الشعر فكتب الي عدي بن ارطاه
ان استعمالك سعيد بن مسعود قدر من الله قدره عليك وبليه ابتلاك
بها فاذا اتاك كتابي فابعث اليه من يعزله وابعث به الي مشدودا
موثقا واستعمل عبد الرحمن بن قيس وحمل سعيد الي عمر فلما دخل عليه
كلمه عمر فقال اصلحك الله اتكلمني وانا موثق اطلق عني حتي اكلمك
بحجتي فاطلق عنه وقال للازدي اضربه فقال مبر بن سعيد
انا الذي ضربته ولم يضربه ابي قال فاعط الازدي سوطا وقال
عمر قم فاجلده كما جلدك فجلد مما به سوط فقال له ابوه يا مبر
اصبر ادنك اصبار الفرس الجموح وعض علي نواجدك واذكر احاديث

عدوا ما لـ ود كر الله فانه معجز وقال المدايني قال عمر ما قرن شي
الى شي احسن من علم الى حلم وعفو الى مقدرة وقال عمر تعلموا العلم
فانه زين للغني وعون للفقير لا اقول انه يكسب به ولكنه يدعوه
الى القناعة وقال البلادري قدم وفد على عمر من العراق فنظر
الى شاب منهم يتهيا للكلام فقال عمر ليتكلم اكبركم سنا فقال
الفتى يا امير المومنين ليس الامر بالسن ولو كان كذلك لكان في المسلمين
من هو اسن منك قال صدقت فتكلم فقال انا لم ناتك رغبة ولا
رهبة اما الرغبة فاتتنا في بلادنا ودخلت علينا منازلنا واما الرهبة
فانا قد امنا ها بعدلك قال فما انتم قال نحن وفد الشكر فنظر محمد بن كعب
القرظي الى وجه عمر يتهلل فقال يا امير المومنين لا تغلبن جهالة القوم
بك معرفتك بنفسك فان من الناس ناسا غرهم الستر وخدعهم حسن
الثنا وانا اعيذك بالله ان تكون منهم فبكى عمر رحمه الله وقال البلادري
وفد جرير على عمر بن عبد العزيز فمكث حينا لا يصل اليه ثم راى ذات
يوم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يريد الدخول عليه وكان
قاريا فقام اليه جرير فقال له

يا ايها القارئ المرخي عمامته هذا زمانك اني قد مضى زمني
ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه اني لدى الباب كالمقرون في قرن

فقال

فقال له عون ان امكنني ذلك فعلت ان شا الله فلما دخل عون على عمر
سلم وجلس حتى فرغ من حوائج الناس ثم اقبل عون عليه فقال يا امير
المومنين ان ببابك جرير بن عطية الشاعر وهو يطلب الاذن فقال
عمر او يمنع احد من الدخول علي قال لا يا امير المومنين ولكنه يطلب
اذنا خاصا لينشدك فيه فقال يا غلام ادخل جريرا فادخل عليه
وعون جالس فانشده جرير

اذكر الجهد والبلوى التي شملت ام اكتفي بالذي انبت من خبري
كم بالمواسم من شعثا ارملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن نرجا له من بعد والده كالفرخ في العش لم ينهض ولم يطر

فبكى عمر حتى بلت دموعه لحيته وامر بصدقات تفرق على الفقرا فقال
جرير هذي الارامل قد قضيت حاجتها فمن لحاجة هذا الارمل الذكر
فقال له يا جرير انت من ابنا المهاجرين الاولين قال لا قال افمن
ابنا الانصار قال لا قال افمن اولاد التابعين باحسان قال لا قال
افمن فقرا المسلمين فنجريك على ما يجري عليه الفقرا قال تدري فوق
ذلك قال فانت ابن سبيل فنعينك على سفرك قال وندري فوق ذلك فقال
يا جرير ما ادري لك بين الدين حقا فولى جرير فقال عون يا امير المومنين
ان الخلفا كانت تعود الاحسان وان مثل لسانه يتقى فقال عمر ردوه

فرد فقال يا جرير ان عندي من مالي عشرين دينارا واربعة اثواب
فواسيتك ذلك فقال بل نوفر يا امير المومنين ونحمد فلما خرج تلقاه الناس
فقالوا اما وراك قال خرجت من عند رجل يعطي الفقرا ويمنع الشعرا
واني له لحامد ولم يذكر بسوء ورثاه حين مات وقال البلاذري
كتب عدي بن ارطاه الى عمر يستاذنه في عذاب قوم من عمال الخراج امتنعوا
من اداء ما عليهم فكتب اليه اما بعد فالعجب كل العجب من استيذانك
اياي في عذاب البشر كاني جنة لك من عذاب الله او كان رضاي
ينجيك من سخط الله فمن اعطاك ما قبله عفوا فاقبله منه ومن قامت
عليه البينه فخذ بما ثبت بالبينه عليه ومن انكر فاستحلفه فوالله لان
تلقوا الله بخياناتهم احب الي من ان القاه بعذابهم والسلام وقال قال
كاتبه اسمعيل بن ابي حكيم ما كنت قط في اكثر من شبر حتى خرج من
الدنيا ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك في مرضه التي مات فيها فقال
الا توصي بمعروف يا امير المومنين قال بم اوصي والله ليس لي مال فقال
مسلمة هذه مايه الف فمر فيها بما احببت فقال اوتفعل فقال نعم قال
ترد على من احدث منه ظلما فبكا مسلمه وقال رحمك الله لقد النت منا
قلوبا قاسيه وابقيت لنا في الصالحين ذكرا

دوله يزيد بن عبد الملك بن مروان ابي خالد

عريق

عريق في العظام البالية حقيق بالملك ابواه مروان ومعاويه بايعه
بالعهد اخوه سليمان وقد كان هم بهذا ابوه عبد الملك بن مروان
وقال سليمان اذ عهد اليه بعد عمر بن عبد العزيز لولا اني اخاف بني مروان
ووقوع الفتنه ما وليت يزيد ولاقتصرت على عمر بن عبد العزيز وقال
عمر حين احتضر لو اخترت للامة غير يزيد كان ذلك اولي ولكني اخاف
ان اخرجها من بني عبد الملك ان تقع فتنة وفرقه وانا اولي سليمان
ما تولي والمسلمون اولي بالنظر في امرهم وهو اول من غالى بالقيان
وغالى في تشييد هذا البنيان وما تبع هواه عن سننه ولا قطع
في غير مناه او نهاه ولا انسه وانعكف على اللهو والطرب والزهو
بحرابد العرب ولبث مدة ملكه بين النسا يجر ذيول الغانيات
ويسير بهن بابيات ودابيات عشق سلامه وحبابه وطفق على
المدامه والصبابه فظل يرتشف ثغر قدح او جاريه لا يطيق سنح
ولا جاريه كان العرب ليبسوا ابابابه او بالعرب ليبسوا على اباييه
وعمد يزيد الى كلما صنعه عمر بن عبد العزيز مما لا يوافق رايه
ولا يطابق تنكبيه عن الحق ولا بيه فرده الى ما كان عليه قبل عمر
وعده من احسان ما امر ولم يخف فيه اثما في دنيا ولا اخره ولا ظلما
نبع به او ابله واستلحق او اجزم اصرارا على الحنث العظيم واغترارا بالله

الحليم هذا وهو كريم يعفى على منحه ويعفي صنايع السحاب

باغضاب خلجه وله فنون ما اخلق ابهما كه على الطرب بردها ولا اخلف

عهدها لما خلق في عنصره القرشي طباعا واطبق على جوهره الاموي

سجاعا حكي المدايني عن محمد بن خلد قال كان لسعيد بن خالد بن عبد

الله بن خالد بن اسيد قصر حيال قصر يزيد بن عبد الملك فكان يزيد

اذا ركب الى الجمعة تواقفا الى موضع واحد فقال له يزيد في بعض الجمع

ما اراك تخل في جمعه واحده فقال له سعيد ان قصري حيال قصرك

فاذا ركبت ركبت فتلاقينا في هذا الموضع فقال يزيد فان لي اليك

حاجه قال اذا لا تردعنها امير المومنين قال تهبني قصرك قال هو لك

يا امير المومنين قال يزيد فلك به خمس حوايج قال سعيد اولهن ان ترد

قصري علي قال نعم قد فعلت فاذكر الاربع فذكرها سعيد فقضاها له

يزيد وها انا اذكر شيا من امر وحبابه اما سلامه فكانت

لرجل من اهل الكوفه اشتراها سهيل الزهري ثم اتصلت بيزيد وكانت

تعرف بسلامة القس لانه كان يهواها صفوان بن اميه الجمحي العابد المسمي

بالقس لعبادته هوي لا يكدره اثام ولا يغيره ان هواه من نزحه علي حرام

وله فيها شعر منه

• ما بال قلبك لا يزال يهيجه ذكرى عواقب غبهن سقام •

بانت

• بانت تعللنا ونحسب اننا في ذاك ايقاظ ونحن نيام •

• حتى اذا سطع الصباح لناظر فاذا وذلك بيننا احلام •

• قد كنت اعذر في السفاهه اهلها فاعجب لما تاتي به الايام •

• فاليوم اعذرهم واعلم انما سبل الضلاله والهدى اقسام •

واما حبابه فكانت تسمى العاليه كانت لرجل من الموالي ثم اشتراها

وكان بكل واحد منهما كلفا هايما لا يقبل فيهما عاذلا ولا لايما

قد قصر زمانه على نجا لستهما وبنانه على موانستهما صادف هواهما

قلبه فارغا فتمكن في سويدايه وتوطن به شغفه بهما حتى صار اكبر دابه

دوله هشام بن عبد الملك ابي العباس ملك همام

وفلك لا يطاوله ذيل ولا يسامى بعزمه لا تفرى فريه وهمه لا يقصر

عبقريه هو الاحول الحول المتوه المتول وهو احد القوم ولا لوم

لم يكن في القوم احوط منه حزما ولا احوج الى ان لا يجد عزما يما

طاوعته المقادير وتابعته لا يلوي بالمعاذير ومنه البقيه

الامويه الداخله الى الاندلس ايام السفاح الداخن لجوفها

في قصوره تحت العمد والصفاح حتى هبت ريحها ودهبت نجمها وانما كانت

بقيه من سعادته ردت على الاعقاب وردت ملابس الملك الجدد

للاعقاب حتى توقد جمرهم الخامد وجرى نهرهم الجامد

وكان هشام فحل بني مروان عزمة لا يفت في عضدها وهمة لا يفوت حصول مقصدها ولقد كان المنصور على اتساع علمه

واجماع الناس على حزمه يعظم شان هشام اذا ذكره واذا ذكر في مجلسه شكره ولا يكشف العوايد الا من دواوينه ونوقا بضبطه

ووثوقا في امور الملك على شرطه وجمع هشام من الاموال ما طاول جدر الخزاين اعتلاء واخرج صدور البيوت امتلاء واحوج الشمس

ان لا يظهر له اختلا الا انه كان مفرطا في البخل لو يجل ان له شبيها في ضنانته لم نخل كانت يده مغلوله ومده كلها لا يرى له فيها صره

محلوله ما عرفت انامله يوما بسطا ولا نابله مكانا اليه يتخطى الا ان رايه كان يصيب المقاتل ويصيد المخاتل بتوفيق ما خانه مذ عاهده ولا

حل رايه باسه مذ عاقده فما حال حايل بينه وبين من عانده ولا حول حتى راجع ما اراد وكان خلفا بني العباس تو امر دواوينه

وتداوم قوانينه وتوقا حزمه الذي لم يكن فيه مطمع وعزمه الذي ما راه السيف الا اوى اليه بالسجود وانحنى ليركع قال

البلاذري كنيته ابو الوليد وكان احول بخيلا وامه ام هشام بنت الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ويقال عايشه

بنت هشام ويقال مريم بنت هشام وكانت امه حمقا وكانت

تنثني

تنثني الوسائد ثم تركبها وتزجرها وطلقها عبد الملك وسار الى مصعب وهي حامل فلما قتله بلغه مولد هشام فسماه منصورا تفا ولا

بذلك وسمته امه هشاما باسم ابيها وولد هشام بن عبد الملك عام قتل مصعب سنه اثنين وسبعين وانته الخلافه وهو بالزيتونه

ومات بالرصافة التي بقرب الرقه في شهر ربيع الاخر لست خلون منه سنه خمس وعشرين ومايه وصلى عليه ابنه مسلمه وكانت خلافته

عشرين سنه الا خمسة اشهر ومات ليلة الاربعا لسبع خلون من شهر ربيع الاول سنه خمس وعشرين ومايه وهو ابن ثلث وخمسين سنه

قال المدايني لما خلع يزيد بن المهلب وجه اليه يزيد بن عبد الملك مسلمه بن عبد الملك والعباس بن الوليد بن عبد الملك وقال امير الجيش

مسلمه فان حدث به حدث فالعباس بن الوليد فقال الوليد العباس يا امير المومنين ان اهل العراق قوم غدر كثير ارجافهم وانت توجهني

محاربا والاحداث تحدث ولا امن ان يرجف اهل العراق ويقولوا مات امير المومنين ولم يعهد فيفت ذلك في اعضاد اهل الشام ويدخلهم

له الوهن والفشل فلو بايعت لعبد العزيز بن الوليد قال غدا ان شا الله وبلغ مسلمه ذلك فدخل على يزيد فقال يا امير المومنين اوولد عبد الملك

احب اليك ام ولد الوليد قال ولد عبد الملك اخوتي واحب الي قال افابن

اخيك احق بالخلافة من اخيك قال لا قال اتبايع لعبد العزيز
قال لا غدا ابايع لهشام اخي وبعده للوليد ابني وبلغ عبد العزيز
قوله واتاه مؤمل له وهو لا يعرف الخبر فقال له يا ابا الاصبع غدا
ابايع لك فقال عبد العزيز هيهات افسد ذلك علينا مسلمه ونقضه فلما
كان الغد بايع لهشام ومن بعده لابنه الوليد بن يزيد فكان يزيد
اذا نظر الى الوليد قال الله بيني وبين من جعل هشاما بيني وبينك
وقال المدايني كتب سليمان بن هشام الى ابيه ان بغلتي
عجزت عني فان راى امير المومنين ان يامر لي بدابه فكتب اليه قد فهم
امير المومنين كتابك وقد ظن امير المومنين ان عجز بغلتك عنك من قلة
تعهدك لها وان علفها يضيع فتعهد دابتك وقم عليها وسيرى
امير المومنين رايه في حملانك ان شاء الله والسلام وقال
كتب بعض عمال هشام اليه قد بعثت الى امير المومنين بسلة فيها
دراقن يعني الخوخ فليكتب الي بوصولها فكتب اليه قد بلغ امير المومنين
كتابك ووصل اليه الدراقن واعجبه فزد امير المومنين منه واستوثق
من الوعا الذي توعيه اياه والسلام قال وكتب الى بعضهم
قد اتت امير المومنين الكماه التي بعثت بها اليه وهي خمسون وقد تغير
بعضها ولم يوت ذلك الا من قبل حشوها فاذا بعثت الى امير المومنين

ابتي

يبتني من الكماه فاجد الحشو في ظرفه بالرمل حتى لا يضطرب ولا يصيب
بعضها بعضا إن شاء الله قال وقال الابرش وهو سعيد بن الوليد
بن عبد عمرو لهشام وكان جليسه وانيسه يا امير المومنين لو بنا ذب
رجل في عرض الناس يا مفلس فسمع رجل من جلسايك يداه ما ظن انه عني عنه
ودخل ابو النجم العجلي على هشام فقال له كيف رايك في النسا
قال ما لي عندهن خير ولا لهن عندي خير فقال ما ظنك يا امير المومنين
قال مثل ظني بنفسي فبعث هشام الى جواريه فاخبرهن بما قال
ابو النجم فقلن كذب عدو الله ما منا جاريه تصلي صلاه حتى تغتسل
فوهب لابي النجم جاريه منهن ثم ساله عما صنع فانشده

نظرت فاعجبها الذي في درعها من حسنه ونظرت في سرباليا
فرات لها كفلا ينو بخصرها ثقلا وارخم في المجسة رابيا
ورات منتشر العجان مقلصا رخوا حمايله وجلدا باليا
ادني له الركب الحليق كانما ادني اليه عقاربا وافاعيا

وهم هشام ان يكتب الى عامله على المدينة باشخاص اشعب الطامع
اليه فقال له الابرش اتحدث الناس بانك كتبت الى عاملك على مدينة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاشخص منها مضحكا للتلهي به فقال امسكوا امسكوا
فانها وصمه عظيمه ثم قال مسا زعموا انه لم يقط بينها عزه وتقال انه تمثل به

اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى الى بعض ما فيه عليك مقال

قال المدايني راى عبد الملك بن مروان في منامه كان ابنه هشام بن اسمعيل فلقت راسه فطلعت منه عشرين لطعه فهمه ذلك فارسل الى سعيد بن المسيب من قصها عليه فقال سعيد تلد غلاما يملك عشرين سنة فولدت هشاما قال المدايني كان هشام يتكلم بكلمات في العيدين في خطبة لا يقولهن في غيرهما هذين اليومين ثم خطب بعد ذلك الحمد لله الذي ما شاء صنع وما شا اعطى وما شا منع ومن شا خفض ومن شا رفع ومن شاء ضر ومن شاء نفع وقال المدايني وعليه قال مسلمة بن عبد الملك لهشام وتلاحيا في شي كيف ترجوا الخلافة وانت جبان بخيل فقال لاني عفيف حليم وتلاحيا في شي كيف وقال المدايني كان المنصور يذكر هشاما فيقول كان رجل القوم قال وبعث هشام الى ابي حازم الأعرج فأبطا عليه ثم اتاه فقال ما منعك من اتياني قال والله لولا مخافة شرك ما اتيتك قال ما ترى في انفاق هذا المال قال ان اخذته من حله ووضعته في حقه سلمت والا فهو ما نعلم قال وكان هشام اذا حدث قال القوا عني مونة التحفظ قال وكان المنصور اذا ذكر بني مروان يقول اما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي ما اقدم

عليه

عليه واما الوليد فكان مجنونا واما سليمن فكان همه بطنه وفرجه واما عمر بن عبد العزيز فكان اعور بين عميان ورجل القوم هشام قالوا وكان الجعد بن درهم مودب مروان بن محمد ومعلمه وكان دهريا ويقال كان معتزليا شهد عليه ميمون بن مهران وعده شهدوا عند هشام على الجعد بن درهم بالكفر وطلبه هشام فهرب الى حران ثم انه ظفر به فحمل الى هشام فاخرجه من الشام الى العراق وكتب الى خالد بن عبد الله القسري وهو عامله على العراق بان يحبسه فلم يزل محبوسا حينا ثم امراته رفعت الى هشام في امره تعلمه بطول حبسه وسوء حال عياله فقال اوحي هو وكتب الى خالد في قتله فقال خالد في يوم اضحى ايها الناس انصرفوا الى اضاحيكم فاني مضح بجعد والله الجعد بن درهم قالوا وكان غيلان يقول كلمت جعدا فوجدته معطلا قال المدايني وكان عقال بن شبة يقول دخلت على هشام فدخلت على رجل محشو عقلا قال البلاذري بعث يوسف بن عمر الى هشام بياقوتة حمرا يخرج طرفاها من الكف وحبة لولوء من اعظم ما يكون من الحب قال الرسول فدخلت على هشام قد دنوت منه فلم ار وجهه من السرير وكثرة الفرش فلما تناول الحجر والحبة قال كنت معك بوزنهما قلت يا امير المومنين

هما اجل من ان يكتب يوزنهما ومن ابن يوجد مثلهما قال صدقت وكانت
الياقوتة لرابعة جارية خالد بن عبد الله القسري اشتراها بثلثة
وسبعين الف دينار **ومات** هشام بالذبحة فروى عن
سالم ابي العلا انه قال خرج علينا هشام يوما وهو كئيب يعرف
ذاك فيه مسترخي الثياب قد ارخى عنان دابته فقال ادعوا الابرش
فدعي فسار بيني وبين الابرش فقال الابرش يا امير المومنين لقد رايت
منك ما غمني قال ويحك يا ابرش وكيف لا اغتم وقد زعم اهل العلم اني ميت
الى ثلثة وثلثين يوما قال الابرش فلما انصرفت الى منزلي كتبت زعم
امير المومنين انه يسافر يوم كذا فلما كانت ليلة اليوم الذي كمل
الثلثة والثلثين اتاني رسول هشام فقال اجب واحمل معك دوا الذبحة
وقد كانت الذبحة عرضت له مرة فتداوى بذلك الدوا فانتفع به قال
فاتيته ومعي الدوا فتغرغر به فازداد الوجع شدة ثم سكن فقال قد
سكن بعض السكون فانصرف الى اهلك وخلف الدوا عندي فما استقررت
في منزلي حتى سمعت الصراخ فقالوا مات امير المومنين فلما مات اغلق
الخزان الابواب فطلبوا قمقما يسخن فيه ماء لغسله فما وجدوه
حتى استعاروا قمقما وكان الوليد شخص عن الرصافة لكثرة عبث هشام
به وحلف عياض بن مسلم مولى عبد الملك بن مروان وهو كاتبه بالرصافة

وامره

وامره ان يكتب اليه بالاخبار فغضب عليه هشام فضربه وحبسه
وافاق هشام افاقة فطلب شيئا فمنعه فقال اري انا كنا
خزانا للوليد ثم مات من ساعته فخرج عياض من الحبس وختم ابواب
الخزائن وامر بهشام فانزل عن فرشه وحارها فما وجد له كفن حتى
كفنه غالب مولى هشام فتبا لدنيا متاعها قليل وعزيزها ذليل
بينما المرء خليفة اذا به جيفة **ومن** كلام هشام اثنان معجلان
النصب ولعلهما ان لا يظفر بالبغية الحريص في حرصه ومعلم البليد
ما لا يبلغه فهمه **دولة الوليد بن يزيد بن عبد الملك**
الجبار العنيد لقى اعداه ولقا سلكه فما هداه حقيقة تمجها وطريقة
نجها يزعون ذلك العصر الذاهب والدهر المملو بالمعايب بانه يوم
القيمة يقدم قومه فيوردهم النار وبرديهم العار فبيس الورد المورود
والبرد المردي في ذلك الموقف المشهود رشق المصحف بالسهام وفسق
ولم يخف الاثام ولكن وهو يدعي بالامام ويسعى بما لم يحل الله ولا
الانام وامر لجارية وطيها لتصلي بالناس في زي غلام ورضيها
استخفافا منه بذلك المقام لكنه كان فتى من فتيان قريش برياح للندى
ويلتاح فخرا اذا ابدا لم يكن في بني مروان افخم منه وسامة ولا
افخر منه اذا لبس العمامة يعطي الالاف الالاف ولا يبالي في التلاف

جودًا خلق من عنصره وخلق وهو نطفه من عنبره استنشد طوايف
الشعرا واجازهم واستقدم اهل الغنا ليكمل بهم مجلسه وما غازهم
وما يسمع بغناءه ذات جمال الا هام بها وهان عليه ما يبذل بسببها
لافراطه وولوعه بالقيان ونزوعه الى المشاهدة لهن والعيان هوي
سلمى وسعدى ونمى بهما اسمهما ووجدا خطبهما في آل عثمان احسن كلف
بكل واحدة منهما كلفًا اشهب حلبه وشغف شغفا سلب من صدره
قلبه حتى كانت المنيه مبينه وتلك البنيه التي صح في عدانها بنيه
وحب عليه الدار ولحت عداته في طلبه بالدمار فلما علم ان الموت
قد ابرز له من حب الضلوع دفاينه وانشب به من مدى الاعدا براثنه
تاب حين لا متاب واعتب حين لا ينفع الاعتاب ولا يسمع العتاب
واخذ المصحف وقعد يقرا القران ويبدر الحد بالتظاهر بالايمان
ويعد عن نفسه حين لا ينفع نفسًا ايمانها ولا يكفر سيئات احسانها
ظنا انه نفيه الايمان ويقول يوم كيوم عثمان وهيهات وقد حضرت
المنيه ونظرت الى مواضعها في بيوتها الرذيه ولصحت على وريده
رشاش البليه وانما عوقب بحق واضح وحوب فاضح انتهك حرمه
الاسلام فاخذ تلك الاخذة الرابيه وحكي ابن الاثير ان الوليد
هذا قال الغناء يزيد في الشهوه ويهدم المروه وينوب عن الخمر ويفعل

ما لا يفعل السكر فان كنتم ولا بد فاعلين فجنبوه النسا فان الغنا رقيه الزنا
واني لاقول ذلك على انه احب اليّ من كل لذة واشهى الى نفسي من الماء الى ذي
الغله ولكن الحق احق ان يتبع حكي البلاذري قال وكانت عند
ابنه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان فزارتها اختها سلمى بنت سعيد
وكانت من احسن الناس وجها فبصر بها الوليد فاعجبته وذلك قبل الخلافه
فطلق اختها ثم خطبها الى ابيها فامتنع عليه وقال انما تريد مني ان اتخذك
محللا لبناتي فكان يهجوه ثم ما زال يسكو خبرها حتى افتضح وفيها يقول

• تذكر شجو القلب القريح فدمع العين منهمل سفوح •
• الا طرقتك بالبلقاء سلمى هدوًا فالمطي بنا جنوح •
• فبت بها قرير العين حتى تكلم ناطق الصبح الفصيح •

وبلغه ان هشاما همّ بخلعه واحتيال اصله وقلعه فقال

• خذوا ملككم لا ثبت الله ملككم ثباتا يساوي ما حييت قبالا •
• دعوا لي سليمى والطلا وقينة وكاسًا الا حسبي بذلك مالا •
• ابا الملك ارجوا ان اعمر فيكم الا رب ملك قد ازيل فزالا •
• اذا ما صفى عيشي برملة عالج وعانقت سلمى لا اريد بدالا •

قالوا ولما ولي الخلافه بعث الى سعيد بن خالد فقسره على ان زوجه
بسلمى ابنته فلما حملت اليه من المدينه اعتلت في الطريق وماتت ليلة

ادخلت عليه ولم يزل على هذا حتى وثبت اليمانية فقتلوه وبايعوا يزيد
ابن الوليد بن عبد الملك وكان على مما ناله مدمن جدال ونديم رجال
لا ينقطع باحتجاج ولا يقنع بما دون الحجاج قال له هشام يوما كالعاتب
يعيره بمداومة اللذات على شربه ما شرابك يا ابا العباس قال شرابك
يا امير المومنين وقام مغضبا فقال هشام اهذا الذي تزعمون انه احمق
ما هو والله باحمق ولكني اظنه على غير المله ومن حديث المدايني قال
دخل الوليد يوما مجلس هشام ثم اقبل هشام فكاد الوليد يتزحزح
له عن صدر المجلس فزحل قليلا وجلس هشام فقال كيف انت يا وليد
قال صالح قال ما فعلت برابطك قال معلمه قال فكيف ندماوك قال
لعنهم الله ان كانوا اشرا من جلسائك فغضب هشام وقال اوجاوا عنقه
فلم يفعلوا ودفعوه دفعا رفيقا فقال الوليد

• انا الوليد ابو العباس قد علمت عليا معد مدى دكرى واقدامي •
• اكون في الدروة العليا ان ينسبوا مقابلا بين اخوالي واعمامي •

وقال

• انا ابن ابي العاصي وعثمان والدي ومروان جدي دو الفعال عامر •
• انا ابن عظيم القريتين وغيرها ثقيف وفهر والرجال الاكابر •
• نبي الهدى خالي ومن يك خاله نبي الهدى يعل الهمي في المفاخر •

ولما

فلما ان ادمن هشام به ونظر الى ما يغشاه من قطيعته وسبه
كتب اليه

• رايتك تبني جاهدا في قطيعتي فلو كنت دا عقل لهدمت ما تبني •
• ستترك للباقين من بعد صنعة وويل لهم ان مت من شر ما تجني •

وقال الهيثم بن عدي كان الوليد يسمى البيطار لانه
كان يصيد الحمر الوحشية فيسمها بالوليد ثم يخليها فوجدت في ايام
السفاح والمنصور موسومة باسمه وكان يحب دخول الكوفة والحيرة
فخرج كالمتبدي يريد الكوفة فنادمه شراعة ومطيع بن اياس
وحماد الراوية وحماد عجرد وال عبد الله بن مطيع وكان ممن سمع
بها فاعجبه غنا قينتين لعبد الله بن هلال الهجري المعروف بصديق
ابليس فقال

• يا اهل ما نقمت عليكم من عيشكم الا ثلث خلال •
• حمر الفرات وليل قطر بارد وسماع قينتين لابن هلال •

وروى البلادري عن اسحق بن محمد قال دخلت على منصور بن جمهور وعنده
جاريتان من جواري الوليد فقال اسمع ما تحدثانك به فقالتا كنا
نرجوا ربه عنده فواطي هذه وجا المودن يودنه بالصلاة فاخرجها
وهي جنب متلثمة فصلت بالناس وحكى ان نقش خاتمه كان اومن بالله

مخلصا وانه كان يقول عقيب كل حرب استغفر الله قال
البلاذري كان الوليد شديد البطش طويل اصابع اليدين والرجلين
توتد له سكة الحديد وفيها خيط ويشد الخيط في رجله ويؤتى
بالدابة فيثب عليها فينزع السكة ويركب ما يمس الدابة بيده
وروى مسلمة بن محارب ان ايوب السختياني قال حين بلغه مقتل
الوليد ليتهم تركوا لنا خليفتنا فلم يقتلوه قلت وانما قال
ذلك خوفا من الفتنة وقال المهدي يوما وقد ذكر الوليد
رحمه الله ولا رحم قاتله فانه قد كان اماما مجمعا عليه فقيل له
ان الوليد كان زنديقا فقال ان خلافة الله الله اعز واجل من ان يوليها
من لا يؤمن به قلت ولئن صح ان المهدي قال هذا مع سواري
القوم في اخبار بني امية كيف في سرارهم فانما قاله اقامة لحرمة
الخلافة ان تنتهك وللوليد

وأقسم ما ادنيت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
واعلم اني لم تصبني مصيبة من الدهر الا قد اصابت فتى قبلي

دولة يزيد بن الوليد بن عبد الملك ابي خالد

وكان اقبل وامه شاهفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار

مقابل في الملك بين ابيه وامه وعربه وعجمه بطرف بالحياء يعني
ونسك وخلافة وملك تجاذبه طرفا شرف حل فيهما وما حل في
طرف وكان يلقب بالناقص لانه نقص في العطا وغصص على البعدا
والخلطا وما اراد الا مناقضة الوليد ومعارضة سفاهه
بالراي السديد فاداه فعله الى خلاف ما يريد وعداه الغرض
في الاقتصاد الى التشديد فكره على عظيم شرفيه وكونه مخارج
المنتقيين من طرفيه وما كان موسوما به من الجمال الفائق
ومعلوما منه من الكمال اللائق ومعروفا به من النسك والتاله
وموصوفا به من التخلق باخلاق السلف الاول والتشبه وافراطه
في التواضع به حتى كانه ما امتاز عن الناس ولا حاز ما يشمخ
بدونه الراس على انه تذكر يوما سلفه فذكر شرفه فقال

انا ابن كسرى وابي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

قلت وانما جعل قيصر وخاقان جديه لان ام فيروز بن يزدجرد
ابن كسرى شيرويه ام ابيه وامها ابنة قيصر وام شيرويه
ابنة خاقان ملك الترك ذكره ابن الاثير وكان ابوه الوليد بن عبد
الملك بن عبد الملك يذكر ولده فيقول عبد العزيز سيدهم والعباس
افرسهم ويزيد انسكهم وروح عالمهم وعمر فحلهم وبشر فتاهم

ولقي يزيد الوليد ايوب السختياني في السنة التي حج فيها تكتب
عنه وكان كثير الصلاه طول الليل وقال بن الاثير عنه قيل انه
كان قدريا وكان اسمر طويلا صغير الراس وقال انه اول من خرج
بالسلاح يوم العيد خرج بين صفين عليهم السلاح وقال وكان
اخر ما تكلم به يعني عند موته واحسرتاه واسفاه وكان
نقش خاتمه العظمه لله **ولما** ولي الخلافه عاتبته امراته
هند الكلبيه التي تدعي بنت الحضرميه فقالت اوسع علينا فقال
لها لقد فسدت علي فيمن فسد اما لو علمت انكم تميلون الى الدنيا هذا
الميل لكان ان اخر من السما الى الارض احب الي من ان انلبس مما تلبست
به ومالك في هذا المال الا ما لسودا او حمرا من المسلمين ولكن
اني بداي فجان سحق فقالت لها هذه ثياب كنت اشتريتها فشانك
فخذيها فانه لا حاجه لي اليوم فيها فاما مال المسلمين فلا حق لي
ولا لك فيه الا مثل ما للمسلمين **ولما** ولي خطب الناس فقال
ايها الناس اني والله ما خرجت بطرا ولا حرصا على الدنيا
ولا رغبة في الملك وما اقول هذا اطراء لنفسي اني لظلوم
لها ان لم يرحمني ربي ولكن خرجت غضبا لله ولدينه وداعيا
الى الله وكتابه وسنه نبيه لما هدمت معالم الدين وعفا اثر

الحق

الحق واطفي نور الهدي وظهر الجبار العنيد المستحل لكل حرمه
الراكب لكل بدعه مع انه والله ما كان يصدق بالكتاب
ولا يومن بيوم الحساب وانه لابن عمي في النسب وكفي بالحسب
فلما رايت ذلك استخرت الله في امره حتى اراح الله منه بحول الله
وقوته لا بحولي وقوتي ايها الناس ان لكم ان لا اضع حجرا علي
حجر ولا لبنه علي لبنه ولا اكري نهرا ولا ابني قصرا ولا اكنز
مالا ولا اورثه زوجه ولا ولدا ولا انقل مالا من بلد الى بلد
حتي اسد ثغره وخصاصه اهله بما يغنيهم فان فضل فضل نقلته الي
البلد الذي يليه ممن هو اليه احوج وعليكم ان لا اغلق بابي دونكم
فياكل قويكم ضعيفكم ولا احمل علي اهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادكم
وعندي ادرار عطيانكم في كل سنه وارزاقكم في كل شهر حتي تستدر
المعيشه بين المسلمين فيكون اقصاهم كادناهم فان انا وفيت لكم
بما قلت فعليكم السمع والطاعه وحسن الموازره وان انا لم افعل فلكم
ان تخلعوني ثم **لما** مات يزيد بن الوليد الناقص السوف
وكثرت الخوارج ودعا كل الى نفسه **ذكر دوله ابرهيم بن الوليد**
بن عبد الملك ابي اسحق وكان مغلبا لا يغلب ومضعفا لا يرعب
ولا يرهب عدما في ذي وجود ومعدما مثل ذي مال وجنود

وجنوده بايعه الناس لما ولي اخوه يزيد بالعهد بعده وعقدوا له
عقده وما احكموا شده فلما مات يزيد حدث له بيعة ما تمت وجرت
له قلوب ما حصت موالاتها ولا عمت وكان بدمشق ما نفذ له امر وراء سورها
بل ولا جار فناء دورها وكان يخاطب تارة بالخلافة وتارة بالامارة
وهو كالبعير لا عير لديه ولا نكير ولا ردح طرير ولا سبقت شهير ولا
اتباع مامور ولا متابعة امير وقد كان حين وثب اخوه على الوليد حصاه
لا يستقلنها ضرس ماضغ وموماة لا يستهونها نفس بادع لكنه من بعوائق
الخذلان وردي سوابق الخلان خذله اصحابه وهزله اربابه فما هم
بأمر فقدر عليه ولا فقر سواه حتى وصل اليه ولم تكن متابعته
الا سفوة طبع بطارحها وهفوة ضربت عنقه باسياف مطامعها
ودام ملك بني امية على هذا الهوان حتى ملك مروان فدفع بالسيف
هذا العار ونزع ما حلهم من شبة هذا الردا المعار وقال
البلاذري قالوا بويع ابرهيم وهو المخلوع وامه ام ولد بالخلافة
في اول سنة سبع وعشرين ومائة بعد موت اخيه يزيد الناقص
وكان نقش خاتمه ابرهيم يثق بالله وكان مروان بن محمد بن مروان
حين قتل الوليد قدم الجزيرة فدعا الى نفسه سرًا وسمى الوليد
الخليفة المظلوم واظهر انه يطلب بدمه وقال انما قتله قدرية غيلانية

فبايعه

فبايعه خلق من اهل الجزيرة ثم اظهر امره بعد بيعة ابرهيم بنحو
شهر بحران وقال امري يشبه بامر معوية حين طلب بدم الخليفة
المظلوم عثمان ثم انه سار باهل الجزيرة وقنسرين وحمص يريد
ابرهيم وبعث الى الناس ان انهضوا لمحاربة هذا القدري اخي القدري
الغيلاني المبين لامور الناس بالبدعة والضلالة فان جهاده واجب
على كل مسلم فقد كنت على مجاهدة اخيه فسبقني به اجله فوجه اليه
ابرهيم اخويه بشرا ومسرورا ابني الوليد فاسرهما وفض عسكرهما
فوجه اليه ابرهيم سليمان بن هشام بن عبد الملك في خيول اهل
دمشق فالتقيا بعين الجر من البقاع من عمل بعلبك في صفر سنة سبع
وعشرين فتناوشوا يومهم ثم بكروا على الحرب فاقتتلوا اشد قتال
فانهزم سليمان ومن معه فلحق بابرهيم وكتب مروان الى وجوه اهل
دمشق يعلمهم ان الذين بايعوا يزيد الناقص شرارهم ورعاعهم
وعوامهم ودعاهم الى الطاعة ووعدهم ومناهم على الوفا والاحسان
فانفضوا على ابرهيم ونزل مروان بن محمد الغوطة فخرج اليه خلق
فبايعوه فلما راى ذلك عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك
ويزيد بن خالد بن عبد الله القسري احدا عثمان والحكم ابني الوليد
فقتلاهما في محبسهما وخافا ان يتخلصا وكان الناس يقولون يا معشر

العتيان ابن الحكم وعثمان • وقال الشاعر حين اقبل مروان

• اتاك مروان شبيه مروان بحر جليشا غضبا للرحمن •

• سعلب الغلبا وقيس عيلان • وهن امر ابرهيم واستخفى

ثم اخذ له الامان وظهر فكان مع مروان في طاعته ولم يزل حيا

حتى قتله عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس مع من قتل من بني

اميه وكانت ايام ابرهيم اربعة اشهر ويقال ثلثه اشهر وبعضهم

يقول اربعين يوما ولما دخل مروان دمشق طلب عبد العزيز

بن الحجاج ويزيد بن خالد القسري فظفر بهما فقتلهما بعثمان

والحكم وصلبهما على باب الجابيه او باب الفراديس

دوله مروان بن محمد بن مروان ابي عبد الملك

المنبوز بالجعدي وبالحمار اما قولهم الجعدي فنسبه الى الجعد

ابن الدرهم لانه كان على مثل رايه المبهم واما قولهم الحمار فقيل

لشده في الحرب تشبيها بحمار الوحش اذا كان احمى جام لسربه

وحام عن مزاحمه العرايب له في شربه وكان مروان بن محمد

رجل الدهر الا انه خانه وبطل الكتيبه الا ان الحظ ما اعانه

كان بالجزيره ورعى كلاها وهو باطراف الاسنه وبيل وحمى

ملاها وما لمدارج الرياح اليها سبيل ثم كان بارمينيه يشد

ثغرها

ثغرها وهو يحميه ويستبد امرها وهو يهدمه ثم آب الى دمشق

وفي ظنه لم شعثها وسرم منتكثها حين تفرقت بها الآراء المجتمعه

وتمزقت الامراء في طلب الدعه وقوي هيج الدعايا للدعاع وموج

الثعالب الحقيره لاكل السباع وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره

شكره وقال هو فحل القوم وانما غلبناه بالجد لا بالجد وكان

عبد الملك ابن صالح رجل بني العباس امه ام ولد كانت لمروان

بن محمد ثم صارت الى صالح بن علي فولدت له عبد الملك ويقال انها

حملت به من مروان وولدته على فراش صالح فلما كان من نوهم

الرشيد منه ما كان قال له يوما كالمعبر له انت لمروان لست لصالح

فقال لا ابالي لاي الفحلين كنت فلما غاب عنه قال الرشيد لعمري

انه لا يبالي لايهما كان وقدم مروان دمشق وقد تصرمت سنها

وتضررت بحمل الحقود احبها فهدا به اضطرابها وتالفت به

بنو اميه وبدا افترابها ولكن بعد دثارها وداماتها ساوى بالفتلى

مطلها فلما ظن ان السيف له قد وح والمعير عليه قد نوخ واطمان

به وساده القلق وعفا بالمساله عن جفنه الارق ثارت عليه

من خراسان تلك الثايره وانقلبت عليه تلك الدايره واظلت

عليه الرايات العباسيه ليالي تطلع بدورا ولم تشبيه تلالا لابها

نورا فنراكم بسواد الشعار العباسي المسبل وادبر بياض العلم
المرواني في النهار لاقبال الليل **قال** البلادري ام
مرون كرديه اخذها ابوه من عسكر ابن الاشتر وكان مرون
يغبلا وبويع لاربع عشرة ليلة خلت من صفر سنه سبع وعشرين ومايه
وكان ابيض احمر ازرق اهدل الشفه لا خصب ولم يكن بالداهب
طولا وكنت اذا استدبرته ظننت ان على كتفيه رجلين جالسين
واسع الصدر وكان يقول اللهم لا تبلني بطلب ما لم تجعل لي فيه
رزقا وكان يقول في خطبته اللهم انك اعلم بو لينا وعدونا منا
فكن لنا وليا وحافظا وكان غيورا وجد كتابا الى جارية له من ابنها
فقال من ادخل هذا الكتاب فقال خصي له انا رحمت امها لبكاها فقطع
يد الخصي وعرض الجند فسكوا في حليه رجل فاسقطه فقال هلا
بعين الحر حليتي لما توافي القوم في الخندق فاجاز وهو اول من حلي
الجند وفيه يقول الشاعر

• يا ايها السايل عن مروانا دونك من مرون بعسقلانا •
• لحمد ضرب القوم والعطايا حتى ترى قتلاهم الوانا •

قال البلادري لما سار مرون بجند اهل الجزيرة وبعرق
اصحاب بشر ومسرور ومن غير قتال وجه ابرهيم المخلوع سليمان بن هشام
فنزل

فنزل بعين الجر في خلق كثير فنزل مرون بدير الابرش في زهاء
سبعين الفا وبينهما ثلثه اميال وكتب مروان كتابا منه الى اهل
فلسطين اني نزلت بدير الابرش وسليمن بعين الجر وطالعت عسكره
بنفسي فرايت جمعا كثيفا وانا متوجه اليكم في طريق كذا وفرغ الكتاب
الى رجل وقال له تعرض لهم ففعل فاخذ واتي به سليمان فلما قرا الكتاب
قال انا ابو ايوب هرب مرون والله لا حولن بينه وبين ذلك وقال
مرون لابنه عبد الله اني مرتحل غدوة فاذا ارتحل سليمان من هذا
المنزل فانزله وخلفه في عصبه هناك كامنا في العين واصبح مرون
يوم الاربعا غدا متوجها في طريق العرب وخرج سليمان زعم
يبادره الى الطريق التي ذكر مرون في كتابه انه يسلكها واقبل ابن
مروان فنزل معسكره وسرح الى ابيه رسولا يعلمه ذلك فلما اعلمه الرسول
رجع وقد سار سته اميال فصار في عسكر سليمان فقال سليمان
مكر بنا مرون وانما فعل مرون ذلك لان عسكر سليمان اخصب
واحصن واكثر مياها فقاتلهم مروان وظفر بهم وقتل منهم
مقتله عظيمه يقال عشرة الاف ومضى سليمان منهزما الى دمشق فاخذ
مالها وقسمه ثم كان ما كان من انتها الامر من يد المخلوع ابرهيم الى
مروان وكان دخوله دمشق من باب الجابيه واتاه ابرهيم فخلع نفسه

ثامنه وجا سليمن بن هشام وقا منه ثم حمل مروان ما كان بدمشق من
الاموال وتحول الى الجزيره فنزل حران واقام بها ثلثه اشهر او اربعه
ثم بلغه ان ثابت بن نعيم عامله على فلسطين قد خلع فسار بريده قالوا
وكان سبب خلع ثابت بن نعيم ان عطيه بن الاسود قال

يا ثابت بن نعيم دعوة جمعت عفت اباها وعفت امها اليمن
اتارك انت مال الله ياكله غير الجزيره والاشراف تمتهن
اوقد على مصر نارا ما انه تشفي الغليل وتحيي بعدها الاحن

قلت واقبل ثابت في زها خمسين الف من لخم وجذام وغيرهم
فحصر واطبريه مدينه الاردن وبها الوليد بن معويه بن مروان
بن عبد الملك عامل مروان فسار اليه ابو الورد فلما التقوا خرج
اليهم الوليد بن معويه بن مروان عامل طبريه في اهل الاردن فهزموا
ثابتا وقتلوا اصحابه وتفرق من بقي منهم عنه ومضى ثابت الى فلسطين
واتبعه الورد وغلب على فلسطين ولحق ثابت بجبال الشراه فظفرت
به خيل لمروان قد كان وجهها مادة لابي الورد فاخذوه واتوا به
مروان وهو بدير ايوب فقتله واقلت ابنه رفاعه ثم كانت من
احوال مروان المتناقضه واموره المتعارضه وحيله فته المحلوله
المعاقد ومملكته المحاديه بايدي النوائب وجنوده المختلفه الآرا

وبنوده

وبنوده المنكسه بالخذلان ما كان حتى انبثت منه الدولة العباسيه
الجلالة قهرا بالسيف وحكي الحسن بن زيد بن فرغانه قال بلغني
ان مروان بن محمد مر على راهب وهو هارب من جيش ابي مسلم فاشرف
عليه الراهب فسلم عليه فقال له يا راهب هل عندك علم بالزمان
قال نعم عندي من تلونه الوان قال هل تبلغ الدنيا من الحران بحمله
مملوكا قال نعم قال كيف قال هل تحبها قال نعم قال فانت مملوك
قال فكيف السبيل الى العتق قال ببغضها والتخلي منها قال هذا ما لا
يكون قال له الراهب اما تخليها منك فسيكون فبادر بالهرب قبل ان
يبادرك قال هل تعرفني قال نعم انت ملك العرب مروان تقتل
في بلاد السودان وتدفن بلا اكفان ولولا ان الموت في طلبك لدللتك
على موضع هربك قلت ولمروان شعر يروى منه

وما زال يدعوني الى الصبر ما ارى فآبى ويدنيني الذي لك في صدري
سابكيك لا مستبقيا فيض عبرة ولا طالبا بالصبر عاقبة الصبر

ويقال ان نقش خاتمه كان رضيت بالله العظيم وقيل مروان
يوصيه وصار امره الى ذلك المصير على ما هو مشروح به في ترجمه
ابي العباس السفاح وكم عجلوا دمه درع ذلك الصباح ونهزيه
مروان على التراب زال عن جمهور المعمور ميسم بني مروان وطالما

افتريد ولتهم مبسم الزمان الا انها الايام لا يطمئن الى خداعها
ولا يوثق بجواري منافعها لا تبقي احدا ولا تثبت على حالة ابدا ومهما
نولت في اليوم سلبت غدا فسبحان الباقي بلا زوال ولما قتل مروان
قصد عامر بن اسمعيل الكنيسة التي فيها حرم مروان وكان
قد وكل بهن مروان خادما له وامره ان يقتلهن بعده فاخذه عامر
واخذ نساء مروان وبناته فسيرهن الى صالح بن علي فلما دخلن عليه تكلمت
ابنة مروان الكبرى فقالت يا عم امير المؤمنين حفظ الله من امرك ما يجب
ان تحفظ نحن بناتك وبنات اخيك وابن عمك فليسعنا من عفوكم ما وسعكم
من جورنا قال اذن لا استبقي منكن واحدة الم يقتل ابوك ابن اخي
ابراهيم الامام الم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وصلبه
في الكوفة الم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد وصلبه بخراسان الم
يقتل زياد الدعي مسلم بن عقيل الم يقتل يزيد بن معاوية الحسين
بن علي الم يخرج اليه بحرم رسول الله سبايا فوقفهن موقف السبي الم يحمل
اليه راس الحسين تقرع دماغه فما الذي يحملني على الابقاء عليكن قالت
فليسعنا عفوكم قال اما هذا فنعم وان احببت زوجتك ابني الفضل
قالت واي حين عرس هذا بل تلحقنا بحران فحملهن اليها مكرما فلما
دخلنها رأين منازل وسهام البكاء والبكاء لا يرد الفائت ولا ينفع العليل

قال

فان للدنيا ونبا الخدع الغرور مرت ببني مروان وسفت ملك ال
ابي سفيان وحصدت دماء عثمان وفعلت ببني امية ما فعلت وتفعل
بسائر ابناء الزمان واذا انتهينا الى اخر دولتهم التي لم يبق
لهم بعدها الا ما رفت لهم به بارقة الاندلس فنقول وبالله التوفيق

ثمرات الدولة الأموية بالأندلس

نفض حدها وهو عاثر ونظم عقدها وهو متناثر واحيا حلل
الرماد لها وقبض جمر واطل لها نهوض امر وذلك بدخول
عبد الرحمن بن عبد الله بن هشام الى الاندلس مصمما كالمسير في العصب
مهما رقى ذلك الهضب بهمة لو قذف بها البحر لما عب زاخره او الفلك
الاعلى لما دارت دوائره ووجد بالافق الغربي من مواليه وممن مر
النسب العربي من نوائبه من صدم بهم صدور الخيل الشزب حتى اذا صدور
الرجال الغرب واجتلى النصر ببرق اسنته وحدق مسرته وتعبق
باطراف الاسنة رياحينه وتعلق باعطاف الاعنة بسابسه واقتطع
من المعمورة ذلك الاقليم الجليل وصير له دار خلافة طالب ذوائبها
وصالت كتائبها ودان له اهل تلك الجهة ودلت له مناكبها وطلت تقدم
له منابرها وتعلن باسمه خاطبها خلافة ابتزها من بني العباس
قهرا بالايد وقسرا بالكيد ونصرا لم يجنح الى سلم ولم يجنح الى عمرو

ولا الى زبد اخذها غضبا من افواههم الفاغره ونهبا من
ايديهم واعناقهم صاغره بجرائم ما فلت السيوف ضرائبها
ولا ملت السيول غلائبها حتى اجتمعت له دارتها وارتفعت به نائرتها
وخشعت الدوله العباسيه خوفا لا بهت الدوله الامويه وتتور
نائرتها وها انا اذكر هذه الدوله ما زخر به في الاندلس بحرها
وزخر بما حلى به من ما تزهير بحرها واولها الساني لها وموج المنايا حولها
متلاطم وفوح الرزايا ببابها متراكم المنقض بافقها عقابه القشعم
المنبث بارضها شجاعة الارقم هي دولة عبد الرحمن بن معاويه
بن هشام بن عبد الملك بن مروان الداخل المطرف رجل العالم وبطل
بني ادم خلص من لهوات القواضب ولهفوات العدو المغاصب وعبر
الفرات بسبحه عوما بذراعيه ثم الفلا بقطعها فردا من اتباعه حتى اتى
المغرب وبلغه اختلاف المضريه واليمانيه بالاندلس فبعث بدرا
مولاه ليستميل اي الفريقين والاه فاتى اليمانيه اذ كانت
للمضريه عليهم فاستمالهم ووعدهم عنه ومنى امالهم ولما اراد
الحرب عقد لنفسه عبد الله بن خالد لواه وكان ابوه خالد قد عقد
لوا مروان بن الحكم يوم المرج فكشف لاواه فتيمن بتلك الفئه
ولهذا اختص بعقد اللوا لنفسه وخرج يوسف بن عبد الرحمن فيمن بقي

من

من طاعته ووفى بايس التفرق من جماعته وكان الزمان وسعاداته
انجذب ما من التنسم على محصله ولازم سعة الناس الا ما كل نقله
وسار على نهر اشبيليه كل منهما على صفة منه ثم تقابلا مقابلة كادت
تكون اجتماعا وتراسلا لا تلبس الاخداعا وكان ذلك يوم عرفه
فبات يوسف بن عبد الرحمن همه ذبح الجزور وتهيئة الطعام وعبد الرحمن
الداخل همه تسويه الصفوف واثاره القتام فلما اصبح يوم الاضحى
حازت خيل عبد الرحمن النهر وجالت بالحديد مثقله الظهر
وتناوش الفريقان الحرب يتشعون سعب رماحهم ويبجون سعب
صفاحهم وكان عبد الرحمن على فرس سابق فخاف اهل معسكره لا ينهزم
وحار من كان له سهم وقالوا شاب غر وتحته فرس يرى به المرابي
نخاف ان عضتنا الحرب ان يطير عليه الى بعض المرابي فلما نمى اليه هذا
الخبر استدعى بغلا اشهب كان معه وركب عليه لا يفارق موضعه
فاطمانوا الى الثبات وارجحنوا كالجبال لولا الوثبات فانهزم يوسف
هزيمه لم يرو بعدها جدا مقبلا ولا احدا الا مقبلا ودخل الداخل قرطبه
وحل بها صدر المرتبه ثم كان اخر امر يوسف بن عبد الرحمن مع عبد
الرحمن انه انتظم في جنده وارتطم بالارض خضوعا تحت بنده
قال صاحب المقتبس ولما ان كان يوم المصالحه واستحر القتل

مشى العلا بن جابر العقيلي الى الصميل بن حاتم وكلاهما من عسكر
يوسف بن عبد الرحمن فقال له يا ابا جوشن اتق الله فوالله ما اشبه
هذا اليوم الا بيوم المرج وان عار ذلك لباق علينا الى اليوم
وان الامور لتهتدي اليها بالاشباه والامثال اموي وفهري
وقيس واليمن ووزير الفهري ذلك اليوم قيسي وهو من الحرث
ووزير هذا اليوم انت وانت قيسي ويوم عيد في يوم جمعه
ويوم المرج يوم عيد في يوم جمعه الامر والله علينا ما اشك فيه
فاتق الله واغتنم بنا بلائه فلم يفد كلامه وفي هذه الوقعه
يقول ابن الشمسيه

• اهدالك ربك رحمة لعباده لما نضرمت البلاد وقودا •
• سبقت باطراف الاسنه في العدي حتى روين فما يردن مزيدا •
• والخيل تعثر في القنا وكانما فوق السنابك ادحين قيودا •
• والمشرفيه لن تبيد صقالها مثل الكواكب يتقدن وقودا •
• حتى اطرن جماجما مكنونه تحت المغافر فانكفان سجودا •

وكان عبد الرحمن يدعوا لابي جعفر المنصور حتى دخل الاندلس عبد
الملك بن عمر بن مروان بن الحكم ووافي عبد الرحمن فاواه وعززه
واكرم مثواه فلما حضر معه الجمعه وسمع الدعا لابي جعفر انكر وقال

ان

ان من الحلم جهلا واي هواده بيننا وبين هولاء عدوا علينا
فلم يرقبوا فينا الا ولا ذمه واستحلوا منا كل حرمه واخرجونا من
ارض الله الواسعه فالجاوا افلنا الي هذه القاصيه الشاسعه
ثم ها نحن الان ستاترهم فيها ونمد لهم حبط باطلهم بالدعا
لهم اعطي الله عهدا لئن لم تحول الدعوه لهم الى البراه منهم لا تقلبن
علي وجهي مبادرا في هذه الارض العريضه وقد كان ذلك من هوي
عبد الرحمن الداخل الا انه اتي الاناه الي ان استقضاء براي ابن عمه
فترك الخطبه لابي جعفر وتفرد بالدعا لنفسه وذلك بعد سنه
من دخوله الاندلس ثم شرع في تعظيم قرطبه فجدد معانيها وشيد
مبانيها وحصنها بالسور حتى اشرف بناوه واسس بها قصر الاماره
والمسجد الجامع وكان سلف المسلمين قد اقتصروا عند افتتاحهم
لقرطبه علي اتخادهم مسجدهم الجامع فيما خصهم من شطر الكنيسه
العظمي بها المعروفه بشنت بحنت كما كان بدمشق ودام الامر علي هذا
الي هالك الولاه بالاندلس علي الاماره وهو بهم في ضلال الشحنا الي
ان جمع شتاتهم عبد الرحمن الداخل وسمت نفسه الي ما سموا
اليه انفس الخلفا فصالح النصاري علي شطرهم بمواضع مما كان اخذ
بالعنوه من كنايسهم وذلك سنه تسع وستين ومايه

ثم لما وسع فناوه ووسع بناوه خطى بنظره الي مساجد الكور بالاندلس
ثم اسس منيه الرصافه متنزها له تشبها بجده هشام واتخذها قصرا
حسنا ودحا بها جنانا واسعه نقل اليها غرايب الغراس واكارم
الشجر من كل ناحيه مما اتت به رسله من الشام فتملت اشجارا معنه
اثمرت بغرايب الفواكه وعجايب الثمرات وراي اول ما نزل هذه
الرصافه نخله فذكرته باغترابها غربته وبتناييها عن اشباهها
اجنبيه فقال ـــــ

تبدت لنا وسط الرصافه نخله ۰ تناءت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرب والنوى ۰ وطول اكتئابي عن بني وعن اهلي

نشات بارض انت فيها غريبه ۰ فمثلك في الاقصاء والمنتاى مثلي

سقتك غوادي المزن من صوبها الذي ۰ يسح ويستمري السماكين بالوبل

وحكي صاحب المقتبس ما معناه ان عبد الرحمن الداخل في سنه
ثلث وستين ومايه اشاع الرحيل الى الشام لانتزاعها من يد الدوله
العباسيه وادراك ثاره وذكر ان كتب جماعه ممن لها من اهل بيته ومواليه
وشيعته توالت عليه بضعف المسوده وفتور قوتهم وبعد دولتهم على
الناس فعمل على ان يستخلف ابنه سليمان بالاندلس في طايفه ويذهب
بعامه من اطاعه وكمل من مروب المماليك اربعين الفا فاحتزم دون ذلك

وتوفي

وتوفي يوم الثلثا لست بقين من ربيع الاخر سنه سبعين ومايه
وهو ابن سبع وخمسين سنه واربعة اشهر ومولده مرب ندمر من الشام
سنه ثلث عشره ومايه ولبث من يوم بويع الى ان مات ثلثا وثلثين سنه
واربعة اشهر واربعة ايام ودفن بالقصر وصلى عليه ابنه عبد الله
بن عبد الرحمن المولود ببلنسيه وكان يقال الصقر قرش وكان اصهب خفيف
العارضين بوجهه خال طويل القامه نحيف الجسم له ضفيرتان وحكى
الجاحظ انه كان اخشم لا يشم رايحه ذكر ولده ابنه هشام
بن عبد الرحمن بن ابي الوليد وولد بالاندلس وجد ابوه الاس
وكان يفضله على ولده الاكبر سليمان وكان سليمان ممن ولد بالشام وقدم
الاندلس الا انه لم يطاول همه هشام ولما مات ابو عبد الرحمن حتى ذكره
وجبى من ورق الحديد الاخضر نضره وبارعه احواله فلم نجد في نفسه
منزعا ولا في قوله الفضل مطمعا حتى اتاه الامر طايعا ووافاه سرير
الملك وقد مد عنقه خاضعا واستهل ذلك الجو سحابا روى الاوام
واستقل في ذلك الافق بدرا انجاب عنه الظلام وجرت له امور ووجبت
عليه بدور لموافقه السعاده لمراده وموازنه التقدير لامداده ومسارعه
الصواب لهوى فواده فكان لا ينقض ابرامه مرتبه ولا ينفل مرامه عن الحسنى
سيرته فكان يعد من خير املاكهم حظا سعيدا ولفظا سديدا تسع

الدنيا همه العوال وجمع النعمى ما يهبه من النوال وكان على هذا
كله تقي الورع نقي المجتمع لا يحضر مجلسه الغيبة ولا تحل ملابسه الريبة
مع راي اسد من السهم نفاذا واشد من الوهم بالضمير ملاذا
وكان ابوه عبد الرحمن بن معوية لحصره مشورته ويبطء من
الراي صورته وربما تكلم بين يدي ابيه فقال صوابا وقاس
الامور على اشباهها فبرع جوابا ولهذا كان ابوه يقدمه ويسعفه
سعف السمهري ويقومه ويواخذه في الامور في ما يريد الا انه
يبصره ويفهمه وحكى صاحب المقتبس ما مضمونه انه كان عند
وفاة ابيه عبد الرحمن بمدينة ماردة وكان اخوه سليمن بمدينة
طليطلة وكان اخوهما عبد الله البلنسي حاضرا بقرطبة فشهد موت
ابيه دونهما وشد الامر بعده وبادر بالكتابة الى اخيه هشام يعلمه
ان اباه مات وعهد اليه وحثه على البدار نحوه فخرج من فوره الى
قرطبة وتسلم الملك وبويع على الامارة وكان اول من بايعه اخوه
عبد الله على دغل نواه وغل بين جوانحه طواه وحكى محمد بن حفص
انه لما انكشف وجه هشام من عمه خروبه مع اخويه سليمان وعبد الله
صفت له الاندلس جمعا واجتمع له طاعة اهلها طرا وكانت يومئذ
اكثر ما كانت مسما لجهاد عدوهم سموا استفرغ فيه وسعه فاعطى

فيهم

فيهم نصر الا كفا له وافتتح مدينة اربونة وبلغ من علمه فيهم ان اشترط
على المعاهدين من اهل جليقة لما سالوه المسالمة نقل عدد من احمال التراب
من سور اربونة الى باب قرطبة فلما اكمل نقل هذا التراب ابتنى منه مسجدا
قدام باب الجنان وهو الذي كان يصلي فيه من حضر باب السلطان قلت
واربونة كانت قد فتحت قبل هذا الفتح ودامت بايدي ولاة الاسلام
حتى عبد الرحمن الداخل واقر عليها عبد الرحمن بن علقمة اللخمي عامل يوسف
بن عبد الرحمن الفهري ثم غلب عليها العدو واخذها من يد الاسلام
الى ان فتحت هذا الفتح وحكى محمد بن عمر بن القوطية كلاما معناه ان
هشاما سال الضبي المنجم عما تعطيه النجامة من امره وكان الضبي
بطليموس عصره حذقا واصابة فساله الاعفا فلم يجبه فلما لم يجد بدا
من اخباره قال له نعم اصلح الله الامير سوف يستقر ملكك سعيدا
جدك قاهرا لمن ناواك الا ان مدتك تكون ثمانية اعوام فاطرق هشام
ساعة ثم رفع راسه وقال يا ضبي ما اخوفني ان يكون النذير كلمني
بلسانك ثم والله لو ان هذه المدة كانت في سجدة واحدة لله لقلت طاعة
له ووصل الضبي وصرفه ثم شمر هشام للعمل للمعادة وضم بطنه
للتحصيل زمان حتى مضى وهو على جهاد وكانت وفاته بمرض سوداوي
لحقه ليلة الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثمانين ومائة

وكان ابن تسع وثلاثين سنة واربعة اشهر واربعة ايام لبث

بها خليفة سبع سنين وسبعة اشهر وثمانية ايام وكان ابيض

مشربا حمرة بعينيه حول وقال بكر الكاتب يرثيه

• لقد فجع الاسلام نجيب قروم منجبين كرام •

• هشام لعمري للدين راعيا بعين مراعاة وحد حسام •

• اذا مال كان الليث يحمي عرينه وغيثا اذا ما كان يوم سلام •

دولة ابنه الحكم بن هشام المرتضى

وكان حمي الانف عزما يتوقد صرامة اى الاينة عدالا لا يستسهل مرامه

لا يستنزل له جانب ولا يستهان به الا ذهبا او مقانب بصوارم فللت الصفوف (ما فوق)

ومكارم فللت الالوف فما اتاه جمع عدو ولا مال الافرنجة ولا قادة

جاد وطيس ولا كبش الامرنه وسعد جده المقبل وصعد زنده على العام

المسيل ولم يتولة معاند الا احترق بناره او صادف حد وله فغرق

في تيار بحر غله توب عظمت النصيحة فيها حدارها ثم قدمت السهام

اليها انذارها ثم اقدمت السيوف وابلت فيها اعذارها وحققت

فيها اعلامه الاموية ريحها التاييد ولفحها النصر مستنطرا من

برق الحديد في حروب منها ما باشره ومنها ما قعد عنه وعقد له

لوا لم يكن سواه ناشره فما عادت عساكر الا وقد شفت مناه

وكفت

وكفت همه ما عناه حتى اودع بطون الثرى اعداه وودع القيام فما استسقى

لنابت الرماح انداه وصقال الاندلس من شوايب الاعدا ونوايب

الاعداد للاعدا واستقر سريره لا يتقلقل له الا في دور ملكه مضجع ولا

يقلب له الا بين جوانبه ذهاب او مرجع واستوفد اكرامه طوايف

العلما واستنسخ كرمه فرايح الشعرا فغصت ابوابه بالوفود وانقضت

احيحة دوايره وما فقتها سوى الجود وكان اول اموي ماج في الاندلس بمكنون

سره ومضمون ما كان يتلجلج في فكره ولم تخش دولة بني العباس ان يرمي

اليه مدنها او تتربى عليه سفنها وما راعه سواد ذلك العلم ولا اثلقه

تسكي ذلك الالم ولا خاف ان يصيبه من العراق سهم اصاب ورامه بدي

سلم كل هذا مع بصيرته بالعواقب كانما ناجته بما يكون وسن بين لا تراقب

الا ما تالف من السكون لكن الاقدار ما اسعفته بتمام هذا الامل ولا

كملت له الامر ومن ذا الذي تم امره او كمل وكان ذا دولة خدمتها الاكابر

وما منهم الا من اغدق كرمه وشرق وغرب مدحه **فمنهم** عبد العزيز

ابن ابي عتبة وفيه يقول ـــــــــــ بكر بن قيس •

• الكني الي عبد العزيز اخي الندى ثناء وقولا قلته متعوفا •

• لعمري لنعم المستغاث وجدته لدي حينه صفرا من المال مملقا •

• لاضحي ودبرا للخليفة حاجبا تري راية رايا اذا قال صدقا •

فهذا نري وجه النصيحه قوله وهذا نري قول النصيحه موثقا •
لغارت بنو حسان منه بسابق مسامر يا ان يفوز ويسبقا •

ومنهم عبد الكريم بن مغيث وهو الذي من طليطله وبد له لا هلها مع القدره من غير مسلمة الا انه اشترط عليهم شروطا خافوا منها العنت لكتاب جاه من الحكم جاريه بيما احتكم وفيه يقول عن بيت بن عبد الله

يا فارس الناس في الهيجا ومعقلهم هناك ربك ما اعطى واولاكا •
حفظت في نسله قيسا وحطتهم كان قيسا بنا ادمانا وصاكا •
ان كان سرك ما جا البريد به فلا لعمراي ما سرنا ذا كا •
بل سرنا منك نعماء بدات بها ما كان ضرك لو اتممت نعماكا •

وفي ايامه في سنة سبع وتسعين ومايه كانت الشده التي عمت ارض الاندلس اجمعها ومات منها اكثر الخلق واختار بعضهم البحر الى ارض العدوه لا تساع خصبها وارتجاع ما ما بها بارض الاندلس من جدبها

قال صاحب المقتبس وكان المقلون يطوفون الايام دون تعلل بطعام وفي سنة اثنين ومايتين كانت الوقعة العظمى بقرطبه وهي المعروفه بوقعة الربض وهي نوبة كانت من اهل قرطبه هاجوها يوم الاربعا لثلث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان عن احقاد حملوها على الحكم بن هشام فحملوا السلاح بغته وزحفوا الي قصره جملة فلم يبرح

عن

عن سريره وانما بعث مواليه واهل ولايته فقاتلوهم حتى هزموهم واستمروا ايا لطلبهم ولزموهم وامسك منهم خلقا كثيرا وصلب منهم ثلثمايه رجل صفوفا امام قصره واعظم فيهم الحادثه وامضى المثله ثم امر بالكف ونادى فيهم بالجلا فتفرقوا في بلاد الاندلس ايدي سبا وعبر الى بر العدوه منهم فل ممن لا قتل ولا سبا وقال الحكم في ذلك

رايت صدوع الارض بالسيف راقعا وقدما لامت الشعب مذ كنت يافعا •
فسايل ثغوري هل بها اليوم ثغره ابادرها مستنضي السيف دارعا •
وسايل على الارض الفضا جماجما كاقحاف شريان الهبيد لوامعا •
تنبيك اني لم اكن في قراعهم بوان وقدما كنت بالسيف قارعا •
واني اذا حادوا جزاعا عن الردى فما كنت ذا حيد عن الموت جازعا •
حميت ذماري فانتحيت ذمارهم ومن لا يحامي ظل خزيان ضارعا •
ولما تساقينا سجال حروبنا سقيتهم سجلا من الموت ناقعا •
وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم فلاقوا منايا قدرت ومصارعا •
فهاك بلادي انني قد جعلتها مهادا ولم اترك عليها منازعا •

وحكى عمار بن المثنى النحوي المودب قال قدم علينا بعد الوقعه عباس بن ناصح قرطبه ايام عبد الرحمن بن الحكم فاستنشدني شعر الحكم بن هشام في الهيج فانشدته اياه فلما بلغت قوله

وهل زدت ان وفيتهم ضاع فرظهم البيت قال عباس لوان
الحكم جوى للخصومة بينه وبين اهل الربض لقام بعذره بينهم هذا البيت
وقال ابو بكر بن القوطية لم ينل الحكم حلاوة العيش بعد وقعة
الربض وامتحن بعلة صعبة طاولته اربعة اعوام في اخر عمره فلت
غربه واطالت ضناه واحتجب فيها اخر مدته واستناب ولده
عبد الرحمن في تدبير ملكه فمات اسيفا على توبة من ذنوبه وندم على
ما اقترف وعرضت له رقة شديدة الان صلابته وطفق يكثر
الذكر ويفزع الي استقرا القران ويانس بالتلاوة الى ان مات على حاله
تلك فكانوا يرجون له خيرا ولما احس بدنو المنية عهد الى
ولديه عبد الرحمن والمغيرة عهدا اشهد عليه الاشهاد ثم نزل
المغيرة لاخيه عبد الرحمن عن طيب نفس واذعان ونقل الحكم ابنه
عبد الرحمن الي القصر وقام بالاحكام معه ودونه واول ما احدثه
وابوه الحكم حي ان صلب ربيع بن تيذار راس النصارى بقرطبة وكان
جديرا بالصلب والمثلة بسوء اثره في المسلمين فقال في ذلك
عبدالله بن الشمر النديم

يا ولي الامر من بعد الحكم بك جاد الصنع للخلق وتم
خذ بشكر نعمة الله التي هي من خير العطايا والقسم

واشكر

واشكر الله على نعمته ان في الشكر مزيدا للنعم
فلقد قربت قربانا به تلج الفردوس من طاعي العجم
كافرا سلمه اشياعه وبه حلت من الله النقم

ثم تخلى له ابوه الحكم عن النظر في امور الخلافة واراد ان
يخلي له قصر الامارة فابى ابنه عبد الرحمن وقال بل اكتفي بالقعود
على باب السدة مقعد صاحب المدينة فاستحسن رايه وبدا بتغيير
المنكر وامر بهدم الفندق السلطاني المعد لبيع الخمور وسكن المومسات
الخواطي فهدمت بنيته وصبت اشربته وكسرت انيته واخليت من
العواهر امته فضج الناس بالدعا له وعلت اصواتهم حتى سمعها
الحكم فارتاع وسال عما اوجب ضجيج الرعاع فلما اعلم بما صنعه
ابنه سكن وقال هو اعلم بما صنع وتوفي الحكم يوم الخميس لاربع
بقين من ذي الحجة سنة ست ومايتين ومولده سنة اربع وخمسين
ومايه ومدة خلافته نحو ست وعشرين وشهر ونصف شهر
وسنه ثلث وخمسون سنة وصلى عليه ابنه عبد الرحمن وكان
اسمر طوالا اشم نحيفا لا يخضب

دولة ابنه عبد الرحمن بن الحكم ابي المطرف

كان اسرا عند ابيه الحكم كثيرا مما يظهر به من الحكم اشبه في حكمته

المامون وفي حرمته هرون وتطلب الكتب القديمه وتطيبها
من عدوى الافهام السقيمه وطالع كتب الاوايل وطالب باقامة
الدلايل وبعث الى العراق في طلب الكتب الحكميه وغالى في اثمانها
ووالى بين ذخاير البيوت استخراج جمانها رغبة في اقامة براهينها
وادامة الوقوف على فوايدها حتى اتى بها الى الاندلس عزا وطانها
وراى بالعقل انه لا ينفذ الا بسلطانها فغلب بحججها القاطعه وبلغ
الغايه بانوارها الساطعه وكان هو اول من ادخل الاندلس الحكمه
وبثها في اقطارها ومداينها بعثها حتى جاس خلال ديارها فاعاد عصر
الاوايل جديدا وعصر الفضايل رادضحي قريبا لا بعيدا بل زاد حتى سطا
بارسطاطاليس وفل افلاطون بجيش لا تقله الخميس فما جامعه ابقراط
بقراط وبطل بطليموس فيما احاط به علما وما لا احاط فذكت قريحته
وذكت صحيحته وكان ابوه الحكم كلما سمع كلامه في هذه الدقايق
وعرف مرامه في معرفة هذه الحقايق يتضاعف به سروره ويتما بل له به
سروره ولهذا انتعش له به حظه من خاطره وجاد افقه صوب ماطره
فكان لا يبرح محوه من الشكر بعاطره وحلوه في حلل اعتنته عنها فطنة
فاطره هذا مع استقلال الجنود واستهلال الجود صاب نوه واصاب
سدد الظلام ضوءه قال الرازي عبد الرحمن بن الحكم اول من فخم

الملك

الملك بالاندلس من خلفا بني مروان وكساه ابهة الجلاله واسمى
الرجال للاعمال واستوزر الاكفا فعظم شانه وكاتبته ملوك البلاد
ثم شيد القصور واتخذ المصانع وجلب الما وحكى معويه بن هشام
انه كان يتشبه بالوليد بن عبد الملك في شرف نفسه وعلا همته
وفخامة سلطانه ودعه ايامه وما شاد من البنا وشق من الانهار
وغرس من الاشجار وزاد في المسجد الجامع وفيه قال عبد الله بن الشمر

بنا مسجدا لم يبن في الارض مثله ** وهل مثله في حوزة الارض مسجد
له عمد حمر وخضر كانما تلوح بواقيتها وزبرجد

قال الرازي وفي ايامه احدثت بقرطبه وغيرها من بلاد
الاندلس الطرز لانواع الكسوه والوطا واستنبطت فيها الاعمال
وتدرج فيها الى التجويد في ذلك قال الرازي وفيها اتخذت بقرطبه
السكه وقام فيها ضرب الدراهم ولم يكن فيها دار ضرب منذ فتحها
العرب وانما كانوا يتعاملون بما يحمل اليهم من دراهم اهل المشرق
قلت وهذا اوان صارت الاندلس مصرا وحازت بعد نسيانا وقصرا
بعد ان مضت برهة من الدهر لا توصل الا به تصفق في جنباتها النهر
وكان عبد الرحمن اسمر اقنى اعين اسود العينين طوالا طخما مسبلا
عظيم اللحيه

دولة ابنه محمد ابن عبد الرحمن

وهي المنصرمه عن افتراق الجماعه المقسمه في اخرها بفراق الطاعه
المسلمه من يده الى الاضاعه المحرومه لا على مهل عذب المحوله رداها
لا متصل عضب بل نجوم النفاق بكل جهه وعدم الوفاق على ما تكون
به السرائر من قبه لقضاء سبق علمه لا لاقتضا يسوء فعل الا انه
قسمه وقد كان دالحزم عمر البد بن وهم تنسع صدر الفرقدين
والصبر بارقبه وسير بن لله مراقبه الا انها الاقدار لا تعاند والاسرار
لا تسدد مهما ولا تعاهد استخلف يوما مات ابوه ودخل القصر على
ملكه من الناس وحماه ممن يريد هد ذلك الاساس وقيل بل دخل
متخفيا ثم اصبح على السرير جالسا ثم علا صهوه المسير فارسا
وتولى اخذ البيعه له بن شهيد مشهده واستنابه بين له عزيمه
وقام لديه مومن بن سعيد منشدا ٥

• تظل بطن الارض لما ثوى بها امام الهدى الثاوي ببطن ملحد •

• وزلزلها موت الامام وفقده فقال لها الله اسكني بمحمد •

ثم كان من اكبر القوم نائبا واوفر لما في النفوس تمنيا وصفا العيش
في ظل خلافته وكفى المسيء اعتذارا فضل رافته وكان له في مدته
الاثار الجميله والفتوح العظيمه والعنايه التامه بمصالح المسلمين
والاهتمام بالثغور وحفظ الاطراف والتحرز من قبل البحر قال

الرازي

الرازي كانت لا تجري في حضره جاريه الا عن معرفته قال وهو
الذي قسم مراتب اهل الخدمه واعلى رتبه الوزراء ورجح اهل
الشام على اهل الاندلس واعلى رتبه الوزرا منهم في الجلوس انتهى كلامه
قال صاحب المقتبس وزاد في توسعه الجامع بقرطبه فقال
العباس بن فرناس • محمد خير مسترعى ومؤتمن للمسلمين جميعا حيثما كانوا •
• بنى لهم مسجدا جلت عجائبه لولا الشمال لما ضاهاه بنيان •
قال وكان مجبول الطباع على حب البنيان بتشييد مبانيه مبالغا
في اتقانه سمحا بالانفاق عليه منه قصور قرطبه والرصافه ومنيه
كنتش وفيها يقول احمد بن عبد ربه

• الما على قصر الخليفه وانظرا الى منيه زهرا شيدت لا زهرا •

• مروقه يستودع النجم سرها فتحسبه يصغى اليها لتخبرا •

• بنا اذا ما الليل حل ثيابه عنه بدا الصبح من اعرافه الشم مسفرا •

• ترى المنيه البيضا في كل شارق تلبس وجه الشمس ثوبا معصفرا •

• ودونك فانظر هل ترى من تفاوت به او رات عيناك احسن منظرا •

• تذكر بالفردوس من كان لاهيا وتلهي عن الفردوس من قد تذكرا •

• كان السما استوهبت ارضها والجمها من نورها حين نورا •

وكان ممدحا • ومما قال فيه عمار بن المثنى ٥

غدا في اسار بر الامير محمد امام الهدى يبدو وفي كفه بحر
فلو ملك الله الرعيه عمرها لكان له من ذلك العمر الشطر
اذا دخر الاملاك مالاً فماله سوى المجد ما لمعروف كنز ولا دخر
مهيب اذا ابصرت غره وجهه يكاد له من هيبة يصدع الصدر

وكان كثير الخروج الى الصحرا للنشرة في نواحيها والتوسع في نسيم صواحيها وكان معجبا بدربد وهو مكان قبلي اشبيليه مرج اخضر كانه زمرد شارب ونهر نتكسر ماوه كانه عسل ممزوج لشارب فما بها ربع ابنيه رفيعه الا انها خيام وقد هناك فوارة لكنه هيام فقال الوزير تمام

بن احمد • لعمري لما يوم من الدهر كله بانعم من يوم حللنا بدربد •
• لدي روضه خضرا اما ان نخالها لعمرك الا معدنا للزمرد •

ودام في ملهمه من الملك الى ان دارت اليه النوايب ودارت عليه الدوابر وسار الى مغالبته كل سابر وطار لمواثبته في البر والبحر كل طاير ولم يكفه انشقاق الفتوق واتساق البتوق واختلاف كلمه اهل ملكه حتى قصدته ملوك الكفار واجهدته بالنهود الى الاسفار ومنا رمى باهل الصليب على انفرادهم حتى منى بالمجوس من اقصى بلادهم وكان في هذه النوايب ثاره ونثاره وسوه وسوه اونه حلاوة واونه مراره وفي بعض غزواته التي اثخن فيها في اهل الخلاف وامعن في ازالة

الاختلاف

رابع عشرين مسالك الابصار وبا

الاختلاف قال مومن بن سعيد

• دع اللاي يفنيها مجدها اسني بني غالب واخمدها •
• اشباع لب سنابل خشعت اعناقها فالسيوف تحصدها •
• ذانوا له وهو وارد بهم حياض حتف يعاب موردها •
• كعابد النار وهي تحرقه بعد المتواه حين يعبدها •
• ساووا ملوكا هم لهم خول وهل تساوى الملوك اعبدها •
• احصوا احاديث للمواسم عن طي السيوف استفاض مسندها •

وعارضه محمد بن عبد العزيز العليسي فقال

• دع الوغي لم يزل محمدها يوقد نيرانها ويخمدها •
• فليس تروى السيوف ان ظمئت الا اذا عاها محمدها •
• سيف هدى يشهد السيوف له يوم الوغي انه مهندها •
• تقيل في ظله المنون اذا ما حره الحرب حار موقدها •
• فتلك دار العدو خالية اوحين نور الانيس معهدها •
• اطفا عنا بسيفه فتنا اوقدها في البلاد اعبدها •

ثم طفت الفتنه ومرد النفاق وانبعث الفساد ودب الوهن في اقطار الدوله حتى وهت اركانها وهوت اقمارها وعمي المبصر وصم السامع وخرس الناطق وعم الاندلس بلاء اظل سحابه وعظم شانه لم يدركه

امر كيف ذهابه ثم توفي محمد بن عبد الرحمن ليلة الخميس لليلة بقيت
من صفر سنة ثلث وسبعين ومايه ومولده سنة سبع ومائتين وبلغ
من السن خمسا وخمسين سنة وثلثة اشهر منها مدة خلافته اربع
وثلثين سنة واحدى عشر شهرا وكان ابيض مشربا بحمرة مستدير الوجه
ربعة تام اللحية اصهبها به شي من وقص يخضب بالحنا والكتم

دولة ابنه المنذر

بن محمد استفتح خلافته بالاحسان واستمنح رافته كل انسان فاستصبح
الهلال بحده واستصلح الاختلال بجود تمنيه واستفتح مقابلته العدو خوفا
ولما اضجر لبنه من غربه زمانه طويلا ولبانه ما خلا مجرى الكاذب
من مطال على انه مند ولي شد بطانه واحترم وجد بطلافه واعتزم
حتى كاد يستقيم الاود ويستديم صلاح ما فسد وكان على بعض حظه من
الادب مكرم اهله اكراما بسطا من له الاقدار ويتفاطن به الاعمار
لكرم كان عليه مجبولا وجود كان به كلفا مبتولا قدم قرطبة بعد موت
ابيه فصح المعتل وصلح المختل وخضع من كان رفع راسه وخلع نجاد من تقلد
السيف وضرب افراسه وبويع البيعة العامة وسمع البيعة الطامة وبغي
بنفسه عمر قصد عنادا وقصر على البغي مرادا وكان يتدفق مروءة احد بني
مروان موكبها واشرق من عند شمس لعبد شمس كوكبها فاورثها من ابائه
الغطاريف الالى عن كلالة ولا استحقها ارثا بالولا قال صاحب المقتبس

وكان

وكان سبب وفاته انه افتصد يوم السبت للنصف من صفر سنة خمس
وسبعين ومائتين وهو يوم العنصرة مهرجان الاندلس وكتم موته وابردوا
بريدا الى اخيه عبد الله بن محمد فوافى سريعا وبادر بدفن اخيه المنذر بن
محمد وكانت خلافته سنتين الا خمسة عشر يوما وكان سنه ستا واربعين
سنة وكان اسمر طويلا جعد الشعر كث اللحية بوجهه اثار جدري يخضب
بالحنا والكتم

دولة اخيه عبد الله بن محمد

اتاه نعي اخيه وهو غايب ووافاه الطلب للخلافة وهو ايب فلما فشا
في العسكر موت اخيه الذاهب تفرقت اهواؤهم وتشققت الويتهم ورام
كل منهم امرا قصيا لم يدرك تمامه وراض صعبا ابيا لم يملك زمامه
ولم يبق الا من ترابه شيطانه وتزلزل به دار سلطانه ظنا هو واني
ارد بنيه وحووا اسو الذكر في اذنيه حتى اشار عليه بعض نصحابه بعض
رجاله بمواراة اخيه الهالك هنالك واللحاق بقرطبة مسرعا والسباق
اليها قبل ان لا يجد موضعا فقال هيهات ان اتدنس هذه المدينة اولا تلبس
بقبح هذه المذمة ثم سار ومعه جثة اخيه على اثاثه واستقام امره
على هساه ودخل قرطبة وصلى على اخيه بها واودع دهبه المكنون
في تربها ودفنه في القصر بالروضة مقبرة الخلايف وماثم تلك اللطايف
ثم بويع البيعة التي استقامت له على طلعها واستدامت على ولعها

واخذ في حسم ادواء الخلاف وحصد رووس منهم ابتغت لقطاف
وكان امر الفتنة قد استحكم واستفحل داوه فلم يحسم وكثرت على
مثل اولئك واشباههم وكثرت منها كلمة تخرج من افواههم فاعيا
سقمها الطبيب المداوي واعدى فيها داء الرشد الغاوي وبيح بها
في كل ناحية نابح الاناة العاوي ولصص امني الاناة مما لا يدخل
في سلك الحاوي وذكر صاحب المقتبس عن الرازي عن ابيه قال
كانوا يعدون عبد الله من اصلح خلفا بني امية بالاندلس وامثلهم
طريقة والمهم معرفة وامتنهم ديانة كان يتهجد بالليل ويقوم ليالي
شهر رمضان بالنافلة مع الايمة المترتبين لها بالمسجد الجامع وكانت
تلبيه في ذلك نية المحتسب الورع الراغب في الخير وحكي عن بعض الفتيان
الخاصة انه كان كثير التلاوة للقران مثابرا على درسه محبا لمن
حفظه قال وكان لا يقدم امرا ولا يوخره الا عن مشورة اهل العلم
والفقه قال ابو صالح ايوب بن سليمان انه كان متصرفا
في فنون العلم محققا للسان العرب بصيرا بلغاتها وايامها حافظا
للغريب اخذا من الشعر بنصيب ولم يسمع احد يمثل الحاره اذا امل
ولا يمثل بلاغته اذا وكان على كمال فضايله متسرعا الى سفك الدما
حتى من ولديه واخويه وخاصة صحبته وتوفي في مستهل شهر ربيع

الاول

الاول سنة ثلثمائة لبث منها خليفة خمسا وعشرين سنة ونصف

ذكر دولة ابن ابنه عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد الناصر

ولي بعد جده ووطي اثار سوء فعله ووافق زمانه زمان المقتدر وقد
ضعفت الخلافة ببغداد ووهت قواها ووهنت الدولة العباسية
حتى طمع فيها من سواها فابرز عبد الرحمن ما عنده وباح وقال
علوه وكشف الغطا واستراح واظهر التسمية بالخلافة وسمي بامير
المومنين وهو اول من تسمى في الاندلس بها وسما بالتحلي بلقبها وكان
رجل حزم ورجل عزم وبارق مضاء وسابق قضاء وبطل اقدام
وعطل مقدام وسيف جلاد وطيف رعب بحته ضماير البلاد فلهذا
قدح لهذا الراي زنده وفتح الباب لمن جا بعده ولم يكن في سياقه
من كشف هذا الغطاء ولا كف عن ذروة السير بهذا الامتطا وانما
كان الواحد منهم وان عظم شانه وكرم سلطانه لا يزيد في التسمية
على الامير ولا يزيد اكثر من هذا الخطاب المهر الممر حتى اتخذها
هذا الناصر عبد الرحمن عليهم علما وانطق بها لسانا وقلما وسيرها
في الافاق كلما وصيرها في الاندلس شبيهة بالعراق وقد ترجم
له صاحب المقتبس وقال ذكر الدلالة على عظم شان الخليفة الناصر
في سلطانه واحرابه الى الايفاء على من تقدمه من الخلفا وجده

في جمع الاموال وبذله لها في ابتغا دول الامال وتوسعه في اصحاب طبقات الرجال وانتقابه منهم بجلة الوزراء المشاركين في الحال وتفسح لغويص الاشيا وسمحه لصنايع البنا وسد الفرج دون الاعدا وتوقله لقلل الاعتدار وكان لا يهب خطرا ركبه ولا يستكثر شيا يهبه وبني المباني العجيبة والمنارة البديعة وشيد قصر الخلافة بقرطبة وعمل الناعورة المحكمة الصنعة المضروب بها المثل والبيضا والزهرا وغير ذلك مما يطول ذكره وفي مسيره الناعور وقال ابو عثمان عبيد الله بن يحيى

• شوا بين الحزن والسهل منزلا بافيح فضفاض البساط على النهر •

• تصعد في ساحاته الحضر ماه تصعد انفاس المتيم بالذكر •

• ترقيه في الجو ثم تعيده الى مستقر الارض ناعوره تجري •

• تغرد تغريد الطيور وتاره ترجع ترجيع الاهازج في الزمر •

وكان مما قال فيه ابو عثمان هذا وقد راه في موقف حرب ابان فتنه

• قمرا بين وجهه يعطي ضوء القمر وتخفيه •

• اغمامه بين البوارق تهمع ام شارق وسط الكتايب يلمع •

• ام غرة القمر المنير تحفها زهر النجوم ام الهصور الاروع •

• لا بل هو الملك الذي في درعه وحلاه هذي الصفات الاربع •

وتوفي الناصر عبد الرحمن في شهر رمضان سنة خمسين وثلثمايه

دولة ابنه الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر ابي العاص

وهو الحكم العادل والعلم الذي لا تطاوله الجنادل والكريم الذي لا يصغي الى قول العاذل ولا يبغي طاقة الباذل نطق منذ كان صبيا بالحكم وصدق تكان في بنيه نوى الحكم وتفقت في ايامه وقصور مدته عن مرامه واهل الاندلس تعده من اصلح خلفايها وارجح اهل وفايه بها ولم يكن من اهل الفضل الا من يزدلف اليه بما لديه ويقرب كرمه السابغ عليه من يديه وكان الناظر لا يكاد يرى الا عالما او معلما او مقدما او متقدما وما بقي من رعاياه الا من رعاة حرمه ودعاة كرمه فلم يدع منهم الا راضيا عن زمانه او قاضيا له منه باماني ثم مازال مريدا في الصلاح وتجدد له عموم الفلاح حتى اتاه اليقين واراه موضعه في منازل المتقين واجرى من جمله للسباق فاحرز قصباته وعبر في وجوه السباق فقال محمد بن حسين الطبني

• اعارض مجلان في البحر خفق ام نفس الريح جار واستبق •

• ام الجياد احضرت بلا عنق تطلب عند البعد ثارا تحتنق •

• وطارت الحصبا عنهن تلق وثار مجموع الغبار وافترق •

• ترفع ثوب الصدع من ثوب الغسق لو خطرت على لباه لاحترق •

• من لهب الشد وحر المنطلق حتى اذا ما سكنت ما العرق •

• وسرن سير الطير ينفض الليق قد بلغت من ربد اسي البلق •

والعمس الادهم فى لون يهق كالورق المنسوخ امثال الورق
دماج منهن للصوآئي والتصق وازدحمت فيه غلبهن لحذف
بور من لو سابق الريح سبق طرف كلحظ الطرف او هي فرق
اولحظة البرق مع الريح برق اوخطفه الجن للسمع استرق
اوسرعه الطيف اذا الطيف طرق من نازح يجري الكرى على الارق
لعيسى كان بالسبق احق كانما غرته نور الفلق
نواله في الناس فيض ودفق ممسكه من كل نفس يرمق
للمرتجي امن وللمال فرق وباسه اشبه شي بالصعق
اذا اندقت الرماح والدرق كانما مادبه اذا نطق
ثبت في الناس افانين الغصن مستنصر بالله بديع من خلق
لخيله فضل على الخيل سبق كفضل ما بين الملوك والسوق

وحكى صاحب المقتبس عن المستنصر هذا سعاده فيما تطلبه من الامور
وما عقد له بلوا الظفر والتاييد واسند كثيرا مما مدح به في وقايعه
التي كان له فيها الغلب وبان لاعين النظارة له فيها حسن المنقلب فمنها
قول محمد بن المحاسن

الملئت حدود الدين حتى تحددت معالمه فينا واشرق نورها
والبست دنيا شبابا وبهجة فزان حلا لاسوها وسرورها

تحت

تحت لغاو بها الطريق فلم تجد لا مل اعاها فكيف بصيرها
وجردت سيف الحق في كل بدعة يعفي على اثارها وتبيرها
وتقفنا مذ استنصرت بالله انه نصيرك مما نتقي ونصيرها
عن الله تربي يعفو عنك مدافع ودائرة السوء على من يديرها

ومنها قول سعيد بن عبد الملك

امام جلا عن ارضنا الظلم عدله فعاد الى معناه من كان جاليا
اذا ما بدا يوما لعين تقدرت به كل شي تملا العين باديا
من العبشميين الذين اكفهم سحايب تستبك السحاب الغواديا
لقاوهم تغنيك ان كنت مملقا وبشرهم يرويك ان كنت صاديا

ومنها قول محمد بن شخيص

كانك باليوم المعجل العدى بوضع الحوالى اوتشيب المراضع
تواضعت كي تزداد عزا وانما يقدم عند الله عز التواضع
وقمت بما ادي الله احد وادب حقا ضابعا غير ضابع

ومنها راي ولد

راي ولد الفاروق سيجه حلة فتابع تبصير المنزل تتابع
وقد رهما مرون في يوم راهط براي الاهو الجماعه جامع
وراه سوى لو اعبدت لما دعت لدعوته الاذان دعوى منازع

ولاساع في مصر لصحب محمد ادّي لم يكن من قبل فيها بسابع

ومنها قول يوسف بن هرون الرمادي ملمحا في بعض اغزاله ومملحا

بها لحلو مقاله • وقد ابرز للقاء جحفل المفارق لمعد صاحب افريقيه

جيشا ابرقت مناصله وبرزت سهامه • كانها لواحظ اغيد لا يخطي

مقاتله وهو ولقد عجبت لغفلة المستنصر اذ ابرز الجيش اللهام لجعفر •

• ولقد امن اهواه بيبرز وجهه قامت لواحظه مقام العسكر •

وقد ذكر صاحب بلغة الظرفا الحكم المستنصر واورد له شعرا ورد

به منهل الشعرى وهو قوله

• السنا بني مروان كيف تبدلت بنا الحال او دارت علينا الدوابر •

• اذا ولد المولود منا تهللت له الارض واهتزت اليه المنابر •

بويع المستنصر في رمضان سنه خمسين وثلثمايه ولد مستهل

رجب سنه اثنين وثلثمايه وتوفي في صفر سنه ست وستين وثلثمايه

وكانت مدته نحو ستة عشر سنه وكان ابيض طوالا سمين اليدين

جسيما وسيما اسود العينين اصهب عظيم اللحيه يخضب بالسواد

دولة ابنه هشام المويد بن الحكم

امتدت الايدي لمبايعته وسنه لعشرة اعوام وعصمه ما ابسطت

من غايته الاكام فوى عزمه ابيه الحكم على العهد اليه النسا

والحذم معهد اليه ثم داخله الندم فما استحسن ان يخلع عن

معطفيه ذاك الردا ولا ان يقطع عن المنابر من اسمه ذاك الندا

وقد كانت طوايف الشعرا عرضت بذكر هشام لابيه تقربا الي خاطره

وتحببا اليه ان لا يخرج سطر مساطره فمنها قول محمد بن حسين

الطبني مما يخاطب به اباه حسن بن محمد بن الطبني محمد واقربه اود الزمان الاعوج •

• لهجت بسعته النفوس فاخذها من اوجب الاشيا ولو لم تلهج •

• عود النبوة والخلافه عوده فالفرع من تلك العروق الوشج •

• واذا تبلج وجه صبح مقبل فالشمس تحت ضيابه المتبلج •

• هو زهرة الدنيا وباب سرورها فاعهد وسوته البريه والهج •

• وارم المشارق باسمه لتفتح مابين مصر الى بلاد الزنج •

• يارب بلغه جميع رجابه لابي الوليد ورده ما لم ترتجي •

• ليدم سراج الله في هذا الورى فضياوه من فضل نور المسرج •

وفيه يقول ايضا

• واشد بذكراي الوليد فشد به هشاميا وعزا اغبطا •

• ما فوق بيعته مدي امنيه ممن تساي في المني وتشطط •

• نعم الدخيرة للعزا ايم يبتني دون الخلافة والمنابر تمتطي •

• نظرت قريش في كريم نظايما فرانه منها في الفلاة اوسطا •

هي بيعة الرضوان عن كل من اصفى وتقبل سعيها من خلطا

اربطه الايدي فان قلوبنا تكفيه بودادها ان تربطا

شرطت محبته على اهل النهى ما لا يكاد موثق ان يشرطا

ثم لما مات الحكم المستنصر وبويع ابنه هشام المؤيد لان جانبه حتى دن وكثر حلمه حتى ذل وعقد انتقامه بالعفو فخلد واستقام بقدمه على منهج المسالمة فنزل على انه اول ما بويع بالخلافة كان يخلط بالعسل صابه وبالشفا اوصابه وفيه قال محمد بن شخيص

وجدنا هشاما للائمة عاشرا اذا اكمل التسعين فالملك تاسع

اتانا بتصديق الرواية مذ اتى به اول الشهب الدراري رابع

فسارت باعناق النجابة اذ سرت من الحكم المهدي فيه طبايع

يجليه نجم على النجم الدجي منيف ومن سرح الخلافة طالع

ومن فخره ان العبيد بطله ملوك كما ان الملوك صنايع

وشايع امال البرية انها الى عهده المأمول صور نوازع

وكان المؤيد هشام مغلبا مذ ولي استحجب المنصور ابا عامر فحجبه وقام دونه ثم استحجب ابنه المظفر عبد الملك بن محمد بن عامر فسلك سبيل ابيه ثم استحجب اخاه عبد الرحمن وكان ثالثهما وعدا اساسه في بلاد الجلالقة فلم يقدم ملكها على لقايه وتحصن منه في رؤس

الجبال

الجبال ولم يقدر عبد الرحمن على اتباعه لزيادة الانهار وكثرة الثلوج فاخذ في البلاد التي وطيها وخرج موفورا فبلغه في طريقه ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر عبد الرحمن بقرطبة واخذه المؤيد اسيرا فتفرق عنه عسكره ولم يبق الا في خاصته فسار الى قرطبة ليلافي ذلك الخطب فخرج عسكر محمد بن هشام فقتلوه وحملوا راسه الى قرطبة وطافوا به ثم صلبوه وكان ظهور محمد بن هشام بن عبد الجبار ومعه اثنا عشر رجلا فتابعه الناس وتلقب بالمهدي وملك قرطبة واخذ المؤيد وتركه في محبسه حيث لا جليس له سوى رجع نفسه وقام هذا محمد بن هشام بن عبد الجبار والامر مستبد لرايه مستمد الى ان قتل تلك القتلة الشنيعة وكانت مدة استيلايه ستة عشر شهرا بز بها سرير الملك قهرا وبخسه لو لم يجد له بماء الماضيين طهرا حكى ابن الاثير ان محمد بن هشام بن عبد الجبار اخذ المؤيد وحبسه معه في القصر ثم اخرجه واخفاه واظهر انه مات وكان قد مات انسان نصراني يشبه المؤيد فابرزه للناس في شعبان وذكر لهم انه المؤيد فلم يشكوا في موته وصلوا عليه ودفنوه في مقابر المسلمين ثم اظهره على ما نذكره والكذب نفسه وكانت مدة المؤيد هذه الى ان حبس ثلثا وثلثين سنة واربعة اشهر وخرج هشام بن سليمان بن الناصر

عبد الرحمن عليه لان اهل الاندلس ابغضوا ابن عبد الجبار فاخرجوه
من داره وبايعوه وتلقب بالرشيد في شوال سنة تسع وتسعين واجتمعوا
بظاهر قرطبة وحصروا ابن عبد الجبار وترددت الرسل بينهم ليخلع
ابن عبد الجبار من الملك على ان يؤمنه واهله ثم ان ابن عبد الجبار جمع
اصحابه واخذ هشاما اسيرا فقتله ابن عبد الجبار وكان عم
هشام ثم ان سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر وهو ابن اخي
هشام المقتول خرج وتلقب بالمستعين ثم تلقب بالظاهر
وساروا الى النصارى فانجدوهم وساروا معهم الى قرطبة فاقتتلوا
هم وابن عبد الجبار بقنيج وهي الوقعة المشهورة غزوا فيها وقتل ما
لا يحصى فانهزم ابن عبد الجبار وتحصن بقصر قرطبة ودخل سليمان
القصر وبايعه الناس بالخلافة في شوال سنة اربعمائة وبقي بقرطبة
اياما وكان عدة القتلى بقنيج نحو خمسة وثلاثين الفا ثم لما اختفى
ابن عبد الجبار سار سرا الى طليطلة واتاه وضاح العامري في
اصحابه وجمع له النصارى وسار بهم الى قرطبة فخرج اليهم سليمان
فالتقوا بقرب عقبة الورق واقتتلوا اشد قتال فانهزم سليمان
ومن معه منتصف شوال سنة اربعمائة ومضى سليمان الى شاطبة
ودخل ابن عبد الجبار قرطبة وجدد البيعة لنفسه وجعل الحجابة

لواضح

لواضح وتصرف بالاختيار ثم ان جماعة من الفتيان العامرية منهم
عنبر وخيرون وغيرهما كانوا مسلمين فارسلوا الى ابن عبد الجبار يطلبون قبول
طاعتهم وان يجعلهم في جملة رجاله فاجابهم الى ذلك وانما فعلوا هذه مكيدة
ليقتلوه فلما دخلوا قرطبة واستمالوا اصحابا فاجابهم فلما كان تاسع
ذي الحجة سنة اربعمائة اجتمعوا بالقصر فملكوه واخذوا ابن عبد الجبار
اسيرا واخرجوا المؤيد من محبسه واجلسوه في صدر مجلسه وبايعوه
بالخلافة بيعة ثانية وتابعوه سرا وعلانية واحضروا ابن عبد الجبار
بين يديه فعدد ذنوبه عليه ثم قتله وطيف براسه في قرطبة وكان
عمره ثلاثا وثلاثين سنة قلت وهذه الاخبار كان شرطها
ان نذكر مفصلة وقد ذكرناها الان مجملة لتعلق بعضها ببعض وسنذكر من خلل
في اثناء دولة هشام المؤيد تراجم مفردة ثم المراد ذكر هشام
المؤيد ثانيا حيث عادت دولته وانتهت اليه في الملك ثانيا نوبته
حكى ابن الاثير في حوادث سنة اربعمائة وقد ذكر عود هشام
المؤيد ما معناه وكان عوده تاسع ذي الحجة وكان الحكم في دولته الى واضح
العامري وادخل اليه اهل قرطبة فوعدهم ومناهم وكتب الى بربر
سليمان بن الحكم ودعاهم الى الطاعة فلم يجيبوه فامر بالاحتياط ثم
شعر بان نفرا من الامويين بقرطبة قد كاتبوا سليمان ليسلموا اليه

البلاد فاخذهم وحبسهم **ثم** قدم بن سليمان لميعاد الاموين
فركب هشام اليهم فعاد البربر واستنجد بملك الفرنج فارسل يعلم
هشاما بذلك ويستنزل له عن حصون تجاور ففعل فيبس البربر
من انجاد الفرنج فنزلوا قريب قرطبه وجعلت خيلهم تغير يمينا
وشمالا لا نغل هشام على قرطبه امام السور الكبير خندقا ثم بارك
سليمان قرطبه ثم الزهرا فسلمه بعض الحفظه باب الزهرا فملكها .
واشتد الامر بقرطبه وظهر في هذه المده بطليطله عبيد الله بن محمد
بن عبد الجبار وبايعه اهلها فسير اليهم هشام جيشا فعادوا الي
الطاعه واخذ عبيد الله وقتل في شعبان سنه احدي واربعمايه
ثم قاتل هشام البربر فقتل منهم اما وغرق في النهر مثلهم
فرحلوا الى اشبيليه فجهز هشام جيشا لحمايتها فسارت البربر الي
قلعه رباح فملكوها وغنموا ما فيها واخربوها دارا ثم عادوا الي
قرطبه فحصروها وملكوها ودخلها سليمان بن الحكم عنوه واخرج هشام
من القصر وحمل الي سليمان في منتصف شوال سنه ثلث واربعمايه وبويع
سليمان ثم جرت لهشام المويد محنه قصص طويله ثم خرج الي شرق
الاندلس فكان اخر خبره ونهايه امره ثم عمي الخفاء على امره **وها** انا
اذكر **دوله محمد المهدي بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن**
الناصر

الناصر المتخلله لدوله المويد هشام المتخلله بشروط الوفا والدمام
قد ذكرنا نأتي علي المقصود منها في تلك الترجمه وتجلي بصباح البيان
امورها بالمظلمه كان هذا محمد المهدي خفيف العقل طايش الراي
لا يتمسك بدين ولا يتنسك كالمهتدين **قال** بن الاثير عنه
ما معناه انه اتخذ النبيذ في بيته حتي سمي نباذا ونصر منا بانه
وهو على هذا واسرا الملك وما هي علىبسه ولا هي له الا الماتم ليله عرسه
وبما تقدم اكتفا لمن اراد الوقوف علي خبره وجلا البصير من لم يره
حقيقته ببصره وكان خليقا به ان لا يذكر مستقبلا ولا يذكر الا في
بعض حوادث دوله هشام بلا **واما** ما كان بعد هشام المويد
مما ذكره بمشيه الله تعالي فاقول **دوله سليمان بن الحكم المستنصر**
بن عبد الرحمن الناصر قد قدمناه ما كان بينه وبين هشام من نوب
الايام ثم لما كانت له هذه الكره ودانت له قرطبه هذه المره
وهي ولايته الثانيه وابالته الدايبه تلقب بالمستعين وتغلب بعد
ما غلب بعد حين وكانت ولايته هذه منتصف شوال سنه ثلاث واربعمايه
وبايعه الناس بيعه عنوه لا عنايه وخافوا تبعه السيف تفسر بجا
لا كابه وكان اديبا خطيبا شاعرا فا كا ملكا داعرا خرج
اليه اهل قرطبه للسلام عليه فلما مثلوا لديه ابتدا ممثلا وانشد متمثلا

اذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

يقولون لي اهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي ساعة قتلوني

ثم تمت له المبايعة وانقادت له اهل قرطبة بانفس طايعة وبحور احتماها ما كانت بالكف قانعة وبالصغار تحت غطاء الذل مصانعة وقد حكى صاحب بلغة الظرفا انه تلقب اولاً بالمستعين ثم تلقب بالظافر بحول الله واستشهد قول هرون الرشيد رحمه الله

ملك الثلاث الانسات عناني وحللن من قلبي بكل مكان

ما لي تطاوعني البرية كلها واطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك الا ان سلطان الهوى وبه قوين اعز من سلطاني

فقال سليمان المستعين

عجباً يهاب الليث حد سناني واهاب لحظ فواتر الاجفان

واقارع الاهوال لا متهيباً منها سوى الاعراض والهجران

وتملكت نفسي ثلاث كالدمى زهر الوجوه نواعم الابدان

ككواكب الظلما لحن لناظر من فوق اغصان على كثبان

هذي الهلال وتلك بنت المشتري حسناً وهذي اخت غصن البان

حاكمت فيهن السلو الى الصبى فقضى بسلطان على سلطاني

فابحن من قلبي الحمى وتبتني في عز ملكي كالاسير العاني

لا

لا تعذلوا ملكاً تذلل في الهوى ذل الهوى عز وملك ثاني

ان لم اطع فيهن سلطان الهوى كلفاً بهن فلست من مروان

قلت وخلافة المستعين هذا يوماً بلذاته واقتصر على لذاته وقد زرد الجو في مسك طرازه قوس قزح والنور قد قلد جيده من لولو الطل سبح وقد مد الغمام ستاره طررت من فيها البروق وطرقت جانبي يومها كؤوس الصبوح والغبوق ثم وافى الليل تصدم جيشه كتائب تلك السحائب تمزقها ولطم عن امواج تلك الامواج ففرقها وتوقدت لوامع النجوم للاقتباس ولاح الهلال كانه سطر طوق في جيد زرقاء اللباس فقال

عرى النهار الليل ملبس دجنه وعراهما لمه محمس مقبل

عجباً له من سيف يوم مذهب لولا الظلام بدوسه لم ينجلي

او ما ترى زهر النجوم كانها وهي والهلال اسنة في قسطل

قال ابن الاثير ما ملخصه ان خيران العامري لم يكن راضياً بولاية سليمان بن الحكم لانه كان من اصحاب هشام المؤيد فلما ملك انهزم وكانت له كاينة ثم اتى شرق الاندلس مكر به جمعه وقاتل البربر وملك المرية وتراسل هو وعلي بن حمود العلوي صاحب سبتة ووافقه على ان المؤيد كان قد عهد اليه ودعا له

بولايه العهد فعبر علي بن حمود البحر والي مالقه فسلمها اليه عامر
بن فتوح ثم سار حيران اليه وتلاقيا بالمنكب سنه ست واربعمايه
وبايعوا علي بن حمود علي طاعة المويد هشام الاموي فلما بلغوا
غرناطه وافقهم اميرها وساروا الي قرطبه فخرج اليهم سليمان
بالبربر فالتقوا فاقتتلوا فانهزم سليمان ثم اخذ اسيرًا وحمل
الى ابن حمود ودخل ابن حمود قرطبه في المحرم سنه سبع واربعمايه
وداروا القصور طمعًا ان يكون بها المويد فلم يجدوه وراو قبرا
منبوشا وجد وابه جثه ميت قالوا انه المويد ولم يكن به وانما قالوه
خوفا من علي بن حمود لانه طمع بالاستقلال فاخذ بن حمود سليمان
بن الحكم فقتله واستولي ابن حمود علي قرطبه وبدلت الخلافه
الامويه بالخلافة العلويه علي ماذكر في مكانه ثم انه تنكر حيران
فتنكر له حيران واظهر عليه الخلاف وارسل يسال عن بني اميه
فدل علي عبد الرحمن بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر وكان قد
خرج الى حيان وكان اصلح بني اميه فبايعه حيران ولقبه المرتضى
وراسل سرقسطه والثغر الاعلى وشاطبه وبلنسيه وطرطوشه
فاجابوا الي بيعته ثم ساروا الي صنهاجه على قصد غرناطه وحصل
من المرتضى اعراض عن حيران فتخلى عنه وانجلي حصارهم لغرناطه

عن

خامس عشرين ... الانصا

عن هزيمتهم وقتل المرتضي ثم استقل علي بن حمود ثم اخوه القسم
ثم يحيي بن علي بن حمود ثم عادت دوله بني اميه علي ماذكره وكان اولها
بعد الدوله العلويه

دولة المستظهر عبد الرحمن بن هشام

بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصري المطرف وكان سبب ملكه
ما قدمناه وموجب تقدمه اليمن بسناه وحب اهل قرطبه لبني اميه
الحب الذي يمكن في حشاهم وملاهم به شغفا وحننا هم فلما غشيتهم
موج الفتنه وغشاهم وارحل دلا فوارسهم ومشاهم صافحوا
بالبيعه تمناه وما نحوا من حال دون ما تمناه هوي امويًا علقوه
وحوي خفيًا عاهد والله عليه لو صدقوه بويع في شهر رمضان
سنه اربع عشر واربعمايه وعمره اثنتان وعشرون سنه واختار
القدر ملكه وما مكنه ولطف الادب ادركه حرفته واهلكه بذنب معرفته
لانه كان شاعرًا مجيدا رقيق الطبع لا يسكي بالمهدي من دموعه الربع
فلم تدم ولا تتم ولم يعمر للخلافة حوانيه وكانت مدته شهرا واحدا
وسبعة عشر يوما ثم قتل وورد عهده بعد ان قتل وكانت حالته حاميه
وخاليه روحه باعلاق سمامه حصاله اركبه الشيطان غرورها
واكسبه محذورها وكان السبب انه اخذ جماعه من اعيان قرطبه
فسجنهم لميلهم الى سليمان بن المرتضي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن

الناصر واخذ اموالهم فسعوا عليه من السجن وصدعوا حباله مروقا
كالعهن راقوا الناس عليه وتناهبوا لاستنزال روحه من جثته فاهانهم
صاحب شرطته تاهين وجزع كاس ردّاه في الحين وكان ممن وافقهم
على فعلتهم ووافقهم على مثل مثلتهم ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن
الاموي في جماعة كثيرة وطاعة جعلت الى الامر مصيره وكان ابيض اشقر
اعين شثن الكفين رحب الصدر وقال ابن بسام وقد ذكر قصة ملّته
لم تنتظم له فيها طاعة ولا تتامّت جماعة وكان على حدوث سنّه ذكيا
لقطا لبيبا اديبا حسن الكلام جيد القريحة يتصرف فيما شاء من الخطاب
شعره ونثره ويصوغ قطعا من الشعر مستجادة يطرحها اوارا وعفه
وراه من شرب النبيذ سرّا وعلانية وكان يسبح وحده وبه ختم فضلا
اهل بيته الناصريه ومن شعره

• طال عمر الليل عندي مذ تولعت بصد • يا غزالا نقض الود ولم يوف بعهد •
• الست العهد اذ بتنا على مفرش ورد • واجتمعنا كلآلي مفرش ورد •
• واجتمعنا في وشاح وانتظمنا نظم عقد •
• وتعانقنا كغصنين وقدانا كقد • ونجوم الليل حكى ذهبا في لازورد •

دولة محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عبد الرحمن الناصر
ابي عبد الرحمن المستكفي ولم يكن من رجال بيته في شيء من الاشيا

ولا

ولا كان الا سافي صورة الاخبار لعدم صرامته وعظم جمود لشهامته
ما كانه قد مر مروان امامه ولا قدم عبد الرحمن الداخل قدامه ولا عد
من اهل البيت هشام علا عبد الملك فعلا ومعوية فضلا وكان
همه فرجه وبطنه وعزمه عينه واذنه لا يفكر في شي الا ما يهمه ولا يلم
الا بما لا يفارقه مثله الا انه ممن اقامه الحظ السابق على من تقدمه
حتى تاخّر لامتداد الاجل وتقدمه بويع في ذي الحجه لقعده سنه
اربع عشر واربعمايه وبقي سنه واربعة اشهر واياما ثم خلعوه
خلع الحذاء ودفعوه دفع الذباب عن الغذاء فخرج في جماعة
ممن حفظ عهده المصاع وحط ونه ملاحظة الطفل لا بيان الرضاع
فاتى بهم مدينة سالم وافامر بها غير مسلم ولا مسالم فضجر منه
بعض اصحابه ممن هجر اوان انساع رحابه فعمد الى دجاجة فشواها
وعمل فيها سما رمي بها مهجته فاصاب شواها فاراح الدنيا من
تخلفه وخفف اثقالها بما كانت تحمله من تكلفه وكانت وفاته
في ربيع الاخر سنه سبع واربعمايه وكان ربعة اشقر ازرق مدور
الوجه ضخم الجسم قارب في العمر خمسين سنه ثم اقيمت الدعوه
ليحيى بن علي بن حمود ثم ال الامر الى ان قطعت دعوته ومنعت عن ان يستجاب
لها دعوته ثم اعيدت الدوله امويه وجدب عهودها المذكوره

بسحب الدموع الروية وها انا اذكرها فاقول

دولة هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر

ابي بكر قام بعضها ابو الحزم جهور وقام بالحزم وما بهور راسل اهل الثغور والمتغلبين فوافقوه وراوروه وما وافقوه وكتبوا ببيعتهم الى هشام بن محمد وكان مقيما ببعض الثغور منذ قتل اخوه المرتضى وقبل قواعد سبيله المنتضي ثم اصفقت ايدي الناس بسعته وصانت عهده المحفوظ من صنعته ولقب بالمعتمد وكان اسن من اخيه المرتضى واشد منه في كل مقتضى فنهض الى الثغور وطلع فيها نجمه طالعا لا يغور وجرت له بها فتن عقدت بالسما عنان عجاجتها وعلقت في مجرى الاسما بنان محاجتها وقوي هنالك هيج الاضطراب واخذ موج السيوف في الضراب ثم ساروا الى قرطبة وسالوا في تلك الشعاب سيلان حبيس تحطبه فازالها مثل اوله ووافاها حالا في صدر منزله واقام مذ بويع نحو خمس سنين حتى خلع رداوه وقطع عن مسامع المنابر نداوه وكان موجب الفتنة عليه سو تدبير وزيره ابي العاص بن سعيد لانه اضر اموال التجار واعطاه البربر فنفرت خواطر اهل قرطبة لهذا وانكروه ووضعوا عليه اناسا فقتلوه ثم خلعوا هشاما وسدوا عهده في بني منهم واخذ عقده الوثيق ما دفعه فلم التكليف عنهم

وقام

وقام ابنه عبد الرحمن بن هشام في جماعة من الاحداث فتسور القصر وعلوه فاته وتصوروا له امرا اذكروفاته وتابعه كثير من سواد الناس ونقض بهم فما قام منهم حسد بلا راس فقال له بعض اهل قرطبة نخشى عليك ان تقتل في هذه الفتنة فان السعادة قد ولت عنكم فقال بايعوني اليوم واقتلوني غدا فاتفق اعيان قرطبة اليه والى ابنه المعتمد بالخروج عن قرطبة فاودع المعتمد اهله وخرج الى حصن ابن الشوب فاعتقلوه ثم اخرجوه الى حصن اخر فحبسوه فيه فتحيل للخروج حتى خرج منه ليلا وسار الى سليمان بن هود الجذامي وبقي عنده حتى مات في صفر سنة ثمان وعشرين واربع مائة ودفن في ناحية لارده وسكن بها صوت سحبه الراعده وماتت دولة بني امية في الاندلس وساير اقطار الارض بموته وخمد حسها بخمود صوته فسبحان الحي الباقي وكل شي هالك الا وجهه الملك الدايم ملكه بعد ذهاب الملوك والممالك نعوذ به ونتوكل عليه ونساله من خير ما لديه انه لا حول ولا قوة الا به

تم السفر الرابع والعشرون من كتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار

بحمد الله وعونه ومنه وهو المرجو في بدار كماله وابدار هلاله

ويتلو في الذي يليه وقد تقدم

الحمد لله وحده وصلى الله على نبيه المصطفى من خلقه سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

حسبنا الله ونعم الوكيل